سلسلة إصدارات معهد الإمام الحسين (ع)
للدراسات القرآنية التخصصية - النجف الأشرف
(٢)



القرآن الكريم
في الدراسات الاستشراقية

بحث موضوعي لدراسات المستشرقين حول القرآن الكريم

تأليف
الشيخ ليث العتابي

سلسلة إصدارات معهد الإمام الحسين (ع)
للدراسات القرآنية التخصصية
النجف الأشرف
(١)

القرآن الكريم
في الدراسات الاستشراقية

بحث موضوعي لدراسات المستشرقين حول القرآن الكريم

تأليف
الشيخ ليث العتابي

الطبعة الأولى : ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م/ النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

{وَمَا كُنْتَ تَتْلُوْ مِنْ قَبْلِه مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِيْنِكَ إِذاً
لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُوْنَ}

العنكبوت (٤٨)

تقديم بقلم

سماحة اية اللّه السيد فاضل الموسوي الجابري (دام ظله)

عميد معهد الإمام الحسين (ع) للدراسات القرآنية التخصصية

لا يخفى على المهتمين ما شكلته حركة الاستشراق من ايجابيات وسلبيات على صعيد القرآن الكريم ومعارفه ، لان المستشرقين منذ القرن الثامن عشر الى اليوم كانت محور اهتماماتهم هو القرآن الكريم – مع اهتمامهم ايضا بالسنة و التاريخ والفقه والعقائد وغيرها ايضا - والسبب في ذلك واضح باعتبار ان القرآن الكريم هو المصدر الاول والرئيسي لجميع المعارف الاسلامية ، وهو الذي يشكل الهوية الواضحة للإسلام . ولذا كانت دراسته بشكل معمق يوفر لهم محاولات كثيرة للطعن فيه او الدس او التشويه او ما شابه ذلك من اغراضهم الخبيثة التي تصب في حركتهم التبشيرية .

لقد كانت الحركة الإستشراقية حول القرآن الكريم تركز على جملة من القضايا التي حاولوا من خلالها توجيه النقد للقرآن الكريم واثارة الشبهات لأجل اسقاط سمته السماوية وكونه خطابا الهيا مقدساً ، وكان الهدف من كل ذلك هو اقناع المسلمين بترك دينهم او عدم احترامه ، ولذا نجد ان الحركة الإستشراقية تعد الجناح الفكري للحروب الاستعمارية ، لان المسلمين ما داموا يؤمنون بالقرآن الكريم فسوف لن يخضعوا لسلطة الاستعمار، ولن يسمحوا للكفار باحتلال اراضيهم ونهب خيراتهم والتحكم

بمصيرهم والهيمنة عسكرياً او سياسياً او غيرها عليهم ، لكونه يزرع في نفوسهم حب الجهاد والشهادة ومقارعة الظالمين والكافرين .

ومن هنا نجد ان شبهات المستشرقين تنوعت للطعن في هذا القرآن ، بل وصل بهم الحال الى طرح قضايا لم يستطع حتى كفار العرب او قريش - وهم افصح الناس - من طرحها امثال الطعن في بلاغة القرآن الكريم وفصاحته ، كما نجد ذلك في اطروحات (ديفيد صموئيل مرجليوت) أو (كارل فلرس) و (باول كراوس) او غيرهم .

وراح بعض اولئك الى الطعن في سلامة القران من التحريف والنقص والزيادة كما هو حال (كازانوفا) وغيره .

في حين ذهب (ابراهام جايجر) و (رودي بارلي) واخرين الى ان القرآن الكريم ليس كتاباً سماوياً وانما هو كتاب استقى الكثير من تعاليمه من الكتب المقدسة للأديان الاخرى ، الى غير ذلك من الافكار المنحرفة الاخرى .

ومن الجدير بالذكر قول : ان من المؤسف حقاً ان بعض المثقفين المسلمين قد تأثر بالفكر الاستشراقي وراح يردد كالببغاء ما يقوله ويطرحه اولئك المستشرقين ، الامر الذي اثار ضجة وخلخلة في الاوساط الاكاديمية والثقافية للمجتمع الاسلامي ، ولذا كان من الضروري ان يتصدى بعض العلماء والمتدينين من رجالات الفكر للدفاع عن حريم القرآن الكريم امام هذه الشبهات والاعتراضات والتشكيكات ، من خلال بيان حقيقة الحركة الإستشراقية ونقدها وتسليط الضوء على افكارها وشبهاتها وما لها وما عليها ، لأجل تحصين الامة الاسلامية من هذه الافكار الهدامة .

ومن بين ما تصدى لذلك احد اساتذة معهدنا المبارك وهو سماحة الشيخ ليث العتابي حفظه الله في كتابه (القرآن الكريم في الدراسات الإستشراقية) ، فقد كان كتابا مستوفياً لموضوعه ، جامعاً لأطرافه ، واضح المنهج ، دقيق العبارة ، قد جمع بين العمق الحوزوي والطرح الاكاديمي . وقد استطاع من خلال ما سطره يراعه ان يوضح الكثير من الامور الغامضة حول الحركة الإستشراقية ، ويسلط الضوء على اهم افكارهم خصوصا حول القرآن الكريم ، ثم تحليلها ونقدها وبيان الثغرات التي فيها .

وقد ركز الشيخ الباحث على نقد منهج المستشرقين للتعاطي مع الموضوعات القرآنية امثال الترجمة لمعاني القرآن الكريم بل ونصوصه ، وقد اهتم كثيراً ببيان اهم الشبهات التي طرحت من قبلهم حول القرآن الكريم امثال تحريف القرآن ، وجمع القرآن وتاريخ الوحي ، وغير ذلك من الامور التي سوف يقف عليها المطالع في ثنايا الكتاب .

ومعهد الامام الحسين(ع) للدراسات القرآنية التخصصية اذ يقدم لقرائه وطلابه وسائر ذوي الاختصاص هذا البحث القيم فانه يتمنى لمؤلفه المزيد من التوفيق والسداد وان يأخذ بيده للمزيد من العطاء والابداع لخدمة القرآن الكريم ومعارفه السامية انه حميد مجيد .

السيد فاضل الموسوي الجابري

النجف الاشرف ٢- ذي القعدة ١٤٣٩هـ

١٧- تموز - ٢٠١٨ م

المقـــــدمـــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وبعد:

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم:{الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}[(١)].

القرآن الكريم، كتابٌ أنزله الله سبحانه وتعالى هدىً وبشرى بين يدي رحمته، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، مستنقذاً لهم من أهواء المضلين وفساد المفسدين وخداع المحرفين، الذين يحرفون الكلم عن مواضعه.

فهو خاتم الكتب السماوية، والداعي إلى حقيقة الطاعة الإلهية، والمبشر بدينٍ عالمي واحدٍ هو (الإسلام).

قال تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}[(٢)].

---

(١) سورة إبراهيم، الآية / ١

(٢) سورة آل عمران، الآية / ١٩

فإذا كان كذلك، فليس من المعقول أن يرضى المتسلطون بأن تنفى جميع سلطاتهم وان يكونوا سواسية كباقي أفراد المجتمع، ذلك أنّ كتاباً اسمه (القرآن) قال بذلك. بالتأكيد لا، والدليل على ذلك إن كانت حصة (القرآن الكريم) كبيرة جداً من الطعن والتشويه والمحاربة بكل الطرق وبشتى الصور، وبجميع الإمكانيات المتاحة عندهم. نعم، فلقد كانت حصة القرآن الكريم من الطعونات الشيء الكثير، كونه دستور الإسلام الحقيقي وكتابه التشريعي الإلهي.

إن القرآن الكريم هو كتاب الخالق ومعجزته إلى خلقه نزله تعالى ليبين للناس ما اختلفوا فيه من أخبار، وتشريعات. فيه من الحكم والعبر والأمثال ما ينتفع به الناس إلى يوم القيامة كما وان فيه من الأسرار ما لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم.

قال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ}[١] .

لقد سلك أعداء الإسلام طرقا ومناهج متعددة ومتنوعة للطعن فيه؛ ذلك لأنهم يعلمون أنه دستور الإسلام، وأساسه، وأصله، ومنهجه، فالتشكيك فيه تشكيكٌ في أساس الدين الإسلامي، وبالتالي إضعافه، وصَرْف المسلمين عنه

---

(١) سورة آل عمران الأية / ٧

كونه الطريق السوي، والصراط المستقيم الذي أراده الله تعالى للبشرية جمعاء، هدى ورحمة ونجاة.

إنّ معظم المطاعن التي وجهت للقرآن الكريم كان سببها، العداء المباشر للدين الإسلامي، كل ذلك اعتماداً على ما لا يصح من الأخبار الواهية، والمختلقة الكاذبة، فجاء المستشرقون ليضيفوا إليها ما شاءت لهم أنفسهم أن يضيفوه، مما هو من بنات أخيلتهم وصناعة أوهامهم، جمعتهم على ذلك راية واحدة ألا وهي: (العداء للإسلام).

إن أهمية هذا الموضوع تتأتى من كونه يرتبط بمواضيع مهمة متوزعة على علوم القرآن، والعقائد، والتشريع، والأخلاق، لما لها من أهمية في مجالي الفهم والاعتقاد، لذا كان من اللازم التعرض لها، وتوضيحها، وتوضيح رأي الآخر تجاهها، بما يساعد على الفهم، والرد على الشبهات والاشكالات المطروحة.

لقد تناول الكتاب في فصوله ما يلي:

في الفصل الأول: وضمن عنوان (المستشرقون والتراث الإسلامي) تناول المباحث التالية:

المبحث الأول: تاريخ ونشأة الاستشراق.

المبحث الثاني: المستشرقون ودراسة الإسلام والتراث الإسلامي.

المبحث الثالث: المستشرقون وأسس قراءة الإسلام والتراث الإسلامي.

المبحث الرابع: الخطاب الاستشراقي.

وفي الفصل الثاني: وضمن عنوان (القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية) تناول المباحث التالية:

المبحث الأول: المستشرقون والقرآن الكريم.

المبحث الثاني: المستشرقون والدراسات النقدية للقرآن الكريم.

المبحث الثالث: آفات مناهج القراءات الاستشراقية للقرآن الكريم.

المبحث الرابع: المستشرقون ومنهج انتقاء المصادر في دراسة القرآن الكريم.

وفي الفصل الثالث: وضمن عنوان (دوائر المعارف الاستشراقية) تناول المباحث التالية:

المبحث الأول: وقفة تعريفية مع دوائر المعارف الاستشراقية.

المبحث الثاني: سمات دوائر المعارف الاستشراقية.

المبحث الثالث: وقفة مع دائرة المعارف البريطانية.

المبحث الرابع: القرآن الكريم في دائرة المعارف البريطانية.

المبحث الخامس: شبهات دائرة المعارف البريطانية على القرآن الكريم.

وفي الفصل الرابع: وضمن عنوان (مناهج الدراسات الاستشراقية) تناول المباحث التالية:

المبحث الأول: المستشرقون والمنهج الإسقاطي.

المبحث الثاني: نماذج لمنهج المستشرقين الإسقاطي.

المبحث الثالث: المستشرقون ومنهج النفي والإنكار.

المبحث الرابع: مناهج المستشرقين في تأويل النص القرآني.

وفي الفصل الخامس: وضمن عنوان (اجرائيات من الدراسات الاستشراقية للقرآن الكريم) تناول المباحث التالية:

المبحث الأول: المستشرقون والاهتمام بدراسة القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الدراسات الاستشراقية حول القرآن الكريم.

المبحث الثالث: المستشرقون وأخطائهم في ترجمة القرآن الكريم.

المبحث الرابع: المستشرقون وترجمة معاني القرآن الكريم.

المبحث الخامس: المستشرقون ودراساتهم المتعددة حول جمع القرآن الكريم.

وفي الفصل السادس: وضمن عنوان (الوحي في الدراسات الاستشراقية) تناول المباحث التالية:

المبحث الأول: المستشرقون والتشكيك بالوحي.

المبحث الثاني: أهداف المستشرقين من إنكارهم للوحي وآرائهم فيه.

المبحث الثالث: تصنيف آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي.

المبحث الرابع: المستشرقون وآرائهم في الوحي.

وفي الفصل السابع: وضمن عنوان (دعاوى وشبهات استشراقية أثيرت على القرآن الكريم) تناول المباحث التالية:

المبحث الأول: المستشرقون والقول بأن القرآن من وضع النبي محمد(ص).

المبحث الثاني: المستشرقون وفرية أخذ القرآن من اللغات والثقافات الأخرى.

المبحث الثالث: المستشرقون وفرية أخذ القرآن من مصادر أخرى.

المبحث الرابع: المستشرقون ومعاملة القرآن الكريم كنص أدبي.

المبحث الخامس: المستشرقون وإشكالية عدم صلاحية القرآن للزمان والمكان.

كل ذلك في هدف توضيح كيفية وطريق المستشرقين في دراستهم للقرآن الكريم، وتبيين وتوضيح أساليبهم، والإشارة إلى أهم مصادرهم في ذلك، وتوضيح شبهاتهم، والرد عليها، وذلك ضمن بحث موضوعي في دراسة تتناول الأسس والمرتكزات، وترد على أساس الشبهات ومناشئها.

والحمد لله رب العالمين

المؤلف ١٤٣٩ هـ

الفصل الأول

المستشرقون والتراث الإسلامي

المبحث الأول:
تاريخ ونشأة الاستشراق

إن الجذر اللغوي العربي الذي اشتقت منه كلمة (استشراق) و(مستشرق) يحيل إلى الشرق؛ باعتباره جهة، ومن هذا قول صاحب لسان العرب: (الشرق: هو الجهة التي تشرق منها الشمس...)[١].

لقد اختلف الباحثون والكُتّاب في تحديد البدايات الأولى لحركة (الاستشراق)، ويمكن إجمال بعض الأقوال بهذا الشأن فنقول:

يقول الدكتور سمير سلمان إنه نشأ في القرن التاسع الميلادي[٢]، ويذهب كلٌ من بطرس البستاني[٣] ونجيب العقيقي[٤] إلى أنّه نشأ في القرن العاشر الميلادي، ويذهب رودي بارت[٥] إلى أنّه نشأ في القرن الثاني عشر.

وهناك رأي يقول: بأن بدايات الاستشراق كانت في أيام الدولة الأموية في القرن الثاني الهجري، وإن الاستشراق قد نشط في الشام بواسطة الراهب (يوحنا الدمشقي) في كتابين له هما (حياة محمد) و(حوار بين مسيحي ومسلم)،ومنهم من يرى أنّه بدأ سنة (١٢٥٠م) بعد أن غادر لويس التاسع

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج١٠، ص١٧٣.
(٢) مجلة التوحيد، العدد: ٣٢، (الجذور التكوينية للاستشراق في الأندلس): ١٢٣.
(٣) أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث: ٣٤٠.
(٤) المستشرقون ١ : ١١٠.
(٥) الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية: ٩.

مدينة دمياط إلى عكا وكانت صيحته بعد هزيمته: (لنبدأ حرب الكلمة فهي وحدها القادرة على تمكيننا من هزيمة المسلمين)[١].

لكن يمكن تحديد البداية ـ الرسمية ـ للاستشراق بصدور قرار (مجمع فيينا الكنسي) عام (١٣١٢م) بتأسيس عدد من كراسي الأستاذية في اللغات العربية، واليونانية، والعبرية، والسريانية في جامعات باريس وأكسفورد وبولونيا. وإن مصطلح مستشرق ظهر لأول مرة في إنكلترا عام (١٧٧٩م)، وفي فرنسا عام (١٧٩٩م)، وأدرج مصطلح (الاستشراق) في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام (١٨٣٨م)[٢].

ومع الافتراق وعدم الاتحاد في تحديد البدايات الفعلية لحركة (الاستشراق) إلا أن معظم الباحثين يُجمعون على أن نشأته كانت تبشيرية بحتة بكل وسائلها وأهدافها، تبعتها حركة استعمارية محمومة.

وعن التعريف بالمستشرقين يقول مالك بن نبي: (هم الكتاب الغربيون الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وحضارته)[٣].

ولقد تناول المستشرقون الفتح الإسلامي، ودرسوا الشعوب والبلدان التي طالتها الفتوحات الإسلامية، وتحدّثوا عن أحوالها قبل الفتح وبعده، ودرسوا السلالات التي حكمت مختلف أقطار العالم الإسلامي، من العباسيين والأمويين والعثمانيين والحمدانيين والفاطميين. كما درسوا الفرق الإسلامية وتطوّرها وعلاقاتها، لاسيما المعتزلة والإسماعيلية والزيدية والقرامطة. درسوا

---

(١) ظ: الإسلام وشبهات المستشرقين، فؤاد كاظم المقدادي:٣٨.

(٢) ظ: المستشرقون، نجيب العقيقي: ١: ١٣٨.

(٣) نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، لخضر شايب:٢٧.

الفقه الإسلامي وتطوّره وعلم الكلام، ورصدوا علاقات المسلمين بالحضارات الأخرى وغير ذلك الكثير، حتى أبدعوا في دراسة الفنّ المعماري الإسلامي.

أما عن تقسيم مدارس الاستشراق فلقد استخدم العديد من دارسي الاستشراق تقسيمات متعددة، ومن باب المثال نذكر بعض التقسيمات التي طرحت وفقاً لهذا الأساس، والتي منها:

أولاً ـ تقسيم الدكتور نجيب العقيقي ـ وهو باحث متخصّص في الاستشراق وشخصيّاته ـ حيث قسّم الاستشراق إلى مدرستين كبيرتين هما:

١ـ المدرسة السياسية: وهي المدرسة التي ركّزت جهودها على الأدب بشكل عام، بما للأدب من مفهوم واسع يطال الفكر الإنساني والإنسانيات، وفي هذه المدرسة تندرج دراسات المستشرقين حول الدين والتاريخ واللغة والأعراف الخ.

٢ـ المدرسة الأثرية: وهي المدرسة التي عنت بالآثار.

ثانياً ـ تقسيم الدكتور حسين الهراوي، الذي قسّم الاستشراق إلى مدارس ثلاث هي:

١ـ مدرسة القرآن الكريم: وهي المدرسة المختصّة بدراسة القرآن الكريم وتاريخه وجمعه وما يتصل بقضايا الوحي ونحو ذلك.

٢ـ مدرسة التاريخ النبوي: وهي المدرسة المختصّة بحياة النبي محمد (ص) وما جرى معه في سيرته، وأعماله، وحروبه وسياسته الخ.

٣ـ مدرسة التاريخ العربي: وهي المدرسة التي تعنى بتاريخ العرب قبل الإسلام وبعده، وباللغة العربية، وبتاريخ الإسلام في عصر الصحابة، والعصر الأموي والعباسي.

نعم، لقد وضحت الكتب المختصة كل ما يتعلق بالاستشراق من حيث الاتجاهات، والمناهج، والدوافع، والمرجعيات، والتوجهات، واللغات، والبلدان، إذ يعد كتاب (المستشرقون) لنجيب عقيقي، و(موسوعة المستشرقين) لعبد الرحمن بدوي من أفضل الكتب المرجعية في هذا المجال.

فـ(لقد أصبح الاستشراق اليوم علماً له كيانه ومنهجه، ومدارسه، ودراساته ومؤلفاته، وأغراضه وأتباعه، ومعاهده ومؤتمراته، فصار حقاً على الباحث ان يعنى بتحديد مفهومه والوقوف على معالمه البارزة، وآفاقه ومظاهره وأطواره، وخصائصه وأهدافه قبل البحث في آثاره وميادين نشاطه)[(١)].

فالاستشراق هو: (طلب علوم الشرق)[(٢)]، والمستشرق هو (عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه)[(٣)].

---

(١) معجم أسماء المستشرقين، يحيى مراد: ٦.

(٢) معجم متن اللغة، أحمد رضا: ٣ : ٣١١.

(٣) معجم لاروس: ٣ : ١٠٠٣ .

المبحث الثاني:

المستشرقون ودراسة الإسلام والتراث الإسلامي

لقد أهتم المستشرقون بكل ما يتصل بالشرق، فكانت عنايتهم بدراسة تراث الهند والصين وبابل وآشور ومصر وبلاد فارس، إلا ان اهتمامهم بالتراث العربي الإسلامي قد فاقت كل الاهتمامات الأخرى، في محاولة دؤوبة لاختراق أفق الشرق الفكري.

فإن (الحضارة الإسلامية وليدة البعثة النبوية، وتلك الحضارة مثلت حضارات اليونان والروم والفرس، وشملت أمماً مختلفة الأمزجة والطبائع، فلم تكن حضارة العرب فحسب، وإنما كانت حضارة الأمم الإسلامية كلها أو قل هي حضارة العصور الوسطى التي ربطت العالم القديم بالعالم الحديث، ولقد اهتم العالم الحديث اهتماماً خاصاً بالدور الذي لعبته تلك الحضارة، فأكب فريق كبير من علماء الغرب على دراسة تلك الحضارة العظيمة بما فيها من دين سمح كريم، ومن لغة غنية بمفرداتها مرنة باشتقاقاتها، جميلة برسم حروفها، ومن أدب يصور نبضات القلوب وخلجات النفوس، ونجوى الضمائر، ومن تصوف وفناء في التأمل، ومن فلسفة قد بلغت الغاية في عمقها وشمولها، ومن حكم وتشريع لم تصل الإنسانية بعد إلى أفضل منه، وقد أذاعوا كثيراً من دراساتهم في كتب عدة ومجلات خاصة، ثم رأوا منذ بداية هذا القرن أن يجمعوا خلاصة بحوثهم في كتاب جامع يتبعون فيه منهج القواميس والمعاجم فكتبوا دائرة المعارف الإسلامية باللغات الأوربية الكبرى، حيث

أكدوا ذلك الاهتمام البالغ بالتراث العربي الإسلامي الخالد، ودوره البناء في تربية الإنسان المسلم والقضاء على النظام الفكري العبودي الإقطاعي وقفز الفكر الإنساني قفزة محسوسة نقلته من العبودية إلى الإنسانية وأثرت في الفكر الأوربي بأسره في شتى ميادين العلوم والآداب والفنون)[١].

ومن دلائل هذا الاهتمام. سلباً أو ايجاباً. أن ظهرت أول مطبعة عربية في مدينة (فانوا) بإيطاليا والتي كانت بأمر من (البابا يوليوس الثاني) ، والتي افتتحها (ليون العاشر) عام (١٥١٤م).

إن تحديد وقت بداية الطباعة العربية في أوربا هو في الوقت نفسه تحديد لبداية الطباعة العربية، لأن الطباعة بالحروف العربية للكتب العربية قد بدأ في أوربا قبل البلاد العربية والإسلامية بأكثر من قرن[٢].

إن أول مطبعة عربية في أوربا هي تلك التي أمر بإنشائها الكردينال (فرديناندو دي مدتشي) كبير دوقات توسكانا، وكان يرأس هذه المطبعة والتي مقرها في روما شاب ايطالي يدعى (جيوفاني بتستا رايموندي) والذي اقام في المشرق فترة طويلة.

وابتداءً من (٦ سبتمبر ١٥٨٦ م) اشتغلت المطبعة في جمع وطبع أول إنتاج لها وهو كتاب (القانون) لابن سينا، ومعه كتاب (النجاة) الذي هو مختصر (الشفاء). وتم انجاز طبع (القانون) ومعه (النجاة) في عام (١٥٩٣م).

---

(١) الإسلام في الغرب، جان بول روا: ١٤٥. ١٥٢.

(٢) يراجع لتفاصيل أكثر كتاب: موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي: ٥٥١. ٥٦٤، وكتاب تاريخ حركة الاستشراق، يوهان فوك: ١٥ ـ ٣٣.

كما وطبع في عام (١٥٩٢ م) في هذه المطبعة كتاب (الكافية) لابن الحاجب، وكتاب (الأجرومية) لابن أجروم، وكتاب (نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأقطار والبلدان والجزر والمدائن والآفاق) للشريف الإدريسي.

وفي عام (١٥٨٨ م) حصلت هذه المطبعة من السلطان العثماني مراد الثالث على امتياز طبع ونشر كتاب (تحرير أصول اقليدس) تأليف الخواجة نصير الدين الطوسي، وقد تم طبع هذا الكتاب في عام (١٥٩٤ م).

إلا أن هذه المطبعة قد توقفت من عام (١٥٩٣ م) إلى عام (١٦١٠ م) وارجح ما قيل في تفسير هذا التوقف هو أن طبع هذه الكتب لم يحظ بالقبول لدى الشرقيين لرداءة الحروف وقبحها وما فيها من أغلاط[١].

(١) موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي: ٥٥٧.

المبحث الثالث:

المستشرقون وأسس قراءة الإسلام والتراث الإسلامي

إن الأسباب الرئيسية في نظرة أوربا والعالم الغربي للإسلام والمسلمين ولتراثهم وتاريخهم؛ يتمثل في ثلاث أسباب رئيسية هي التي سببت قطيعة الشعوب الأوربية مع الإسلام والمسلمين، وهي نفسها تمثّل الأُسس التي اعتمد عليها المستشرقون وكتّاب الغرب في قراءتهم وفهمهم للتراث الإسلامي، وهذه الأُسس هي:

أولاً: الاعتماد على التراث السني فقط:

لقد اعتمد هؤلاء المستشرقون في قراءة الإسلام على التراث السني فقط بكل ما به من أخطاء وتحريفات ووضع. فالمتتبع لكتب الصحاح وبالخصوص (صحيح البخاري) يجده يذكر أحاديث كثيرة لأحكام فقهية لم يقل بها الرسول (ص) بل هي لغيره كما في كتاب البخاري (٨٦) كتاب الحدود (٣١) باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت، فنجد هذا الباب وما يترتب عليه من أحكام مبني على حديث منسوب لعمر بن الخطاب لا إلى الرسول محمد (ص)، ولا يوجد في هذا الباب قول للرسول(ص) وهو الموحى إليه. فكيف أصبح كلام غيره تشريعاً بوب له وعلى المسلمين العمل به، أكان البخاري في هذا وغيره غافلاً أم متعمداً؟!

يقول الأستاذ أحمد صبحي منصور بهذا الصدد: (نحن لا نوافق على المقولة الشهيرة، بأن البخاري أصح كتاب بعد القرآن)[(١)].

كما ويقول: (وأولئك الذين يحملون في قلوبهم قدسية للبخاري تعصمه من الوقوع في الخطأ إنما يرفعون البخاري إلى مكانة الألوهية من حيث لا يدرون أومن حيث يدرون)[(٢)].

ويقول الشيخ (محمد رشيد رضا) في معرض كلامه عن صحيح البخاري: (ما كلف الله مسلماً أن يقرأ صحيح البخاري ويؤمن بكل ما فيه)[(٣)].

نعم،(إن الممارسات الخاطئة للعقيدة الإسلامية من قبل العديد من الذين تسلطوا على المسلمين باسم الخلافة هم الذين شوهوا صورة الإسلام والمسلمين)[(٤)].

يقول ابن عرفة المعروف بنفطويه(ت٣٢٣هـ)بهذا الصدد: (إنّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتُعلت في أيام بني أمية تقرباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بني هاشم)[(٥)].

إذاً فإن المشكلة الأولى والأساسية والرئيسية موجودة في التراث الإسلامي، والمتمثلة بالمنظومة التراثية الإسلامية، والتي تعاني من تناقض واضح وجلي بين ما هو موجود فيها وبين ما هو مثبت ومبين في القرآن الكريم - في حد المعلوم والظاهر منه -، ولابد أن ينطلق العلاج من هذه

(١) القرآن وكفى مصدراً للتشريع الإسلامي، أحمد صبحي منصور: ١٠٨.
(٢) المصدر السابق: ١٠٨.
(٣) تفسير المنار، محمد رشيد رضا: ٢٩ : ١٠٤ ـ ١٠٥.
(٤) الإسلام والغرب حوار الحروف وصدام السيوف، راجي أنور هيفا: ٥٩.
(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي: ١١ : ٤٦.

المنظومة التي أعطت الفرصة لنقد الإسلام، والتجني عليه، ومحاربته، وطعنه في الصميم من قِبل غير المسلمين، وهذا يكون حين نُحسن قراءة تراثنا قراءة صحيحة[١].

ثانياً: الاعتماد على تراث العصور الوسطى:

فقد أعتمد المستشرقون في فهم ماهية الإسلام على تراث العصور الوسطى الذي بنته العقلية الصليبية وروجت له الكنيسة.

إذ (تعتبر الحروب الصليبية التي شنتها الكنيسة الكاثوليكية على المسلمين نقلة في العلاقات الإسلامية المسيحية، وبالتالي في الكتابات التي نشرها المتولون لأمر الدعاية الكنسية...)[٢]؛ وذلك لأنّ (الكنيسة المسيحية... رأت في نهوض وتصاعد تعاليم محمد عقيدة منافسة...)[٣].

فهذا الكاتب والمفكر الغربي (غاردنر) يبين حقيقة الحروب الصليبية وهدفها الأساسي والرئيسي إذ يقول: (لقد خاب الصليبيون في انتزاع القدس من أيدي المسلمين ليقيموا دولة مسيحية في قلب العالم الإسلامي... والحروب الصليبية لم تكن لإنقاذ هذه المدينة بقدر ما كانت لتدمير الإسلام)[٤].

ومن المعلوم أن تراث العصور الوسطى في أوربا بشأن الإسلام هو تراث معادي وصف المسلمين بالوحوش والإسلام بأشنع الأوصاف، والنبي محمد (ص) بصفات لا يمكن لنا أن نذكرها لبشاعتها.

---

(١) ظ: كتاب الأدوات المعرفيّة، ليث العتابي، موضوع: كيفية قراءة التراث: ١٤٥.
(٢) نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، لخضر شايب: ٤٥.
(٣) محمد والفتوحات الإسلامية، فرانشيسكو كبرييلي: ٦٣.
(٤) التبشير والاستعمار في البلاد العربية، عمر فروخ ومصطفى خالدي: ١١٥.

يقول الاستاذ عبد الجبار الناجي: (إن ما ورد من تفسيرات حاقدة في مؤلفات كتاب العصور الوسطى قد أثرت في الفرد الأوربي كثيراً، ثم أتسع الاعتماد عليها في تشويه صورة الإسلام)[١].

لقد كانت تعاليم (الكنيسة) وعقلية (القرون الوسطى) المحرك الدائم والأبدي حتى يومنا هذا لكثير من كُتاب أوربا و الغرب .

ثالثاً: الاعتماد على الكتابات غير الموضوعية لمجموعة من المستشرقين السابقين:

نحن على علم بأنّ أكثر المستشرقين كتب لخدمة أهداف دينية واقتصادية واستعمارية خاصة بهم و موجهة ضد الإسلام . بل كانت أهداف أكثرهم مقصودة في سبيل الطعن والتشويه.

فالكتابات الاستشراقية الحاقدة سلطت على الإسلام وشخص النبي محمد (ص) حقداً وحسداً وبغضاً لا مثيل له . كل ذلك ليعكس مدى تسلط الفكر الغربي على الأفكار الأخرى، ويعكس مدى التهميش الموجود في أوربا والغرب للشعوب غير الغربية، لتثبت بذلك نظرية (سيادة العرق الغربي) المعمول بها في الغرب، والمرتكِزة في ذات الفرد الغربي على المستوى العملي عند نظره إلى باقي الشعوب كل ذلك دفع بقادة الاستشراق (المؤدلج) إلى رمي الإسلام بالاتهامات الباطلة، وإلى الادعاء على نبي الإسلام (ص) بكل ما يحلو لهم من أباطيل وأكاذيب ما أنزل الله بها من سلطان، وليقفوا حاجزاً

(١) التشيع والاستشراق، عبد الجبار ناجي: ١٣٩.

منيعاً أمام الأفكار الإسلامية خوفاً من أن تتأثر بها شعوبهم، وبالتالي يكون لتلك الشعوب موقف إيجابي من الإسلام.

يقول (مونتغمري واط) في هذا الصدد: (ليس بين رجال العالم رجل كثر شانئوه كمحمد... فلقد كان الإسلام خلال قرون عدة العدو الأكبر للمسيحية... وأخذت الدعاية الكبرى في القرون الوسطى تعمل على إقرار فكرة (العدو الأكبر) في الأذهان، حتى ولو كانت تلك الدعاية خالية من كل موضوعية... حتى إذا ما حل القرن الحادي عشر كان للأفكار الخرافية... في أذهان الصليبيين أثر يؤسف له...)[١].

---

(١) محمد في المدينة، مونتغمري واط: ٤٩٣.

المبحث الرابع:

الخطاب الاستشراقي

إن الاستشراق ظاهرة من أهم الظواهر التي أشغلت بال الكثيرين في الأوساط العلميَّة، لا سيما في القرنين الأخيرين، لم يأت الاهتمام بالاستشراق من فراغ، ذلك ان المستشرق قد تصوّر نفسه العالم الأعلم بعلوم المسلمين، فيجب عليهم أن يأخذوا عنه الطريقة الصحيحة لتفسير كلام ربّهم، والفهم الصائب لأحاديث نبيّهم، والمنهج القويم في استنباط أحكامهم، بل وتحليل ما جرى من وقائع وأحداث في عهود أسلافهم. كل ذلك تحت ستار ما أسموه بالمنهج العلمي لدراسة النصوص الدينية، أو تحليل الوقائع التاريخية.

فكان مما انتهى إليه سلوك هذا المنهج الغربي المستحدَث: محاولة تقويض أسس دين المسلمين، بالطعن في كتابهم تارةً، وبالقدح في نبيّهم تارةً أخرى، وبالتشكيك في كل ما هو منصف في حق الإسلام و أتباعه تارةً ثالثة.

حتى قال برنار لويس وهو يأخذ على مستشرقٍ آخر تطرُّفَه في هذا الاتجاه: (لقد استخدم لامنس معيارين: أيّ شيءٍ معاد للإسلام أو للنبي ص يجب أن يكون صحيحاً، وأيّ شيء في صالحهما، يجب فحصه بنظرة دقيقة)[1]

ولنأخذ بعض الأمثلة برهاناً على أنّ موقف لامنس من الإسلام وكتابه ونبيّه(ص) ، لم يكن قط حالة شاذة في القاموس الاستشراقي، بل قاعدة مطّردة في كل العصور والعهود.

---

(١) الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي: دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس، مازن مطبقاني: ٥٩٩.

وفي المقابل نجد عالماً غربياً آخر يعدّ من أشهر المستشرقين الهولنديين، بل في العالم قاطبةً. أعني بذلك: المستشرق فنسنك، الذي وضع مع آخرين المعجمَ المفهرس لألفاظ الحديث الشريف، نجده يقدح في حديث صحيح، وهو حديث: ((بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحجّ، وصوم رمضان...))[(١)].

ففي مخيلة فنسنك، يجب ألا يصح هكذا حديث، لا لشيءٍ سوى أنّه قد اشتمل على لفظ الشهادتين، وهما في تصورّه لم تُوجدا إلاّ بعد وفاة النبي (ص بقرون عدّة، حين شعر المسلمون بالحاجة إلى إيجاد صيغة مَّا لعقيدتهم[(٢)].

ومن أمثلة مخالفة المستشرقين لأبسط أسس البحث العلمي حين يتعلق الأمر بالإسلام والمسلمين على وجهٍ عامٍ، وبالقرآن الكريم على وجهٍ خاص، ما صنعه مستشرق آخر في دراسة له حول هذا القرآن الكريم. فقد عمد المستشرق (ج. أ. بيلاّمي) إلى الطعن في عدد من الكلمات القرآنية، والتشكيك في أصالتها وصحتها، بل واقتراح تعديلها وتبديلها، واضعاً في سبيل ذلك قواعد غريبة، أفضت إلى نتائج مبكية مضحكة في آن واحدٍ. حيث لم يفلح في الإتيان بأيّ مبرّر علمي مقنع، سوى ما جمعه من أوهام وتخمينات، ونشرها في أعداد مختلفة من مجلة الجمعية الاستشراقية الأمريكية تحت عنوان: (تصويبات مقترحة لنصوص القرآن).

نعم، فبناءً على ما عُرف عن بعض هؤلاء المستشرقين من سعة الاطّلاع، يأتي سؤال مُلحٌّ ومحوريّ، ألا وهو: هل ثمة ما يبرّر علميًّا كل ما تقدّم من

(١) أمالي المفيد: ٣٥٣، وصحيح البخاري: ١ :١٢، و صحيح مسلم: ١ :٤٥.
(٢) Muslim Creed p.19.

تخبطات استشراقية، وأخرى لم تُذكر خشية الإطالة؟ أم أنّ للمستشرقين هدفًا غير علميّ، سعوا ويسعون من وراء الستار لتحقيقه؟ ولماذا يقعون في أخطاء إخالها لا تخفى على باحث في المراحل الأولى من التعليم؟

الإجابة عن هذه التساؤلات تتطلب التعرف بشكلٍ مجمل عن بداية الاستشراق، والدوافع الحقيقية التي أدّت إلى انطلاقه.

إن مما لا شكّ فيه أنّ اهتمام غير المسلمين من يهود ونصارى بدراسة الإسلام قديمٌ، يعود به بعضهم إلى السنوات الأولى من بزوغ فجر الإسلام، حيث تواجدُ عدد لابأس به من أهل الكتاب في الجزيرة العربية. لكن الانطلاقة الرسمية للاستشراق حسب احد الأقوال عن تاريخ ونشأة الاستشراق قد بدأت من مجمع فينا الكنسي سنة (١٣١٢م)، الذي أوصى بإنشاء عدة كراسي للغات في الجامعات الأوروبية الرئيسة[(١)].

فهكذا انطلقت الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، بدافع ديني، الهدف منه ليس خدمة الإسلام، بل البحث عن أساليب جديدة لمحاربة دين منافسٍ قد يحد من سلطة الكنيسة وسيطرتها[(٢)]. وإليكم ما شهد به المستشرق رودي باريت[(٣)] حيث قال: (حقيقةً، إنّ العلماء ورجال اللاهوت في العصر الوسيط كانوا يتّصلون بالمصادر الأولى في تعرّفهم على الإسلام، وكانوا

---

(١) الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، إسماعيل علي محمد: ١٥، و المستشرقون والتنصير، علي بن إبراهيم النملة: ٢٢.

(٢) Hussain, Asaf et al. (editors), op. cit., pp.5, 7 .

(٣) رودي باريت (١٩٠١-١٩٨٣م) مستشرق ألماني، ترجم معاني القرآن الكريم إلى الألمانية، وعمل أستاذاً للإسلاميات والساميات في جامعة بون، ثم في جامعة توبنجن. (موسوعة المستشرقين:٦٢-٦٣).

يتّصلون بها على نطاق واسع. ولكن كل محاولة لتقييم هذه المصادر على نحو موضوعي نوعاً ما كانت تصطدم بحكم سابق، يتمثّل في أنّ هذا الدّين المعادي للنصرانية لا يمكن أن يكون فيه خير)(١).

وتذّكرنا هذه الشهادة الاستشراقية بقول الطبيب الفرنسي موريس بوكاي في كتابه الشهير: (The Bible, the Quran and Science)(٢): (إن التصريحات الخاطئة تماماً التي تصدر عن الإسلام في الغرب، سببها أحياناً الجهل، وأحياناً أخرى تكون نتيجة تشويه منهجي). فدراسة الإسلام لدى المستشرقين كان الهدف الأول منها تشويه صورته، وتنفير الناس عن اعتناقه. وإلاّ، فما الذي يجعل عَلَماً استشراقياً مثل وليام موير(٣) يصف القرآن الكريم بأنّه (من ألّد أعداء الحضارة والحريّة والحق الذين عَرَفَهم العالم حتى الآن)(٤).

أضف إلى ذلك كلّه أنَّ عددًا لا يستهان به من المستشرقين المعاصرين هم مبشرون أولاً قبل أن يكونوا مستشرقين، وان طلائع المستشرقين من النصارى لم يكونوا ذوي مناصب دينية فحسب، بل إنهم قد انطلقوا فعلاً من الكنائس والأديرة(٥). ومن أبرز أولئك:

---

(١) نقلاً عن: الاستشراق بين الحقيقة والتضليل: ٢٨-٢٩.

(٢) الاستشراق بين الحقيقة والتضليل:١١٠.

(٣) وليام موير (١٨١٩-١٩٠٥م)، مستشرق اسكتلندي . عمل في أنشطة تنصيرية في بعض مناطق الهند، وتولّى أيضاً إدارة جامعة أدنبرة في اسكتلندة فيما بين ١٨٨٥ و١٩٠٣م. (موسوعة المستشرقين: ٥٧٨-٥٧٩).

(٤) Muir, William. Life of Mahomet from the Original Sources, London, vol. i, p.506 نقلاً عن: الاهتمام بالسيرة النبوية باللغة الإنجليزية، محمد مهر علي: ٣٢.

(٥) المستشرقون والتنصير، إبراهيم النملة: ١٩.

١ــ همفري بريدو (١٨٦٢-١٩٣٧م): إنجليزي، كان مديرا لسانت كليمنت في أكسفورد، ومحاضراً للغة العبرية في كلية كنيسة السيد المسيح. له كتاب في السيرة عَنْوَن له بقوله: (الطبيعة الحقيقية للخداع كما يتجلى كاملاً في حياة محمد) (The True Nature of Imposture Fully Displayed in the Life of Mahomet).

٢ـ القس هنري لامنس (١٨٦٢-١٩٣٧م): بلجيكي، فرنسي الجنسية، من الرهبان اليسوعيين، تخرج في جامعة القديس يوسف في بيروت، ودرّس اللاهوت في إنجلترا. كان شديد التعصب ضد الإسلام، ويُعدّ نموذجاً سيئاً للباحثين في الإسلام من بين المستشرقين، كما تقدّم ذلك في تصريح المستشرق الإنجليزي ثم الأمريكي برنارد لويس.

٣ـ د. ب. ماكدونالد (١٨٦٣-١٩٤٣م): أمريكي، أنشأ في هارتفورد مدرسة كينيدي للبعثات التنصيرية، وأشرف على القسم الإسلامي فيها. وأنشأ بالتعاون مع زويمر: مجلة (العالم الإسلامي). من مؤلّفاته: التصوف الإسلامي والنصراني، و عرض النصرانية للمسلمين.

٤ـ صمويل زويمر (١٨٦٧-١٩٥٢م): أمريكي، رئيس المبشرين في المنطقة العربية من الشرق، له مؤلَّفات عدّة في العلاقة بين الإسلام والنصرانية، تميّزت بالتعصب والتضليل الشديدَيْن، ما أفقدها قيمتها العلمية. تولّى رئاسة تحرير مجلة (العالم الإسلامي) التنصيرية التي أنشأها هو و د.ب. ماكدونالد.

٥ــ ج. هـ. كرايمر (١٨٨٨-١٩٦٦م): هولندي، بدأ نشاطه بخدمة الإرسالية البروتستانتية بجاوة في إندونيسيا، وعمل أستاذاً لتاريخ الأديان في

جامعة ليدن. وله كتب عن الإسلام منها: إسرائيل والإسلام. شارك في إعداد وتحرير دائرة المعارف الإسلامية.

٦ـ كينيث كراج إنجليزي معاصر: خلف زويمر في أنشطته التبشيرية، بما فيها رئاسة تحرير مجلة (العالم الإسلامي). وهو أستاذ الدراسات الاستشراقية في أكثر من جامعة، منها الجامعة الأمريكية في بيروت. من أبرز مصنّفاته: نداء المئذنة، و قراءات في القرآن (Readings in the Qur'an) الصادر عامَ ١٩٨٨م[١].

فترى مدى التلاقي بين أهداف المبشرين ومآرب المستشرقين، وينبغي ألا يتصور أحدٌ أنَّ الباحث يجهل أو يتجاهل أن ثمة مستشرقين غير نصارى، فضلاً عن أن يكونوا مبشرين، أمثال اليهوديين: اجانتس جولدزيهر، ويوسف شاخت، وغيرهما. كما أنّ هناك مستشرقين علمانيين أو ملحدين، هدفهم خدمة الإلحاد ولا علاقة لهم بالدّين، حتى وإن انتموا إلى النصرانية ظاهرًا[٢]. ولكن ما يمكن الاشارة له هو: أنَّه حتى هذه الفئة من المستشرقين، نجدها قد خَدَمت جزءاً مما رسمه المبشرون من الخطط، وذلك الذي يتعلق بهدف تشكيك المسلم في دينه وهز ثقته في كتابه ونبيّه، دون الحاجة إلى إدخاله في النصرانية.

يقول المستشرق صمويل زويمر: (مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد الإسلامية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية فإنَّ في

---

(١) ظ: المستشرقون لنجيب العقيقي، و موسوعة المستشرقين للدكتور عبد الرحمن بدوي، و المستشرقون والتنصير للدكتور علي النملة، والاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي للمطبقاني: ٣٩-٤٠، و٤٩-٥٠.

(٢) ظ: المستشرقون والتنصير، علي النملة: ١٦.

هذا هداية لهم وتكريماً، وإنما مهمتكم أن تُخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله)[(١)].

وجاء في خطابٍ لأحد المتحدّثين في المؤتمر التنصيري الذي انعقد عام (١٩٢٧م) بجبل الزيتون في فلسطين: (أتظنون أنّ غرض التنصير وسياسته إزاء الإسلام هو إخراج المسلمين من دينهم ليكونوا نصارى؟ إن كنتم تظنون ذلك فقد جهلتم التنصير ومراميه... ولكن الغاية التي نرمي إليها هي إخراج المسلم من الإسلام فقط ليكون مضطرباً في دينه، وعندها لا تكون له عقيدة يدين بها ويسترشد بهديها. وعندها يكون المسلم ليس له من الإسلام إلا اسم: أحمد أو مصطفى. أما الهداية فينبغي البحث عنها في مكان آخر)[(٢)].

ومن جهةٍ أخرى فإنّ العلمانيين من المستشرقين، وإن أعلنوا رسمياً، وفي أكثر من محفلٍ، رفضَهم التقيّد بدين معيّن، إلا أنّ الملاحظ أنّ كلامهم هذا إنما ينطبق على ممارساتهم في حياتهم الخاصة، بينما يصعب عليهم عمليًّا التخلي عن ميولهم الكنسية أو المؤدلجة في إنتاجهم الفكري أو العلمي المتعلِّق بالإسلام أو المسلمين، والشواهد على ذلك أكثر من أن تُحصى.

إذاً، هناك قاسم مشترك بين ظاهرتي الاستشراق والتبشير، يتمثّل في محاولة تشكيك المسلمين في دينهم، وقد كان ذلك مقصدا أساسياً لدى أوائل المستشرقين، يهوداً كانوا أم نصارى أم غير ذلك.

---

(١) تنصير المسلمين، عبد الرزاق دياربكرلي: ٢٢، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: ١٦٢-١٦٣.

(٢) جريدة السياسة المصرية، العدد ٣١٤٥، التاريخ ٢٠/٦/١٩٣٣م، نقلاً عن ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي، للدكتور إبراهيم عكاشة علي: ٣٨.

نعم، فالعلاقة بين الشرق والغرب قد قامت على العداء الديني ورفض ان يكون الإسلام بديلاً للمسيحية. إلاَّ أنَّ العلاقة بين الظاهرتين بدأت تنجلي أكثر فأكثر حين اختار رؤساء الكنيسة النُّزول بأنفسهم إلى ميدان الاستشراق؛ حيث لاحظوا أن نجاح حملاتهم التنصيرية في بلاد المسلمين يتوقف إلى حدٍّ كبير على مدى إلمام مبعوثيهم بعلوم هؤلاء وثقافتهم، فعمدوا إلى إقحام تعليم اللغة العربية في بعض معاهدهم وجامعاتهم، وأُنشئت مطابع عربية، وجُمع عدد كبير جدًّا من التراث الإسلامي؛ مخطوطه ومطبوعه[1].

وحتى بعد ما ظهر ـ في الحِقبة الأخيرة ـ جيل جديد من المستشرقين دعوا إلى تحرير الاستشراق من الأهداف التنصيرية، والاتجاه به نحو بحث علمي مستقلّ يستهدف المعرفة وحدَها، فافتُتحت في أكثر من بلد غربي أقسامٌ للدراسات الشرقية أو العربية أو الإسلامية في الجامعات[2]، إلا أنَّ المتتبع لكتابات هؤلاء المستشرقين الجُدد أو مناهج تلكم الأقسام وآثارها، المتمثلة في خريجيها وطلابها من أبناء المسلمين خاصةً وما يحملون من أفكار، يجد أنَّ الاستشراق ما زال مادة مناسبة للتبشير وسنداً قوياً له، لا سيما في مجال التشكيك في الإسلام وتشويه صورته.

وأمثلة الخلط الاستشراقي المتعمد وغير المتعمد، والجاهل كثيرة أكثر من ان تحصى، فقد زعم المستشرق (روبرت روبرتس) أنّ تفسير الجلالَيْن من

(١) التبشير والاستشراق، محمد عزت الطهطاوي: ٣٥، ٣٩-٤٠، والمستشرقون والتنصير، النملة: ١٨، ٢٥، و الاستشراق في الأدبيات العربية، النملة:٨٠-٨١.
(٢) ظ: التبشير والاستشراق، الطهطاوي:٤٠.

تأليف رجلٍ وابنه، الأب هو: جلال الدّين السيوطي، والابن هو: جلال الدّين المحَلِّي؟

إن جلال الدين السيوطي (الأب في زعم المستشرق) هو: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، أبو الفضل، عاش بين(٨٤٩-٩١١هـ/ ١٤٤٥-١٥٠٥م). أما ابنه – حسب ما أتحفنا به المستشرق- وهو: محمدٌ بن أحمد بن محمد، أبو عبدِ الله، فقد وُلد قبل (أبيه) السيوطي بثمانٍ وخمسين سنة، وذلك عام ٧٩١هـ/ ١٣٨٩م، وتوفي عامَ ٨٦٤هـ/ ١٤٥٩م، حين لم يكن السيوطي (أبوه) قد بلغ حتى السادسة عشرة من العمر[١].

ولعل قائلاً يقول: قد يكون مثل هذا الكلام صدر من المستشرق في كتابة غير محررّة أو غير علميَّة.

فنقول: لمثل من يحمل هذا الظن عذرُه، لكن نفيده بالقول: أنَّ الكلام قد سطّره المستشرق روبرتس في كتابٍ له مطبوع ومنشور، ويعتبر جزءًا من متطلبات حصوله على درجة الدكتوراه في علوم المسلمين.

إن القراءة الاستشراقية لأسس حضارتنا، ومنها القرآن الكريم كانت في الغالب قراءة مقطعة مجزأة، قراءة ساحرة للعقول الضعيفة، فـ(الاستشراق، لسعيه إلى أمرين لا يمكن تلخيصهما، الإسلام والعرب، لم يصل إلى مستوى الانثروبولوجية الثقافية إلا بواسطة متغيرات: دراسة اللغة العربية كلغة ميتة،

---

(١) ظ: معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة: ٢ :٨٢، و: ٣ :٩٣.

والعرب كشعب بائد، سلسلة من الشعوب والحضارات، كحشرات متحركة لعلم نبات قديم)[(١)].

ومن أعمال التخريب في قراءة الاستشراق ما نجده من التشكيك في الثوابت العقائدية للدين الإسلامي، والتطاول على مقدساته بدعوى تحري النّزاهة والموضوعية، وكذا الطعن في الحقائق التاريخية التي تعلقت بالحضارة الإسلامية بدعوى التزام مقتضيات النقد العلمي.

ولقد بات شطر كبير من هذه الدراسات الاستشراقية يعيش حالة من الإفلاس؛ بسبب النظرة العدائية السابقة التي لا تسمح للباحث أن يقف على الحقيقة الناصعة البيضاء لديننا وعقيدتنا السمحاء.

لقد عمل المستشرقون على تشويه صورة الإسلام والمسلمين، والتشكيك في معتقداتهم وثقافتهم، وتصوير الإسلام باعتباره خطرا، يقول المستشرق (ماكسيم رودنسون) في كتابه جاذبية الإسلام: (لقد كان المسلمون خطرا على الغرب، قبل أن يصبحوا مشكلته)[(٢)].

نعم، إنَّ الاستشراق ليس كله تبشيراً، والتبشير ليس كله استشراقًا. فهناك مستشرقون –وإن قلّوا– هدفهم علميّ بحت، ودافعُهم حبُّ الاطّلاع على الحضارات والأمم وأديانها وثقافاتها ولغاتها، من غير تعمّد الدس والتحريف، وأبحاث هؤلاء غالباً ما تكون أقربَ إلى الحقيقة، وألصقَ بالمنهج العلمي الأصيل.

---

(١) تاريخ الاستشراق الألماني، أحمد حسن عبد السلام، ضمن الفكر العربي، ع٣١، س٥، ١٩٨٣م: ١٩٠.

(٢) M.Rodinson: La Fascination de l islam, éd Maspero, Paris 1980. p19.

الفصل الثاني

القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية

المبحث الأول

المستشرقون والقرآن الكريم

لقد اهتمت أوربا بالقرآن الكريم منذ زمن بعيد، منذ أن بات الإسلام يشكل خطراً يهدد عروش الإمبراطورية الرومانية وتوابعها، فبدأت الترجمات، والردود، والطعون على هذا الكتاب على الدين الإسلامي، وعلى شخص النبي محمد٩ وما قيام الحروب الصليبية إلا للوقوف بوجه الدين الذي هدد عروش الامبراطورية الرومانية وحلفائها، وأطاح بصروح الكنيسة، إذ صرح المستشرق الألماني (كارل بيكر)[1] بذلك فقال: (إن هناك عداءً في النصرانية للإسلام بسبب أن الإسلام عندما انتشر في العصور الوسطى أقام سداً منيعاً في وجه انتشار النصرانية، ثم امتد إلى البلاد التي كانت خاضعة لصولجانها)[2].

فظهر . من جراء ذلك. تيار العداء الفج والصريح للقرآن الكريم، ومن أنموذجات هذا التيار (مارتن لوثر)[3] الذي قال عن القرآن الكريم: (أي كتاب بغيض وفظيع وملعون هذا القرآن، مليء بالأكاذيب، والخرافات، والفظائع، وإن إزعاج محمد والإضرار بالمسلمين، يجب أن تكون هي المقاصد

---

(١) كارل هاينريش بيكر (١٨٦٧- ١٩٣٣ م) ولد في أمستردام. تاريخ حركة الاستشراق: ٣٣٧.

(٢) الإسلام وشبهات المستشرقين، الشيخ فؤاد كاظم المقدادي: ١٣١ .

(٣) مارتن لوثر (١٤٨٣- ١٥٤٦ م).

مـن وراء ترجمـة القـرآن وتعـرف المسـيحيين عليـه)[١]، وكـذلك (دانـتي)، و(لامنس)، وغيرهم.

لقد تعرض المستشرقون للقرآن الكريم بالنقد، وإثـارة الشـبهات، وذلـك بهدف إسقاط دليل سماوية هذا الكتاب، والطعن بنبوة النبي محمد٩، وبالتـالي إسقاط قدسيتهما في أعين المسلمين وغيرهم.

فأثار (ديفيد صموئيل مرجليوث)[٢] شبهة بلاغة الشعر الجـاهلي، وادعـى (كارل فلرس)[٣] و(باول كراوس)[٤] أن القرآن لم يكـن معربـاً، وأن اللغـويين هم الذين أعربوه[٥].

و تطرق المستشرق الفرنسي (كازانوفا)[٦] في كتابه (محمد ونهاية العالم) إلى أن القرآن قد أضيف إلى الرسول محمد ٩ بعد وفاته.

أما المستشرقان (إبرهام جايجر)[٧] و(رودي بارت)[٨] فقـد أدعيـا أن الـنبي محمد ٩ قد أستقى الكثير من تعاليم القرآن الكريم من كتب الأديان السابقة.

---

(١) أكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسنة، رسول جعفريان، تقديم محمد عمارة: ١٢.

(٢) مستشرق إنكليزي (١٨٥٨- ١٩٤٠ م).

(٣) مستشرق ألماني (١٨٥٧- ١٩٠٩ م).

(٤) مستشرق ألماني من أصل تشيكوسلوفاكي (١٩٠٤- ١٩٤٤ م).

(٥) مخططات الاستشراق، أنور الجندي، مجلة منار الإسلام، العدد ٧، السنة ١٤.

(٦) مستشرق فرنسي (١٨٦١- ١٩٢٦ م).

(٧) إبرهام جايجر (١٨١٠- ١٨٧٤ م) له كتاب (ماذا اقتبس محمد من اليهودية ؟) نشر باللغة باللغة الألمانية في سنة (١٨٣٣ م). يراجع لذلك كتاب: تاريخ حركة الاستشراق، يوهان فوك: ١٧٥.

(٨) مستشرق ألماني (١٩٠١- ١٩٨٣ م) ترجم القرآن إلى الألمانية مع شرح فيلولوجي، له كتاب (محمد والقرآن).

كما وأورد (رودي بارت) بأن الدعوة التي قام بها النبي محمد ﷺ وهذه التصورات والأفكار الدينية كانت إشعاعات من المسيحيات واليهوديات التي كانت موجودة في الجزيرة آنذاك[١].

وحاول مستشرقون آخرون أن يثبتوا أن القرآن تأثر بالديانات، والكتب، فالمستشرق (ك. آرينز) له بحث جدلي يحمل عنوان: (عناصر نصرانية في القرآن)[٢] نُشر في المجلة الألمانية الشرقية (١٩٣٠ م)، وكتب (ج. بوستل)[٣] عن (توافق القرآن والإنجيل، عام ١٥٤٣ م)، وكتب (أ. بومشتارك)[٤] (مذهب الطبيعة الواحدة النصراني في القرآن، عام ١٩٥٣ م)، وكذلك فإن للبارون (كرا دي فو)[٥] (اسطورة الراهب المسيحي بحيرا، عام ١٨٩٨ م)[٦] نشر في مجلة الشرق المسيحي، وبحوث أخرى كثيرة بهذا الصدد.

نعم، فلقد شهدت بدايات القرن العشرين (صرعة " مودة " تقديم القرآن للقارئ الأوربي باعتباره مختارات من أفكار اليهودية والمسيحية، بالإضافة لقليل من الزيادات المحددة، ومعنى هذا انتفاء الجدة والأصالة والواقع، إن هذه النظرة تعد بقية من بقايا الدعاية المسيحية التي سادت فترة الحروب الصليبية، عندما كان على أوربا الغربية التي كانت ترتعد فرائصها من جيوش الإسلام أن تقوي دفاعاتها برسم صورة زائفة عن الإسلام، إن القرآن لم يكن

---

(١) محمد والقرآن، رودي بارت: ٦٤.
(٢) المستشرقون، نجيب العقيقي:٣ : ٥٣٧.
(٣) ج. بوستل (١٥٠٥– ١٥٨١ م).
(٤) أ. بومشتارك (١٨٧١..... م).
(٥) كرا دي فو (١٨٦٧– ١٩٥٣ م) مستشرق فرنسي.
(٦) موسوعة المستشرقين، بدوي: ٤٦٣.

مجرد ترديد لأفكار يهودية ومسيحية، فلقد أكد الإسلام نفسه بالفعل كدين مستقل عن اليهودية والمسيحية، وثمة ما يؤكد أن الإسلام كان بمثابة مستودع لدين إبراهيم في حالة نقائه الأولى)[١].

أننا هنا نحب أن نورد فائدة للباحثين والقراء الكرام حول طباعة (القرآن الكريم) في أوربا، وأول الطبعات، وما يتعلق بهذا الموضوع المهم[٢]:

١- تشير جملة من المصادر التاريخية إلى أن أول طبعة للقرآن الكريم في نصه العربي هي تلك التي تمت في مدينة (البندقية) في سنة (١٥٣٠ م) تقريباً.

٢- طبع توما اربنيوس (سورة يوسف) بنصها العربي، مع ثلاث ترجمات لاتينية وشروح في ليدن عام (١٦١٧م).

٣- طبع(يوهان زيشندروف)في رسالتين بدون تاريخ السورتين رقم (١٠١) ورقم (١٠٣) في القرآن الكريم؛ في طبعة أولى، والسورتين رقم (٦١) ورقم (٧٨) في طبعة ثانية؛ بحروف عربية منحوتة على الخشب.

٤- طبع (كريستانوس رافيوس) في امستردام السور الثلاثة عشر الأولى من القرآن بحروف لاتينية، وفي مقابلها ترجمة لاتينية عام (١٦٤٦ م).

٥- طبع (يوهانس جورج نسليوس) السورة الرابعة عشر والخامسة عشر بالنص العربي والحروف العربية مع ثلاث ترجمات لاتينية في ليدن (١٦٥٥ م).

---

(١) أكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسنة: ١٦.

(٢) يراجع لذلك: موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي: ٤٣٨ـ ٤٤٥.

٦- طبع (ماتياس فردريك بكيوس) السورتين (٣٠) و(٨٨) اعتماداً على اربعة مخطوطات عربية مع ترجمة لاتينية وتعليقات في اوغسبرغ (١٦٨٨م).

٧- طبع القس الألماني (إبرهام هنكلمان)[1] أول طبعة كاملة للقرآن بحروف عربية انتشرت ولا يزال توجد نسخ منها في بعض مكتبات أوربا، وذلك عام (١٦٩٤ م) في مدينة هامبورغ الالمانية، وتقع في (٥٦٠) صفحة.

٨- طبع (الراهب لودوفيكو مرتشي)[2] طبعة للقرآن الكريم تعد أجود من طبعة (هنكلمان) إذ تمت الطباعة في مدينة بتافيا عام (١٦٩٨ م).

كما وقد طبع مرتشي في عام (١٦٩١ م) في مطبعة هيئة نشر الدعوة التابعة للبابا في روما كتاباً بعنوان (الرائد إلى الرد على القرآن) في اربعة أقسام.

٩- قام (اندرياس اكولوثوس)[3] بنشر مختارات من القرآن بالعربية والفارسية والتركية واللاتينية في برلين عام (١٧٠١ م).

١٠- طبعة كاملة للقرآن في نصه العربي تمت في بطرسبرج عام (١٧٨٧ م) في (٤٧٧) صفحة. وقد نشرت برعاية امبراطورة روسيا (كاترينا)[4] ليستفيد منها رعاياها المسلمون، وقد أشرف على الطبع (الملا عباس إسماعيل).

---

(١) إبرهام هنكلمان (١٦٥٢- ١٦٩٥ م).

(٢) لودوفيكو مرتشي (١٦١٢- ١٧٠٠ م).

(٣) اندرياس اكولوثوس (١٦٤٥- ١٧٠٤ م) مستشرق ألماني استاذ علم اللاهوت، ابن القس يوهانس اكولوثوس المسؤول على كنائس ومدارس بريسلاو بألمانيا.

(٤) الامبراطورة كاترين أو كاترينا وهي (صوفي أوجستا فريدريكا) (١٧٢٩- ١٧٩٦ م).

١١- طبع النص العربي الكامل للقرآن مرتين في قازان في عـام (١٨٠٣م) وقد أشرف على هذه الطبعة (عبد العزيز توقطمش بن علي).

١٢- طبع (غوستاف فلوجل)[١] القرآن في ليبتزك عـام (١٨٣٤ م) والـتي تعتبر عمدة الطبعات الأوربيـة، والمرجـع للبـاحثين في أوربـا، إذ طبعـت هـذه الطبعة فيما بعد أكثر من مرة.

ليس من قبيل المصادفة أن يحاول المستشرقون تركيـز اهتمـامهم في فهمهـم للحضارة العربية الإسلامية على القرآن الكريم، (ولعل هذا هو ما كان حـافزاً لإنشاء شعبة للدراسات الإسلامية وُضعت لخدمـة الكنيسـة، في احـتراس تـام من تقديم صور تخدم الإسلام، وهو مفهـوم لم يكـن جديـداً، وتعـود جـذوره التاريخية إلى القرون الوسـطى، الـتي ورثـت عنهـا الفـترات اللاحقـة (خرافـة سوداوية الإسلام).. وقد ذهب هـذا الاحـتراس بالكنيسـة، إلى حـدٍّ أن الأب ماراشي أحـد المترجـين الأوائـل لمعـاني القـرآن الكـريم، صـنف الكـالفينيين والساكرامنتريين ضمن الجماعات المحمدية كأعداء لصورة القديسة)[٢].

يرى الدكتور لطفي العالم أن (القرآن كان أول كتاب في تاريخ النقـد كلـه، وكان القـرآن الكـريم أول مـن كشـف عـورات العقائـد، وكـان المستشـرقون أنفسهم أول من شهد له بذلك. يقول المستشرق باريت: (المسلمون هم الـذين بدأوا بالهجوم فليتحملوا تبعة عملهم)[٣]، وهي بدون شـك مغالطـة بقـدر مـا تستبطن من تحامل على الإسلام تبرر الهجوم الحاقد على القرآن وثقافته.

(١) غوستاف ليبرشت فلوجل (١٨٠٢- ١٨٧٠ م) مستشرق ألماني، من آثاره (تاريخ العرب) في ثلاث مجلدات: درسدن وليبتسك، ١٨٣٢، ١٨٣٨، ١٨٤٠ م.
(٢) مكونات الأدب المقارن في العالم العربي، سعيد علوش:٢٢١.
(٣) نحن والاستشراق، عمر لطفي العالم، ضمن رسالة الجهاد، ع٨٨، س١٩٩٠م : ٨٦-٨٧.

هنكلمان قبل ماراشي في إيطاليا، نشر في هامبورغ دراسة مقارنة للإسلام والمسيحية، وإذا كنا نجد فيها القرآن بالعربية، فإنه ألحق به مجموعة طويلة من الملاحظات والمراجع من أجل الطعن فيه وتفنيده.

وجدير بالذكر أن اهتمامات العديد منهم كانت منذ البداية فيلولوجية انصبَّتْ على تحقيق النصوص المتعلقة بعلوم القرآن فخدموا بذلك جانبا من ثقافتنا العربية والإسلامية إذ أخرجوها إلى النور من بطون المخطوطات التي استولوا على أكثرها في تاريخ من القرصنة مشهور وإن كنت أرجح أن هذه الخدمة لم تكن مقصودة لذاتها بل جاءت في سياق تفتيشهم وتنقيبهم عما به ينقضون صرح هذا الدين الحنيف.

المبحث الثاني:
المستشرقون والدراسات النقدية للقرآن الكريم

إن المستشرقين المتخصصين اهتموا بالقرآن الكريم لكن على وفق أسس منهجية مرتبطة بعلم نقد العهد القديم، أو علم نقد الكتاب المقدس، إن المجموعة التالية سنرتبها ترتيباً تاريخياً يسمح بمعرفة تطور هذه المدرسة في ألمانيا وبريطانيا، وظهور ممثلين لها في بعض المدارس الاستشراقية الأوروبية الأخرى، وهي:

١ - المستشرق الألماني هـ. إيفالد (١٨٠٣-١٨٧٥):

تخصص (هـ. إيفالد) في فقه اللغة العربية على يد (دي ساسي) (١٧٥٨-١٨٣٨) وعُين أستاذاً لفقه اللغة في جوتنجن، وأسس مع المستشرق (فلايشر) أسس دراسة اللغة العربية في ألمانيا. واشتهر (إيفالد) أيضاً بتعمقه في اللاهوت البروتستانتي فجمع بين التخصص في فقه اللغات السامية، ونقد العهد القديم، واللاهوت[1]. وهي أهم تخصصات المستشرقين الألمان البروتستانت الذين اكتشفوا أهمية فقه اللغات السامية في فهم (الكتاب المقدس)، واللاهوت النصراني. ومن أهم أعماله كتاب: (قواعد اللغة العربية) بالألمانية في مجلدين (ليبزج ١٨٣١-١٨٣٣)، وفهرس المخطوطات الشرقية، والعروض العربية (رونشفيج ١٨٢٥)، وشعر علي بن أبي طالب (الصحيفة الشرقية لفيينا العدد ٢، ١٩٢)، وعديّ بن زيد (العدد ٣، ٥٤ من

---

(١) نجيب العقيقي، المستشرقون: ٢ : ٣٦٤-٣٦٥، و تاريخ نقد العهد القديم: ١٢١-١٢٢.

الصحيفة نفسها)، وترجم (فتوح أرمينيا وبلاد ما بين النهرين) للواقدي (جوتنجن ١٨٢٧).

وقد تتلمذ عليه (يوليوس فلهاوزن) مؤسس علم نقد الكتاب المقدس والذي خلفه في جوتنجن، وقام بنشر أعماله بعد موته.

وقد استفاد (إيفالد) من منهج المستشرق الفرنسي (أنطوان سلفستر دي ساسي) عالم فقه اللغة الذي أرسى مبدأ الفصل بين معطيات الماضي العلمية ومتطلبات الحاضر أو العالم الراهن حتى لا يتأثر البحث العلمي بالقبول اللاشعوري بالآراء الشائعة، والنداء بضرورة الشك في التركيبات والتعميمات السهلة كشرط ضروري لبناء تركيبات أعلى جديدة على أساس علمي سليم. وأرسى (دي ساسي) أيضاً مبدأ الانفصال عن اللاهوت، أي انفصال المنهج العلمي عن اللاهوت[1]. وقد طبق هذا في الدراسات التاريخية وانتهى إلى تطبيق منهج النقد التاريخي على الكتب المقدسة اليهودية والنصرانية. كما طبقه المستشرقون على الدراسات الإسلامية في القرن التاسع عشر. وقد اشتمل النقد التاريخي للعهدين القديم والجديد على نقدين: نقد النص من حيث النسخ المتعددة، وتحقيقها وتصحيحها فيما عُرف بالنقد النصي Textual Criticism، ونقد مادة هذه النصوص والذي عُرف بالنقد العالي Higher Criticism.

وانطلاقاً من النقد الذي أرساه (دي ساسي) تأسس اتجاه المستشرقين في الدراسات القرآنية، وكان (إيفالد) التلميذ المباشر لـ(دي ساسي) مع

(١) الإسلام في الكتابات الغربية، محمد توفيق حسين، مجلة عالم الفكر العدد الخاص (دراسات إسلامية) وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٨٤: ٧٣.

المستشرق (فلايشر) أول من طبق هذا المنهج المستمد من نقد العهد القديم على الدراسات الإسلامية والقرآنية. ولعل أهم إنجاز إيفالد في هذا الخصوص تأسيسه لمدرسة نقدية في الدراسات الإسلامية والقرآنية من أبرز أعضائها تلميذاه (تيودور نولدكه) (١٨٣٦-١٩٣٠) (ويوليوس فلهاوزن) (١٨٤٤ - ١٩١٨).

٢ - تيودور نولدكه (١٨٣٦-١٩٣٠):

تلميذ (إيفالد) فقد تعلم عليه اللغات السامية، والفارسية، والتركية، والسنسكريتية في جامعة جوتنجن. ثم أكمل دراسته في جامعات ليبزج، وفيينا، وليدن، وبرلين. وهو أستاذ اللغات السامية والتاريخ الإسلامي بجامعة جوتنجن (١٨٦١) وأستاذ التوراة واللغات السامية والسنسكريتية في جامعة كييل (١٨٦٤). وأستاذ اللغات الشرقية في ستراسبورغ، تتلمذ عليه عدد من كبار المستشرقين مثل (زاخاو، وبروكلمان، وياكوب، وشوالي)[(١)].

ويعدّ (نولدكه) بحق مؤسس الدراسات النقدية عن القرآن الكريم متأثراً بمنهجية (دي ساسي) و(إيفالد). وهو صاحب تأثير كبير على المستشرقين من بعده في دراسة القرآن الكريم.

ويظهر التأثر بعلم نقد العهد القديم عند (نولدكه) في دراسته للقرآن الكريم أعمال كثيرة له منها: رسالته للدكتوراه وعنوانها (أصل وتركيب سور القرآن) (١٨٥٦-١٨٦٠). وقد نال عليها جائزة مجمع الكتابات والآداب في باريس (١٨٥٨). ويظهر من عنوان الرسالة تأثير المنهج في نقد العهد القديم.

---

(١) المستشرقون والقرآن، عمر لطفي العالم: ١٤٩.

وهو منهج يقوم على دراسة المصدر أو المصادر، والبنية الأدبية للنص. ومن الواضح أن اهتمام نولدكه بتطبيق منهج نقد العهد القديم علي القرآن الكريم قد بدأ منذ إعداد رسالته للدكتوراه، وقد عين فيما بعد أستاذاً لنقد التوراة في جامعة كييل (١٨٦٤)، فجمع بهذا بين التخصص في نقد التوراة ونقد القرآن[1].

وقد أعاد نولدكه النظر في رسالته للدكتوراه مرتين فقد أعاد كتابتها من أجل الحصول على جائزة مجمع الكتابات والآداب في باريس، ثم أعاد النظر فيها مرة ثانية، وقام بترجمتها من الفرنسية إلى الألمانية معطياً لها عنواناً جديداً يربطها أكثر بالمنهج في نقد العهد القديم فقد حمل الكتاب المنشور في جوتنجن عام ١٨٦٠ عنوان: (تاريخ النص القرآني) من خلال البحث في تاريخ السور والآيات القرآنية. وقد اشتغل على هذا الكتاب المصدر في موضوعه عدد من المستشرقين فقد جدده المستشرق شيفالي بعد تحقيقه والتعليق عليه في مجلدين نشر (ليبزج ١٩٠٩-١٩١٩)، كما قام المستشرق برجشتراسر والمستشرق بريتسل بنشر الجزء الثالث منه في ليبزج ١٩٢٦ - ١٩٣٥، ثم أعاد طبعه منقحاً عام ١٩٣٨. وهكذا يمكن القول بأن هذا الكتاب استغرق ما يزيد على ثمانين عاماً من العمل المتواصل بين تأليف وزيادة، وتنقيح، وتصحيح وترجمة، وذلك منذ إعداده كرسالة دكتوراه عام ١٨٥٦م وحتى نشر برجشتراسر وبرتسل للجزء الثالث منه عام ١٩٣٨ مع ملاحظة التطور الذي

---

(١) المستشرقون والقرآن، عمر لطفي العالم: ٣٧٩ - ٣٨٠.

أدخل على العنوان من عنوان الرسالة (أصل وتركيب سور القرآن) إلى عنوان الكتاب (تاريخ النص القرآني).

ويشير العنوان المختار للكتاب إلى تطبيق تام لمنهج نقد العهد القديم على القرآن الكريم، فمدرسة نقد العهد القديم اهتمت بمسألة الوصول إلى تاريخ نصوص العهد القديم بداية بتاريخ النص التوراتي، وانطلاقاً إلى تحديد تواريخ لنصوص العهد القديم الأخرى.

وقد تحول كتاب نولدكه هذا إلى مصدر أساسي لكل الدراسات الاستشراقية عن القرآن الكريم. ويؤكد الدكتور محمد توفيق حسين هذه الحقيقة بقوله: (وكتاب نولدكه وتلامذته هو الأساس لكل الدراسات اللاحقة في الموضوع، ويتضمن الخطوط العامة الجوهرية لمنهج المستشرقين في الدراسات القرآنية... وكل ما ينشر من كتب ومقالات عن القرآن يعتمد على الخطوط الجوهرية العامة لمنهج نولدكه وتلامذته الذي أصبح يُعرف بـ (مدرسة نولدكه للدراسات القرآنية) وقد اعتمدت المقالات الأساسية عن القرآن الكريم في دائرة المعارف البريطانية، ودائرة المعارف الإسلامية، ودائرة معارف بوردا الفرنسية على التعريف بالقرآن وفقاً لمنهج نولدكه الساعي إلى البحث عما يسمى بـ (مصادر القرآن). وهو هدف استشراقي يسعى إلى وضع تاريخ للقرآن، كما تم وضع تاريخ للتوراة ولبقية أسفار العهد القديم[(١)].

وتتضح خطورة منهج نولدكه المعتمد على نظرية المصادر الخاصة بالعهد القديم في أن الادعاء بأن القرآن له تاريخ يؤدي بالضرورة إلى ادعاء آخر بأن

---

(١) الإسلام في الكتابات الغربية، محمد توفيق حسين:٤٠-٤١، و العقيقي: ٢ :٣٨٠.

الإسلام دين له تاريخ، ومر بمراحل نشأة وتطور مثله في ذلك مثل الأديان الوضعية، وأن العقيدة الإسلامية عقيدة متطورة في التاريخ. وهذه الفكرة هي محور كل الكتابات الاستشراقية التي استخدمت مصطلح (تاريخ) مع القرآن الكريم ومع الإسلام مثل بعض العناوين الاستشراقية الشائعة: (تاريخ القرآن)، (تاريخ الإسلام)، تاريخ العقيدة الإسلامية، تطور العقيدة الإسلامية، تاريخ النص القرآني، أصل سور القرآن.. وغيرها من العناوين الاستشراقية الدالة على النشأة والتطور للنص القرآني، وللإسلام عقيدة وشريعة.

وهكذا تتبلور نظرية نولدكه في أن القرآن له تاريخ كنص، وبالتالي فالدين المعتمد على هذا النص دين تاريخي له نشأة وتطور انعكست في العقيدة والشريعة. وبشكل أكثر حدة تسعى نظرية نولدكه ومدرسته إلى القول بتعدد مصادر القرآن، ومن ثم الحكم بأن القرآن ليس وحياً كما يعتقد المسلمون.

وتعدّ نظرية نولدكه أخطر نظريات الاستشراق على الإطلاق. فهي تهدف إلى رفض الوحي القرآني، ورد القرآن الكريم إلى مصادر إنسانية لتحقيق الهدف الأكبر وهو إثبات تطور الإسلام وعقيدته. وقد اعتبر هذا الهدف الأساسي لكل الدراسات الاستشراقية حول القرآن الكريم. وهو هدف مرفوض إسلامياً رفضاً مطلقاً.

٣ - يوليوس فلهاوزن (١٨٤٤-١٩١٨):

مع الاعتراف بجهود النقاد السابقين فإن (فلهاوزن) يعد بحق المؤسس والمطور الحقيقي لعلم نقد العهد القديم. فقد استفاد من الجهود النقدية السابقة وطورها ووضعها داخل إطار علم مستقل من العلوم الدينية النقدية في الغرب، وقد استفاد فلهاوزن بشكل كبير من جهود المسلمين في نقد

التوراة، ولم تتحقق هذه الاستفادة بهذا الحجم لأحد من المستشرقين السابقين عليه إذ تميز فلهاوزن بالجمع بين التخصص في العهد القديم والتخصص في القرآن الكريم وفي الدراسات الإسلامية(١).

وقد بدأ فلهاوزن بدراسة اللاهوت المرتبط بالتوراة ونقدها، ودرس اللغات الشرقية على إيفالد في جوتنجن. وقد خلف إيفالد فيها، وقد تنوع إنتاجه بين دراسات مرتبطة بالعهد القديم والديانة اليهودية، وتاريخ بني إسرائيل، ودراسات إسلامية مرتبطة بالإسلام والتاريخ الإسلامي، والقرآن الكريم، والفرق الإسلامية، والوثنية العربية القديمة. ومن أهم أعماله: تاريخ اليهود، ومحمد في المدينة، وبقايا الوثنية العربية (١٨٨٧)، والتمهيد للتاريخ الإسلامي (ستة أجزاء) (برلين ١٨٨٧) والاستهلال لأقدم تاريخ في الإسلام مع نقد المصادر (برلين ١٨٨٤ - ١٨٨٩). واشتغل بتحقيق الطبري (وعرف بشخصيات الرواة في الطبري وحللها وعدّلها وجرّحها) وله الأحزاب المعارضة في الإسلام قديماً (١٩٠١) والعرب والروم (جوتنجن ١٩٠١)، والسيادة العربية، وتاريخ الدولة الأموية وحروبها مع الروم (برلين ١٩٠١)، والخوارج والشيعة، والدولة العربية وسقوطها (برلين ١٩٠٢) وله دراسة عن القرآن في المجلة الشرقية الألمانية (١٩١٣)(٢).

ومن أهم دراساته في الديانة اليهودية وفي تاريخ بني إسرائيل وأسفار العهد القديم: نص سفري صموئيل (١٨٧١) وكتاب الفريسي والصدوقي (١٨٧٤) وكتاب: تأليف الأسفار الستة (١٨٨٩) ومدخل إلى العهد القديم

---

(١) A.Hourani, Islam in European Thought, p. 31-32.

(٢) المستشرقون، العقيقي: ٢: ٣٨٦ ـ ٣٨٧ .

(١٨٧٨-١٨٩٣) وتاريخ الإسرائيليين (١٨٧٨) أو: مقدمة إلى تاريخ إسرائيل القديمة (١٨٨٥) والتاريخ الإسرائيلي واليهودي (١٨٩٤)[١].

ولقد أكمل (يوليوس فلهاوزن) أسلوب البحث في أسفار العهد القديم، ووضع قانون التطور التدريجي الثابت في كل المناهج التاريخية، والذي يرى أنه من المستحيل للحياة الاجتماعية والدينية أن تكون متجمدة وثابتة بدون تغيير. وقد طبق هذا المنهج التاريخي على حياة جماعة بني إسرائيل وعلى أسفار التوراة وانتهى إلى أن التوراة نتاج عصر متأخر، وعدّ المصدر الكهنوتي آخر مصادر التوراة، وأن التوراة مشروع كهنوتي خالص.

لقد دخل (فلهاوزن) إلى حقل الدراسات الإسلامية والقرآنية بعد أن تمكن من المنهج في نقد العهد القديم وفقاً لنظرية المصادر، والتزاماً بفكرة النشوء والارتقاء في الفكر الديني والتاريخي والناتجة عن الاعتقاد في خضوع الدين والتاريخ لعوامل النشوء والتطور نتيجة تغير الحياة وتطورها[٢]. وبعد أن ذاعت شهرة (فلهاوزن) في مجال دراسات العهد القديم والديانة اليهودية انتقل لدراسة الإسلام والقرآن الكريم والتاريخ الإسلامي منشغلاً بقضية المصادر لإثبات الأفكار السابقة نفسها التي طبقت على اليهودية والنصرانية، وهي أفكار النشأة والتطور. فتوسع (فلهاوزن) في تطبيق النقد المصدري على القرآن الكريم والتاريخ الإسلامي. وقد اهتم أيضاً بالبحث عما يسميه بمصادر الدين الإسلامي، ونمو العقيدة وتدرجها، ودراسة المذاهب والفرق

---

(١) Encyclopaedia Judaica, Vol. 16 art. J.Wellhausen Keter Publising House, Jerusalem, 1972, P. 443.

(٢) الإسلام في الكتابات الغربية، محمد توفيق حسين: ٣٨ .

باعتبارها معبرة عنده وفي مدرسته عن التطور المرتبط بتغير الظروف والبيئات العرقية، والاجتماعية، والسياسية التي انتشر فيها الإسلام، وأصبح هدف الدراسات القرآنية عند فلهاوزن ومدرسته البحث في نشأة العقيدة الإسلامية وتطورها، والعوامل الفاعلة في كل ذلك(١).

وقد تداخلت عند (فلهاوزن) دراسات العهد القديم واليهودية مع دراسات القرآن الكريم والإسلام مطبقاً نفس المنهج المرتبط بالبحث عن المصادر وعوامل النشأة والتطور، وإعادة تركيب الفكر الديني. ويبدو هذا التداخل صريحاً في الاستفادة المتبادلة التي تمت على يد فلهاوزن في محاولة فهم تاريخ اليهودية وتاريخ بني إسرائيل في ضوء التاريخ العربي القديم والديانة العربية القديمة، وأيضاً محاولة فهم القرآن الكريم والتاريخ الإسلامي المبكر في ضوء النقد المصدري والتاريخي الذي طبقه على العهد القديم. ويشرح ألبرت حوراني هذا التداخل المنهجي عند فلهاوزن بقوله: (كان نقد الكتاب المقدس يمثل خطاً لمحاولة علمية مرتبطة بفقه اللغة ارتباطاً قوياً، وهو يعني دراسة نصوص العهد القديم والعهد الجديد من خلال التحليل اللغوي الدقيق من أجل معرفة متى كتبت هذه النصوص وبواسطة من؟ وما هي علاقة هذه النصوص بعضها ببعض؟ وما هي الحقيقة التاريخية التي تعكسها بشكل مباشر أو غير مباشر؟ وسيؤدي هذا الخط من البحث إلى نتائج مهمة لدراسة الإسلام(٢). وبالنسبة للعهد القديم فإن نتائج النقد العالي قد عبر عنها

---

(١) الإسلام في الكتابات الغربية، محمد توفيق حسين: ٤٠.

(٢) Albert Hourani, Islam in European Thought, Cambridge University Press 1991, p. 31.

يوليوس فلهاوزن تعبيراً محدداً في كتابه (تاريخ إسرائيل) المنشور عام ١٨٧٨ حيث ناقش فلهاوزن فكرة ظهور اليهودية كديانة توحيد تركز على الأخلاقيات التي نادى بها الأنبياء من خلال دين موسى السابق، وأن الشريعة والشعائر ظهرت بعد ذلك. كما أن دراسة العهد الجديد أدت إلى الاعتقاد في أن (عيسى التاريخ) جاء أولاً ثم تطورت بعد ذلك المعتقدات والمؤسسات الدينية التي سميت بالنصرانية[١].

٤ - اجانتس جولدتسيهر (١٨٥٠-١٩٢١):

يعد المستشرق اليهودي المجري اجانتس جولدتسيهر (١٨٥٠-١٩٢١م) عمدة المستشرقين اليهود في التاريخ الحديث بل يعد بحق أهم عالم مستشرق ظهر في الغرب خلال القرون الثلاثة الأخيرة. وهو المسؤول عن إحياء الاهتمام اليهودي بالدراسات الإسلامية والعربية في العصر الحديث. وهو الذي وضع قاعدة الدراسات الإسلامية وأسسها بالنسبة للاستشراق الحديث على وجه العموم، وأعماله في مجال الدراسات الإسلامية لا يستغني عنها مستشرق كما أن تأثيرها امتد إلى العالم الإسلامي حيث يعتمد عليها العديد من العلماء المسلمين وبخاصة الذين وقعوا منهم تحت تأثير الفكر الاستشراقي والمنهجية الاستشراقية. وهو صاحب الادعاء بأنه لا يوجد نص موحد للقرآن الكريم اعتمادا على فهمه الخاطئ لتعدد القراءات[٢].

---

(١) Ibid, p. 31.

(٢) القرآن والمستشرقون، التهامي نقره، في مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية: ١ : ٤٦- ٤٧، وأيضاً، و المستشرقون، العقيقي: ٣ : ٤١ .

وقد تلقى تعليمه الاستشراقي في مدارس بودابست، وليبزغ، وبرلين، وليدن. وتتلمذ على فليشر تلميذ سلفستر دي ساسي ومن المعروف أيضاً أنه أول مستشرق أوروبي يدرس في جامعة الأزهر على بعض شيوخ الأزهر المعروفين وبخاصة الشيخ محمد عبده وهو من مؤسسي دائرة المعارف الإسلامية وقد شارك في الإشراف على تحريرها، وكتب فيها العديد من المواد الإسلامية. وكان عضواً في عدد كبير من المجامع العلمية. وله مؤلفات عديدة مهمة في مجال الدراسات الإسلامية يعد بعضها من الأعمال الكلاسيكية في التخصص، ولها تأثير كبير على أجيال من المستشرقين اليهود وغير اليهود. وقد برز إجناس جولدتسيهر في مجال دراسة العقيدة والشريعة الإسلامية، وله كتابان في غاية الأهمية ولذلك تمت ترجمتهما إلى معظم لغات العالم الأساسية. كما تمت ترجمتهما إلى اللغة العربية. الكتاب الأول هو: (العقيدة والشريعة في الإسلام) وهو يحمل في طبعته الألمانية الأصلية عنوان (الإسلام) ألفه إجناس جولدتسيهر عام (١٩١٠)، وترجم إلى الفرنسية عام (١٩٢٠) وقد تمت الترجمة العربية عن الترجمة الفرنسية وقام بها الدكاترة محمد يوسف موسى، وعلي حسن عبد القادر، وعبد العزيز عبد الحق. أما الكتاب الثاني فهو (مذاهب التفسير الإسلامي) ترجمه الدكتور عبد الحليم النجار (١٩٥٥م).

وقد تأثر جولدتسيهر بالمدرسة الألمانية في الدراسات القرآنية والإسلامية، وكان على معرفة بأعمال نقد الكتاب المقدس في علم اللاهوت البروتستانتي، وارتباطه بفقه اللغة[١]، وجمع بين دراسات العهد القديم ودراسة القرآن

---

(١) Hourani, p. 37.

الكريم. وقد أنتج في التخصص الأول أحد أهم أعماله، وهو كتاب (الأساطير بين العبريين)[١]، وقد قبل نتائج علم نقد (الكتاب المقدس) وطبقها على اليهودية متأثراً بأفكار المستشرق اليهودي أبراهام جايجر ١٨١٠ - ١٨٧٤ صاحب الكتاب المعروف (ماذا أخذ محمد من اليهودية ؟)[٢].

كما قبل جولدتسيهر نتائج نقد العهد القديم التي توصل إليها إيفالد وفلهاوزن وساهم فيها جايجر، وبخاصة فيما يتعلق بتاريخ الديانة اليهودية فقد قبل جولدتسيهر الرأي النقدي القائل بأن اليهودية الصحيحة هي أساساً التوحيد الذي أتى به الأنبياء[٣]، وأن الشريعة والشعائر تطور متأخر، وأنهما نتاج عصور وأماكن مختلفة، وأن النصوص الدينية اليهودية يجب أن تدرس داخل إطار سياقها التاريخي[٤]. وقد اعترف جولدتسيهر بأفضلية الإسلام على اليهودية والنصرانية فيما يتعلق بالموقف من التوحيد.

لقد ورد في مذكرات جولدتسيهر قوله: (إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي منع الشعوذة والعناصر الوثنية عن طريق التعاليم السنية وليس من خلال العقلانية. لقد اتجه أسلوب تفكيري نحو الإسلام، وكذلك تعاطفي معه... ولم أكذب حين قلت أنني أؤمن ببعثة محمد النبوية... إن ديني كان الدين العالمي للأنبياء)[٥].

---

(١) Ibid, p. 37.

(٢) Ibid, p. 37.

(٣) Ibid, p. 37.

(٤) Ibid, p. 37.

(٥) Ibid, p. 38.

ويعلق ألبرت حوراني على قول جولدتسيهر هذا قائلاً: (بدا الإسلام لجولدتسهير وكأنه الدين الذي يجب أن تسعى إليه كل الأديان... توحيد خالص، واستجابة نقية ـ غير ملوثة ـ لنداء الله للفؤاد الإنساني... لقد مثل الإسلام محكاً ـ أو معياراً ـ يحكم من خلاله على الأديان التوحيدية الأخرى. وأراد أن يفعل ما يجب عليه أن يفعل لكي يستعيد اليهودية إلى ما يعتقد أنه حقيقتها)[(١)].

٥- هرتويج هيرشفيلد (١٨٥٤ - ١٩٣٤)

مستشرق قد جمع بين الدراسات اليهودية والإسلامية: ومن أهم أعماله الدراسات اليهودية الإسلامية (مجلة الفصول اليهودية ١٩١٠-١٩١١) والإسلام واليهودية (المجلة الآشورية ١٩١٢) وقد نشر كتاب الكوزاري ليهودا اللاوي بنصه العربي (ليبزج ١٨٨٦-١٨٨٧) والشعر المنسوب إلى السموأل (مجلة الجمعية الآسيوية ١٩٠٧) ونشر ديوان حسان بن ثابت بعد مقابلته بمخطوطات لندن وبرلين وباريس وبطرسبرج (منشورات لجنة جيب التذكارية لندن ١٩١٠).

ومن أهم أعماله في تطبيق نظرية نولدكه وفلهاوزن في الدراسات القرآنية كتابه: بحوث جديدة في ترتيب القرآن وتفسيره (لندن ١٩٠٢)[(٢)].

---

(١) I. Goldziher, Tagebuch, Leiden, 1978, p. 59, 71, see : Hourani, p. 38 ; See : R.Patai, Ignaz Goldziher and his Oriental Diary, Detroit, 1987.

(٢) قدم عبد الرحمن بدوي نقداً شديداً لمنهج هيرشفيلد في دراسة القرآن ومقارنته بالعهد القديم ويصف منهجه بأنه عقيم وعبثي. انظر: عبد الرحمن بدوي، الموازاة الخاطئة بين القرآن والعهد القديم في كتاب (دفاع عن القرآن ضد منتقديه)، الدار العالمية للكتب والنشر، القاهرة ١٩٩٩: ٢٤ – ٣٠، و العقيقي: ٢ : ٤٠٠.

٦- س فرانكيل (١٨٥٥- ١٩٠٩):

تتلمذ بشكل مباشر على نولدكه وكان موضوع رسالته للدكتوراه: (الكلمات الأجنبية في القرآن). تخصص في اللغات الشرقية، وعين أستاذاً لأصل اللغات في جامعة برسلاو.

ومن أهم أعماله في الدراسات القرآنية رسالته التي تم نشرها في ليدن ١٨٧٨ العنوان السابق نفسه. وله أيضاً كتاب الإسلام ومحمد (ليدن ١٨٨٠) وكتاب: الكلمات الدخيلة من الآرامية على العربية القديمة (ليدن ١٨٨٦)، والمعجم العربي (١٩٠٦)، والقانون الإسلامي (الدراسات الشرقية لنولدكه ١٩٠٦)[(١)].

٧- إد مالير (١٨٥٧-١٩٤٥):

عين أستاذاً للغة العربية في بودابست، واختير عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق. ومن أهم أعماله في مجال القرآن الكريم: (دليل القرآن) وقد جمع فيه مفردات القرآن وأفعاله، وحروف الجر والعطف معتمداً على فلوجيل (ليبزج ١٨٨١) وتم ترقيم السور والآيات ترقيماً يخدم هذه الغاية (باريس ١٩٢٥)[(٢)].

٨- فردريك شفالي (١٨٦٣-١٩١٩):

من تلاميذ نولدكه المباشرين فقد تعلم عليه اللغات الشرقية، وله الفضل في إعادة طبع كتاب نولدكه: تاريخ النص القرآني بعد تحقيقه، والتعليق عليه في مجلدين (ليبزج ١٩٠٩ - ١٩١٩) وأتم برجشتراسر وبريتسل الجزء الثالث

(١) المستشرقون، العقيقي: ٢ : ٤٠١.
(٢) المستشرقون: ٢ : ٤٠٤.

من كتاب نولدكه (١٩٢٦ - ١٩٣٥). وله أيضاً دراسة عن القرآن نشرت في مجلد تكريم المستشرق زاخاو ١٩١٥م[1].

٩- كارل بروكلمان (١٨٦٨-١٩٥٦):

درس اللغات السامية على نولدكه، واهتم بدراسة فقه اللغة العربية، وتخصص أيضاً في التاريخ الإسلامي وفي تاريخ الأدب العربي. واهتم بدراسة المصادر، وبخاصة في رسالته للدكتوراه وموضوعها: (العلاقة بين كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير وبين كتاب أخبار الرسل والملوك للطبري) (ستراسبورغ ١٨٩٠)، وله في تاريخ الأدب العربي: مختصر تاريخ الآداب العربية (ليبزج ١٩٠١، ١٩٠٩)، وتاريخ الآداب النصرانية في الشرق (ليبزج ١٩٠٧، ١٩٠٩)، وفي الإسلام له: تاريخ الإسلام من بدئه إلى اليوم (في كتاب تاريخ العالم، المجلد الثالث برلين ١٩١٠)، وكتاب: الله والأوثان: أصل التوحيد الإسلامي (مجلة علم الديانات ٢١، ١٩٢٢)، وله: تاريخ الشعوب والدول الإسلامية خمسة أجزاء (ميونيخ برلين ١٩٣٩، ١٩٥٣)[2].

ويلاحظ على معظم هذه الأعمال الاهتمام بالدراسة المصدرية من ناحية، وعملية التأريخ من ناحية أخرى في ارتباط مباشر بنظرية نولدكه وفلهاوزن. ولفظة (تاريخ) في كتابه (تاريخ الإسلام) تشير إلى الاعتماد على فكرة النشوء والتطور للإسلام، وعبارة (أصل التوحيد) في كتابه الثاني تشير إلى نفس الاتجاه المصدري في دراسة الإسلام وعقيدته.

---

(١) المستشرقون: ٢ : ٤١٠.

(٢) المستشرقون، العقيقي: ٢ : ٤٢٥– ٤٢٨، ونقد أحمد سمايلوفتش لبعض آراء بروكلمان عن القرآن في فلسفة الاستشراق: ٣١٦ – ٣١٨.

١٠- بول كاله (١٨٧٥-١٩٦٤):

تعلم اللغات الشرقية في جامعات ماربورج وهاله وبرلين. تخصص في العهد القديم، وعين قسيساً للبروتستانت في رومانيا والقاهرة، وأستاذاً للغات السامية في جامعة أكسفورد. وله في دراسات العهد القديم: التوراة العبرية (١٩٣٧)، ونصوص سامرية (ليبزج ١٨٩٨م). وله في الدراسات القرآنية القرآن والعربية: (ذكرى جولدتسهير ١٩٤٨)، والقرآن (مجلة دراسات الشرق الأدني ١٩٤٩)[(١)].

١١- ج. برجشتراسر (١٨٨٦-١٩٣٣):

تخصص في اللغات السامية والعلوم الإسلامية ودرَّسها في عدة جامعات أوروبية. اهتم بالدراسات القرآنية اهتماماً كبيراً واشترك مع بريتسل في نشر الجزء الثالث من كتاب نولدكه: (تاريخ النص القرآني). وهذا يوضح علاقته المباشرة بعمل نولدكه ومنهجه في دراسة القرآن الكريم. وهو يعتبر من أكبر المستشرقين اهتماماً بالقرآن الكريم على مستوى الدراسة العلمية، وعلى مستوى جمع المخطوطات. وقد قام بتدوين أصوات القرآن الكريم بالنوتة من خلال الاستماع إلى القرآن الكريم بصوت قارئ مشهور بالقاهرة، وأنشأ للقرآن الكريم متحفاً في ميونيخ أتمه من بعده المستشرق بريتسل الذي شاركه من قبل في نشر الجزء الثالث من كتاب نولدكه[(٢)].

ومن أهم أعمال برجشتراسر التي طبق فيها منهج نولدكه ومدرسته على القرآن الكريم الأعمال التالية:

---

(١) المستشرقون، العقيقي: ٢ : ٤٤١.

(٢) المستشرقون: ٢ : ٤٥٠.

أ - حروف النفي في القرآن (رسالة دكتوراه من ليبزج ١٩١١، الطبعة الثامنة ١٩١٤).

ب - معجم قراء القرآن وتراجمهم (رسالته للأستاذية ١٩١٢).

جـ - تاريخ قراءات القرآن (١٩٢٩).

د - المعاونة في نشر: طبقات القراء لابن الجزري.

هـ - القرآن (إسلاميكا ١٩٢٦).

و - تحقيق القراءات الشاذة في كتاب المحتسب لابن جني (منشورات المعجم البافاري (١٩٣٣).

ز - غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري في جزأين (١٩٣٣).

ح - مختصر شواذ القراءات لابن خالويه (المكتبة الإسلامية، مجلد ٧، ١٩٣٣، ١٩٣٥، وذلك بمعاونة بريتسل).

ط - الجزء الثالث من تاريخ النص القرآني لنولدكه (١٩٢٦ - ١٩٣٥).

وله في العبرية: مراجعة قواعد اللغة العبرية لجيزين هيوس الطبعة التاسعة والعشرون (١٩١٨ - ١٩٢٩). وله: الأصوات في اللغة العبرية (١٩١٣)[1].

ويلاحظ من سيرة برجشتراسر العلمية تخصصه المباشر في القرآن الكريم حيث أعد رسالته للدكتوراه ورسالته للأستاذية في موضوعات مرتبطة بالقرآن الكريم. والاهتمام بالقراءات القرآنية تأليفاً وتحقيقاً، والاهتمام بتاريخ النص القرآني من خلال نشر عمل نولدكه في هذا الخصوص.

(١) المستشرقون: ٢ : ٤٥١.

١٢- أوتو بريتسل (١٨٩٣-١٩٤١):

واحد من أهم المستشرقين الدارسين للقرآن الكريم على منهج نولدكه وفلهاوزن. وقد شارك برجشتراسر في نشر الجزء الثالث من (تاريخ النص القرآني) لنولدكه. (١٩٢٦-١٩٣٨). تخرج من جامعة ميونيخ وعيِّن أستاذاً للغات السامية في الجامعة نفسها. وله نشاط علمي كبير في مجال القرآن الكريم؛ من أهم معالمه مساعدة برجشتراسر في تنفيذ قرار المجمع العلمي البافاري في ميونيخ بجمع المصادر الخاصة بالقرآن الكريم وعلومه وضبط قراءاته لنشرها. وبعد وفاة برجشتراسر تولى بريتسل المهمة بمفرده حيث انتدبه المجمع البافاري لاستكمال هذا العمل فقام بتصوير المصادر والمصاحف القديمة تصويراً شمسياً في عدة نسخ لتيسير الاطلاع عليها في ميونيخ، والحصول على صور منها ثم تدوين كل آية من القرآن الكريم في لوح خاص يحوي أنواع الرسم في مختلف المصاحف مع بيان قراءاتها، وتعدد تفاسيرها[(١)].

وقد نتج عن هذه المهمة نشر الأعمال التالية:

أ - كتاب التيسير في القراءات السبع للإمام أبي عمر عثمان بن سعيد الداني.

ب - كتاب المقنع في رسم مصاحف الأمصار من كتاب النقط للداني.

ج - كتاب مختصر الشواذ لابن خالويه (المكتبة الإسلامية، مجلد ٧، ١٩٣٤).

---

(١) المستشرقون: ٢ : ٤٦٢.

د - كتاب المحتسب لابن جني (طبع بالحرف اللاتيني، نشر المجمع العلمي البافاري، ميونيخ ١٩٣٣).

هـ - كتاب غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (المكتبة الإسلامية، مجلد ٨، ١٩٣٣ - ١٩٣٥).

و - كتاب معاني القرآن للفراء النحوي.

ز - كتاب الإيضاح في الوقف والابتداء لأبي بكر بن الأنباري (إسلاميكا ٦، ٢٣٤، وطبع بالقاهرة، المكتبة الإسلامية)[١].

أما الأعمال التي ألفها بريتسل في الدراسات القرآنية فمن أهمها:

ح - مراجع القرآن وعلومه.

ط - رسالة في تاريخ علم قراءة القرآن.

ي - مشروع لاستعمال أسلوب النقد في نشر القرآن ١٩٣٠، ١٩٣٤.

ك - نشر بمعاونة إيزين (فضائل القرآن وآدابه) لأبي عبيد القاسم بن سلام (إسلاميكا ٢٦، ٢٤٣).

ل - كتاب معاني القرآن لابن منظور (إسلاميكا ٦، ١٨).

م - كتاب تعليل القراءات السبع للشيرازي (إسلاميكا ٦، ١٧).

و - كتاب المشتبه في القرآن للكسائي (إسلاميكا ٦، ٢٤١).

ن - أصول علم القراءة (إسلاميكا ٦، ١٩٣٤).

س - القرآن (مؤتمر المستشرقين، ٢٠، ١٩٣٨).

---

(١) المستشرقون: ٢ : ٤٦٢.

ع - نشر الجزء الثالث من كتاب نولدكه: تاريخ النص القرآني بالاشتراك مع برجشتراسر (١٩٢٦ - ١٩٣٨)[١].

ومن الواضح تركيز بريتسل في دراساته القرآنية على تطبيق منهج نولدكه والتوسع في درس القراءات القرآنية نشراً وتحقيقاً وتأليفاً، وجمع مصادر القرآن ومراجعه.

١٣- أ. شبيتالر (المولود ١٩١٠):

تلميذ برجشتراسر وبروكلمان، وقد خلف برجشتراسر في كرسي اللغات السامية في ميونيخ. ومن أهم أعماله في مجال الدراسات القرآنية:

أ - القرآن (مؤتمر المستشرقين ٢٠، ١٩٣٨).

ب - فضائل القرآن لابن سلام (وثائق إسلامية غير منشورة ١٩٥٢).

جـ - القرآن (دراسات تشودي ١٩٥٤).

د - وله دراسة عن أوتو بريتسل ١٨٩٣ - ١٩٤١ منشورة بالمجلة الشرقية الألمانية ١٩٤٢)[٢].

١٤- د.س مرجوليوث (١٨٥٨-١٩٤٠):

مستشرق إنجليزي معروف بتطبيقه لنظرية المصادر على الشعر الجاهلي. ومن أهم أعماله في هذا المجال: أصل الشعر العربي (١٩١١)، وأصول الشعر العربي الجاهلي (١٩٢٥)، والقرآن (١٩٣٩) ونصوص القرآن (١٩٢٥).

---

(١) المستشرقون: ٢ : ٤٦٣.

(٢) المستشرقون: ٢ : ٤٧٥.

ويذكر عبد الرحمن بدوي أن مرجوليوث كان يهودياً ودخل في النصرانية وأصبح قسيساً عام (١٨٩٩)[١].

وقد جمع بين دراسات العهد القديم والدراسات القرآنية، وله دراسة عن العلاقات بين العرب واليهود (١٩٢٢)، وفهرس المخطوطات العبرية والسامرية (لندن ١٨٩٩، ١٩٠٥، ١٩١٥، ١٩٣٥)، وكشف وصفي للمخطوطات العبرية والسامرية في المتحف البريطاني (لندن ١٨٩٣).

ومرجوليوث هو صاحب نظرية انتحال الشعر الجاهلي والذي تبعه فيها طه حسين في كتابه: (في الشعر الجاهلي)، وقد أثارت نظرية مرجوليوث جدلاً واسعاً من حيث إنها نظرية تبحث في مصادر الشعر الجاهلي، وتشكك في نسبته إلى العصر الجاهلي.

١٥- ريتشارد بل:

مستشرق ورجل دين بريطاني عين أستاذاً للغة العربية في أدنبرة، ومن المتخصصين في العهد القديم وجمع بين الدراسات الخاصة بالعهد القديم والدراسات القرآنية فقد اهتم بدراسة القرآن وتاريخه دراسة وافية متوالية. وقد ترجم معاني القرآن الكريم (١٩٣٧-١٩٤١) وكان هدف ترجمته تحليل السور القرآنية المتفرقة بوضع قوانين النقد الأدبي لها وتطبيقها على القرآن الكريم كما حدث في المؤلفات الغربية المنتمية إلى الأدب العالي[٢]. وله كتاب بعنوان: أسلوب القرآن (١٩٤٢-١٩٤٤)، وله (المتشابه في القرآن (١٩٢٨)،

---

(١) دفاع عن القرآن ضد منتقديه، عبد الرحمن بدوي: ٦٥، وانظر نقد آراء مرجليوث، محمد مصطفى هدارة (موقف مرجليوث من الشعر العربي) في مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: ١ : ٣٩٦، ٤٠٨ – ٤٠٩.

(٢) المستشرقون، العقيقي: ٢ : ٩٤.

ومن هم الحنفاء؟ (١٩٣٠)، وأهل الأعراف (١٩٣٢)، وسورة الحشر (١٩٤٨)، وأذن في الناس بالحج (مجلة الجمعية الملكية الآسيوية ١٩٣٧)، ومعلومات محمد عن العهد القديم (الدراسات السامية والشرقية ١٩٤٥) ورؤى محمد (١٩٣٤)[١].

١٦- ألفرد جيوم (١٨٨٨-١٩٦٢).

مستشرق إنجليزي جمع بين دراسات العهد القديم والدراسات الإسلامية والقرآنية. عين محاضراً للغة العبرية في المعهد الملكي بلندن ١٩٢٠ وأستاذاً للغات الشرقية في جامعة درهام (١٩٢٠-١٩٣٠) وأستاذاً لدراسات العهد القديم بجامعة لندن (١٩٤٥-١٩٤٧) وأستاذاً للعربية في الجامعة الأمريكية ببيروت (١٩٤٤-١٩٤٥) وفي جامعة برنستون (١٩٥٥). وله فقه اللغتين العبرية والعربية (عبر النهرين ١، ٢، ٣، ٤، ١٩٦٤).

ومن أهم أعماله: أثر اليهودية في الإسلام (١٩٢٧)، اليهود والعرب (١٩٤٦)، الإسلام (لندن ١٩٥٤)، والقرآن (حولية جامعة ليدز ٣، ١٩٦١ - ١٩٦٢) وسورة ٢: ٧٣ (تكريم فيليب حتى ١٩٥٩)[٢].

١٧- تشارلز توراي (المولود عام ١٨٦٣):

مستشرق أمريكي تخرج في جامعة ييل وعمل بها أستاذاً للغات السامية. وقد جمع بين دراسات نقد العهد القديم والدراسات الإسلامية. وله في دراسات نقد العهد القديم: تاريخ عزرا بن نحميا (١٨٩٦)، ودراسات نقدية لعزرا (١٩١٠) وإشعياء الثاني: ترجمة جديدة (١٩٢٨)، ونبوءة حزقيال

---

(١) المستشرقون: ٢ : ٩٤.

(٢) المستشرقون: ٢ : ١١٨.

والنبوة الحق (١٩٣٠) وأدب الأسفار المحرفة (١٩٤٥). ومن أهم أعماله في نقد القرآن: القرآن الكريم (تكريم بروان ١٩٢٢)، ومفردات القرآن (العالم الإسلامي ٢٩، ١٩٣٩)، والقرآن (ذكرى جولدتسيهر ١٩٤٨). وله أيضاً: الإسرائيليات في الإسلام (نيويورك ١٩٣٣)[١].

(١) المستشرقون، العقيقي: ٣ : ١٣٧.

المبحث الثالث:

آفات مناهج القراءات الاستشراقية للقرآن الكريم

إن من اليقين ان تكون هناك العديد من الآفات في قراءة المستشرقين للقرآن الكريم، فبين منهج القراءة النقدية للكتاب المقدس، وبين المنهج العلمي البحت، وبين منهج نزع التقديس عن النص، وبين استخدام أدوات غير معصومة في فهم النص المعصوم، وغير ذلك؛ ظهرت نتائج تلك القراءات والتي خرجت عن الاطار الصحيح، واخرجت النص عن موقعيته الصحيحة. نعم، يمكن لنا أن نجمل آفات القراءات الاستشراقية على اختلافها فيما يلي:

١ـ معاملة القرآن بوصفه لا يختلف عن باقي الأعمال الإنسانية:

إن هدف هذه المنهجية هي إزالة القدسية التي اعتبرها المستشرقون عائقاً أمام فهم النص، وآلية هذه الطريقة هي نقل الآيات القرآنية من وضعها الإلهي إلى الوضع البشري عبر إجراءات وعمليات منهجية مختلفة منها: حذف عبارات التعظيم التي درج جمهور المسلمين على استعمالها مثل: (القرآن الكريم) و(القرآن العزيز)، و(قال الله تعالى)، و(صدق الله تعالى) وما إليها مما يعكس قدر القرآن عند المؤمنين به[١].

كما وقد استعمل المستشرقون مصطلح الخطاب النبوي محل الخطاب الإلهي، ومصطلح الظاهرة القرآنية والواقعة القرآنية مكان مصطلح نزول القرآن. كما يعمد المستشرق في بحثه القرآني إلى عملية التسوية في رتبة

---

(١) Watt, M. Muhammad at Mecca, Fifth edition, Oxford,1972, p x

الاستشهاد بالقول فينـزل الأقوال البشرية منـزلة القـول الإلهـي في الاستشـهاد وما إلى ذلك، بما ينتهـي بـالقرآن إلى اعتبـاره نصـا لغويـاً لا يفـترق عـن بـاقي النصوص اللغويـة الـتي تحتمـل مـا لا حصـر لـه مـن احتمـالات وتـأويلات وتخمينات وتقديرات.

إن المستشرق ينظر إلى الدين كمـا ينظـر إلى اللغـة، وكمـا ينظـر إلى الفقـه، وكما ينظر إلى اللباس، من حيث إن هذه الأشياء كلها ظواهر اجتماعية يحدثها وجـود الجماعـة وتقـع الجماعـة في تطورهـا، وإذن فالـدين في نظـر (العلـم الحديث) ظاهرة كغيره من الظواهر الاجتماعية، لم ينـزل من السماء، ولم يهبط به الوحي، وإنما خرج من الأرض كما خرجت الجماعة نفسها.

٢- معاملة القرآن باعتباره واقعة تاريخية:

إن هدف هذه المنهجية إزالة مطلقية أحكام القـرآن، لأن اعتقـاد المسـلمين هو أزلية وثبوتية أحكام القرآن، وهذه القراءة تعمل على التعاطي مـع القـرآن باعتباره نصا تاريخيا محكوما بشروط تاريخية وظرفية يزول بزوالها. وانطلاقا من حصر القرآن بسياقات تنـزله(زمانا ومكانا)، يتم الالتفـاف عـن حقيقـة كونيـة القرآن؛ ليتم تفسير معانيه تفسيرا تداولياً قاصراً من خـلال الخـوض في مسـألة أسباب النـزول والناسخ والمنسوخ والمكي والمدني وغيرها من القضايا خوضـاً أداتياً فقط، ضاربين عرض الحائط ما أَصَّلَه علماء القـرآن في هـذا الشـأن مـن علوم وقواعد وضوابط وأصول ومناهج، ومتمسكين بالضـعيف مـن الأقـوال وبالشاذ من الآراء التي فرغ العلماء المحققون من ردِّها وبيان تهافتهـا. وفي كـل ذلك يذهب المستشرقون إلى اعتماد منهج النسبية في التعاطي مع آيـات القـرآن وبخاصة آيات الأحكام التي يقللون من قيمتها؛ لأن الآيات هذه نزلت مرتبطـة

بأشخاص ووقائع خاصة بهم، ولا تصلح أن تتعداهم إلى غيرهم، وهذا هو طرح النظرية (التاريخانية)، أو (تاريخانية النص القرآني).

٣- معاملة القرآن باعتباره موضوعا للدراسات العقلية الوضعية:

اختص هذا المنهج بالتعامل مع القرآن الكريم بكافة الاتجاهات الحديثة التي تُسقط القرآن من مستوى كلام الله تعالى إلى عالم البشرية، وهدفها رفع عائق الغيبية والطرح الغيبي القرآني.

إن القرآن عند أغلب المستشرقين مادة موضوعها ينبغي أن ينظر إليه بما تتيحه (الوسائل العلمية) و(المناهج الدراسية المقارنة في علم الأديان والثيولوجيا)، كما أنَّ أصلحَ المناهجِ عندهم تلك التي تروم تفكيكه وتفتيته، والانطلاق من الفرضيات الشكية والعنادية.

إن من يتلقى لفظ (العقل) محمولا على معنى يخالف المعنى الذي صح عنده استعماله به، لا يستغلق عليه الفهم فقط، بل تضطرب عنده أصول التداول الخاصة بلغته[١].

---

(١) ظ: فقه الفلسفة، طه عبد الرحمن: ١ : ١٧٤.

المبحث الرابع:
المستشرقون ومنهج انتقاء المصادر في دراسة القرآن الكريم

لا شك أن فعالية المنهج المتبع في أية دراسة، تتوقف على قيمة المصادر والروافد المعتمدة؛ إذ هي القاعدة المغذية والمادة الخام التي ترتكز عليها الدراسة، فكلما كانت المصادر رئيسة وأصيلة وذات علاقة مباشرة بالموضوع، كانت الدراسة أقرب إلى حصول المراد المنشود والمبتغى المقصود من طرف الباحث.

وفي إطار البحث الاستشراقي يتبين أن المنهج المتبع في انتقاء المصادر المعينة على بحث الموضوعات المرتبطة بالقرآنيات يتنوع ويختلف تبعاً لطبيعة الموضوعات المطروقة من جهة، ولمدى موضوعية المستشرق وأمانته العلمية أو حياده على الأقل في توظيف تلك المصادر والنقل عنها من جهة ثانية.

وسنتحدث عن بعض النقاط التي تبرز لنا نوع الخلل المنهجي الذي ينال أحيانا بعض دراسات المستشرقين في هذا المضمار؛ إيماناً منا بأن دراسات المستشرقين في مجال القرآنيات ليست كغيرها _ لا لشيء _ إلا لكونها منصبَّة على موضوع يرتبط بمسألة الوحي المنَزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا يؤمن به الباحث، ولا يمكن أن يتعاطف معه مبدئياً، وبالتالي لابد من أن تؤثر فيه قناعاته الدينية في مجال البحث، ولعل أبرز مواطن الخلل التي يمكن الإشارة إليها ما يلي:

أولاً: اعتماد عدد معين ومحدود من مصنفات علوم القرآن دون غيرها:

وهذا أمر يمكن أن يلاحظه كل من تتبع بدقة بعض دراسات القوم في مجال القرآنيات، فعدد المصنفات العربية المتعلقة بعلوم القرآن المعتمدة من طرف المستشرقين محدود جداً، وهي في معظمها كتب لم تتحر الصحة والنقد والرواية السليمة، وهكذا نجد أن نولدكه، وبيل، وبلاشير ـ على سبيل المثال ـ في مجال جمع القرآن الكريم لا يتجاوزون كتب المصاحف لابن أبي داود، والإتقان للسيوطي، والفهرست لابن النديم، في حين لا نجد عندهم اعتمادا يذكر على مصادر غيرها، بل لا نجد حيزاً كبيراً لكتب التراث الشيعي كالمصادر الأولى المعتبرة، والروايات الواردة عن أهل البيت (ع) الذين هم معين العلوم وتراجمة الوحي.

إن من الملاحظ أن المصنفات المعتمدة لدى المستشرقين المعاصرين هي نفسها التي كان يعتمدها أسلافهم من المستشرقين القدامى، وذلك بالرغم من صدور كثير من الكتب الموثوق بها والمعتمدة في علوم القرآن، وهذا أمر يسهل التأكد منه من خلال الاطلاع على لوائح المراجع المعتمدة لدى المستشرقين المعاصرين مقارنة بما جاء لدى القدامى منهم. وبذلك يمكن القول بأن حصر المصادر ونوعيتها يكاد يكون تقليداً في البحث الاستشراقي، وهو يرمي إلى الإبقاء على الشبهات والافتراءات نفسها التي نسجها المستشرقون الأوائل، وذلك عن طريق الإشارة إلى الاقتباسات والإحالات ذاتها ثم الاستنتاجات والافتراضات نفسها، وهذا ما يلاحظ من خلال مادة (القرآن) التي حررها A.T.Welch في دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية في طبعتها الثانية. وهي مادة مطولة وجامعة لأبرز علوم القرآن التي درج المستشرقون على

الخوض فيها ودراستها. والشيء نفسه يمكن ملاحظته في كتاب نولدكه (تاريخ القرآن) وكتاب جفري (مواد من أجل دراسة تاريخ النص القرآني) وكتاب جون بورتون (جمع القرآن) وكتاب بلاشير (مدخل إلى القرآن).

إن من نواحي الضعف المنهجية التي تدخل في السياق نفسه محاولة دراسة اتجاه معين في التفسير أو تيار معين في مجال من مجالات علوم القرآن من خلال نموذج أو نموذجين يتم اختيارهما، والوقوف عندهما دون غيرهما. مثال ذلك ما اعتمده جولدزيهر في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي) فقد كان يرمي إلى تحقيق افتراض بعينه اعتنقه مقدماً واعتسف من المقدمات واختار من الوسائل والأمثلة في تاريخ التفسير ما يوصله إلى ذلك الغرض، ويحقق له تلك النتيجة بعينها، فاقتصر على دراسة تفسيرين: تفسير الطبري، وتفسير المنار، وقد يكون من حق المؤلف أن يلتزم منهجا يعينه على تصوير افتراض يتخيله، ولكن ليس من الحق أن يقال إن جهده في هذا الصدد كشف صادق عن حقيقة التفسير عند المسلمين. لقد تخير جولدزيهر من مناهج المفسرين ما يخدم فكرته ويكشف عن أثر الالتزام المذهبي في توجيه النص وإنطاقه بمبادئ المذهب وعقائده، فاقتصر على دراسة تفاسير محددة ولم يستقص بيان مذاهب التفسير كلها[١].

قد يكون من حق الباحث أن يسلك أي الطرق المنهجية في بحثه لكي يصبح من الواجب عليه حينئذ أن يلتزم أصول هذا الطريق طوال بحثه، وألا يؤمن ببعض المنهج ويكفر بالبعض الآخر، ولو فعل المستشرق ذلك

(١) ظ: مذاهب التفسير الإسلامي، جولدزيهر : ٧٣-١٢٠-٢٠١-٢٨٦-٣٣٧.

واستقصى جوانب التفسير المذهبي كلها من تشريعية فقهية، إلى لغوية نحوية، أو أثرية موسوعية من خلال جميع كتب التفسير التي كانت في وقته لتكشّفت له حقيقة مغايرة، وهي أن النص القرآني نص خصيب متجدد وثري. فليس سهواً إذاً أن يغفل جولدزيهر عن آثار أخرى في التفسير، وإنما هو التجاهل المتعمد ليبدو محصول المسلمين من التفسير في النهاية رذاذاً متناثراً فرقته الأهواء الحزبية والفكرية بحسب تصوراته في الكتاب المذكور(١).

ثانياً: انتقاء الروايات الضعيفة والمنقطعة من مصادر علوم القرآن:

يكاد يتفق منهج المستشرقين العام في الدراسات القرآنية على تعمد اختيار الأخبار الضعيفة والروايات المنقطعة في بطون المصادر العربية قصد بناء أحكامهم عليها، والتدليل بها على مقاصد وأغراض معينة.

لقد وجد المستشرقون في كتب معينة ما أفادهم في ضرب بعض الروايات ببعض قصد التشكيك في مصداقية النص القرآني، كما أنهم قد يعتمدون بعض الروايات المنقطعة التي ترمي إلى نقض ما هو مشهور ومعروف لدى المسلمين عن تاريخ النص القرآني، إن A.T.Welch كاتب مادة (القرآن) في دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية(٢) قد وجد فيما أورده السيوطي في إتقانه(٣) من روايات مختلفة ومتباينة عن أول من جمع القرآن الكريم باباً يَلِجه، وكذلك ما وجده في كتاب أبي داود أيضا، كل ذلك شكل المادة ألولية

---

(١) ظ:اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، محمد إبراهيم شريف: ٧.

(٢) Encyclopédie de l'Islam Tome 5 p 406.

(٣) الإتقان، السيوطي: ١ :١٦٤.

لكتابته عن (القرآن)، فهو ومع الاقتصار على مصدرين فقط، فهو ايضاً قد ترك التراث الشيعي واعتمد على التراث السني فقط؟!

لقد وجد معظم المستشرقين في كتاب (المصاحف) لابن أبي داود (ت ٣١٦هـ) ضالتهم المنشودة، ومعروف عن ابن أبي داود أنه كان يجمع كل ما بلغه في شأن جمع القرآن واختلاف مصاحف الصحابة دون تمحيص أو تثبت.

ثالثاً: توليد النصوص والشواهد بتصيدها من كتب الأدب والتاريخ وغيرها:

يختلف البحث الاستشراقي في حقل القرآنيات عن المنهج الإسلامي المؤسس على ضرورة اعتماد الموثوق من المصادر والمشهود له بالأولية والتميز، فالمصادر القرآنية الموثوقة ليس فيها ما يسعف القوم في تسويغ ما يَصْبون إلى تأكيده من أحكام مغرضة، واستنتاجات مغلوطة وخاطئة أريد لها أن تكون كذلك، ولهذا يلتجئ القوم إلى مصادر أخرى بحثاً عما يعينهم على بلوغ مأمولهم فيجدون بغيتهم في كتب الأدب والتاريخ وغيرها دون أدنى اكتراث بما يشكله اعتماد تلك المصادر في قضايا جوهرية ترتبط بالدراسات القرآنية من خلل منهجي كبير، ربما كان المستشرقون أول من نبهوا لخطورته وعواره في أبحاثهم الأخرى.

أفمن المعقول ان يتم الاعتماد على كتاب مروج الذهب للمسعودي، وكتاب الأغاني للأصفهاني، وكتاب الفهرست لابن النديم، وكتاب الإحياء

للغزالي، وكتاب الحيوان للدميري وغيرها[١] في دراسة علوم القرآن والتفسير؟؟

إن المستشرقين يهدفون من وراء ذلك إلى افتعال نوع من التشويش والبلبلة في الأذهان، وذلك ما فعله الفرنسي بلاشير في معرض حديثه عن عدد السور المكية والمدنية؛ حيث أحال في أحد الحواشي على كتاب (الإتقان) ثم قال بعد ذلك: (حسب رواية يقدمها لنا ابن النديم في كتابه الفهرست فإن عدد السور المكية ٨٥ وعدد السور المدنية ٢٨)، ثم يعقب بقوله: (لاحظوا فالمجموع ١١٣ سورة)[٢]، وهنا نجد الرجل الذي عرف بمنهجه الصارم وحسه النقدي في البحث لم يجرؤ على أن يقول: ربما وقع سهو في كلام ابن النديم أو أن العدد ٨٦ تحول إلى ٨٥ خطأً أثناء النسخ أو شيء من هذا القبيل ما دام إجماع الأمة الإسلامية، وكذا ما تنطق به الملايين من المصاحف المطبوعة على أن عدد سور القرآن ١١٤ سورة؟!

في الواقع أن كثيراً من المستشرقين ودعاة التغريب قد ألحوا على اعتماد مثل هذه الكتب، وأولَوها الاهتمام البالغ وأعادوا طبعها وأذاعوا بها، وحرضوا الباحثين من التغريبيين ومن شاكلهم على اعتمادها مصادر ومراجع؛ وذلك لأنها تفيد في رسم صور غير صحيحة ولا موثوقة عن حقيقة الأمور.

---

(١) انظر اعتماد جولدزيهر على هذه الكتب في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي) طبعة دار اقرأ ببيروت ١٩٨٣م في الصفحات التالية: ٧٨-٨٣-٩٠-٩١، وانظر اعتماد بلاشير على مروج الذهب: ٢٩ و ٧٦.

(٢) Blachère: Opcit p 243, note ;350.

رابعاً: إهمال المصادر القرآنية الأصيلة والاحتفاء بدراسات المستشرقين السالفة:

يبدو أن من أخطاء منهج المستشرقين في اعتماد مصادر ومراجع معينة تعمُّد عدم الاكتراث بموثوقيتها وأولوية بعضها؛ لهذا نجد أن المستشرق الذي يسعى إلى فرض فكرة معينة وتكريسها لا يلقي بالاً إلى المصادر التي ترمي مضامينها إلى نقيض ما يذهب إليه، وهو يعمد في الغالب إلى تقديم كتب ثانوية وغير موثوقة على ما هو معروف من كتب موثوقة ومعوَّل عليها.

إن المنهج الخاطئ كفيل بأن يؤدي إلى نتائج مغلوطة وخاطئة أريد لها أن تكون كذلك، ويبدو أن من أعظم أخطاء هذا المنهج المتمثل في عدم ترتيب المصادر حسب موثوقيتها وقيمتها تقديم كتب المستشرقين على غيرها من كتب العلماء المسلمين الأوائل في نقل الروايات، والنصوص القديمة.

إن المستشرق ريجيس بلاشير ـ مثلاً ـ لا يتوانى في الإحالة على كتاب (تاريخ القرآن) للمستشرق الألماني نولدكه كلما تعلق الأمر بذكر أحاديث نبوية أو روايات[١] تختص بمسألة جمع القرآن والتي نقلها العلماء المسلمون في كتبهم، والمثير للغرابة أن يلجأ بلاشير في حاشية واحدة إلى الإحالة على كتاب نولدكه أولاً، ثم يتبعه بكتاب الواحدي في أسباب النُّزول وتفسير أبي حيان، ثم الإتقان للسيوطي[٢].

---

(١) انظر مثلا صفحة ٦٩ حيث أحال في الحاشية ٨٩ على كتاب نولدكه فيما يخص حديثا رواه أنس بن مالك.

(٢) Blachère: op.cit p 243 note 349.

أما المستشرق A.T.Welch في مادة (القرآن)[١] فيقول: لا شيء في القرآن يدل على أن معنى (الأمي) الذي لا يقرأ ولا يكتب، وبدل الرجوع إلى كتب التفسير يحيل مباشرة بعد قوله هذا على (نولدكه) في تاريخ القرآن (١/ ١٤)، وريتشارد بل في كتابه (ص٣٣)، وبلاشير في مدخله (ص ٦-١٢).

يعد لجوء المستشرقين إلى الإحالة على كتب زملائهم السابقين أولاً، ثم الإشارة بعد ذلك إلى المصادر العربية الأصيلة أمراً يكاد يكون مطرداً. والأدهى من ذلك أن نعثر في كتاب بلاشير على حاشية يحيل فيها على كتاب نولدكه ثم يضع بين قوسين إشارة إلى أن نولدكه قد أسند نقله إلى الطبري في تفسيره، لكن تبين لبلاشير أن الإحالة غير صحيحة ونص عليها، ومع ذلك نجد الرجل لا يعير المسألة أدنى اهتمام، بل يمضي قدماً ويستشهد بما ذكره سلفه من نقول أو روايات تخدم هدفه ومرماه[٢].

إضافة إلى كل هذا فإن الترجمة من المصادر الأجنبية كثيرا ما يغير بها لفظ الشيء المترجم، وبخاصة إذا كان اسم مكان أو اسم شخص غريب لا علم للمترجم به، فلا ينفع في هذه الحالة إلا الرجوع إلى المصادر الأصلية الأصيلة.

---

(١) Encyclopédie de l'Islam p 404.

(٢) R. Blachère: Introduction au Coran p 69, note 89.

الفصل الثالث

دوائر المعارف الاستشراقية

المبحث الأول:
وقفة تعريفية مع دوائر المعارف الاستشراقية

إن المتتبع لبعض دوائر المعارف والموسوعات الغربية وما كتب فيها عن القرآن الكريم من منظور استشراقي يتضح له ان هناك العديد منها وهي:

أولاً: دائرة المعارف الدولية Encyclopaedia International

ظهرت الطبعة الأولى لهذه الموسوعة عام ١٩٦٨م في كندا، وفيها ورد الحديث عن القرآن الكريم في ثلاثة مواضع من الموسوعة، تحت مادة (إسلام Islam) ومادة (Islamic law)، ثم تحت مادة قرآن (Koran)، وجاء ذكر القرآن في عبارات تشكيكية عن اعتقاد المسلمين فيه والإيمان بصدق ما فيه من الآيات والذكر الحكيم. ومن هذه العبارات مثلاً قول الكاتب:

The (Muslims) look for answers above all in the Koran, the record of the explicit message which Mohammad believed had been given him by God.

وترجمة العبارة هي: (إن المسلمين يبحثون عن أمور دينهم قبل كل شيء في القرآن على أنه المصدر الصريح للرسالة التي يعتقد محمد أنها أوحيت إليه من الله).

إن الكاتب يستخدم بعض الألفاظ في الإنجليزية التي تثير الريبة لدى القارئ عن صدق نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم وعن حقيقة القرآن الكريم.

ثم بعد ذلك تحدث الكاتب عن أهمية القرآن والسنة المطهرة بالنسبة للمسلمين في حياتهم بوصفهما المنظمين للسلطات الحُكْميَة (السياسة والاقتصاد والتعليم والقضاء والحياة الاجتماعية... إلخ)، ثم يعلق الكاتب بطريقة غير مباشرة عن عدم التزام الدول الإسلامية بمقتضى الشريعة الإسلامية وتطبيقها ليوحي بعدم صلاحيتها لحياة الناس. وهذا الإيحاء يؤدي إلى تحقيق أحد أهداف المستشرقين الخفية في محاربة الإسلام في ذات القرآن الكريم أولاً ثم في بقية مصادر التشريع الإسلامي لإبطال الحكم بما أنزل الله، فـ(يحاول علماء اللاهوت في أمريكا الآن تطبيق نظرية النقد الأعلى على القرآن، كما يطبقونها على الإنجيل والتوراة ويزعمون في صَلَفٍ أنّ الله لم يتحدث (العربية) قط وهم يحاولون بذلك التشكيك في أن القرآن من عند الله ويقولون: إنه كغيره من الكتب المؤلفة عرضة للنقد والتبديل)[١].

وبعد أن بيَّن كاتب الموضوع أن القرآن هو الكتاب المقدس في الإسلام ويحوي مقولات محمد النبي الذي يعتقد المسلمون أنها نصوص أوحى بها الملك جبريل إلى محمد، ثم يوحي الكاتب إلى القارئ أن القرآن هو محاكاة لبعض نصوص الإنجيل، وأن قراءة القرآن من أوله إلى آخره يتسبب في نوع من الإرباك للمتابعة والفهم، والمقال في هذه الموسوعة بعمومه فيه شيء من التزييف والتدليس والتشكيك في القرآن الكريم مما رآه كاتب المقال مارشال هودجسون من جامعة شيكاغو[٢].

(١) Encyclopedia International, Grolier of Canada Limited Canada, 1973, vol. 9, P.443.

(٢) Harverd World Encyclopedia, New York-London, 1973, vol. 13, PP. 2317-2318.

ثانياً: دائرة معارف هارفرد العالمية Harverd World Encyclopedia

هي إحدى الموسوعات المنتشرة في الولايات المتحدة الأمريكية خصوصاً وأوربا عموماً، صدرت عام ١٩٧٣م في نيويورك ولندن من قبل شركة هارفرد للخدمات التعليمية Harverd Educational Services. وفي هذه الموسوعة جاء ذكر القرآن الكريم في ثنايا المادة الخاصة بالإسلام تحت عناوين جانبية عن النبي والمسجد والقرآن. والحديث عن الإسلام عموماً والقرآن خصوصاً في هذه الموسوعة فيه كثير من الاعتدال في مباني الألفاظ ومعاني الجمل والعبارات(١)، خالية من الإساءة والتجريح إلى حد ما، كما أفردت الموسوعة مادة خاصة بالقرآن تحت عنوان (Koran)، وجاء فيها:

Koran, sacred scripture of the religion of Islam. To Moslems the book is not only divinely inspired but enshrines the actual words of God.(٢)

وترجمة هذه العبارة: (القرآن هو الكتاب المقدس في دين الإسلام، وهو بالنسبة للمسلمين ليس كتاب وحي مقدساً فحسب، بل إنه كلام الله الحقيقي).

ثم يعلق كاتب المادة عن القرآن وأهميته للمسلمين وما أدى إليه من وحدة كلمتهم وتطور الحياة الإسلامية بجوانبها الحضارية والمدنية والسياسية

---

(١) Encyclopaedia International, Grolier of Canada Limited Canada, 1973, vol. 10, PP. 237-238.

(٢) Harverd World Encyclopaedia, New York-London, 1973, vol. 13, PP. 2317-2318.

والاجتماعية والاقتصادية، فيؤكد أن القرآن بالنسبة للمسلمين ليس كتاباً دينياً فحسب، بل هو منهج حياة للدين والدنيا والروح والجسد وحياة الآخرة[١].

يقول المفكر الفرنسي إيتين دينيه: (ومن اليسير على المؤمن في كل زمان وفي كل مكان أن يرى هذه المعجزة بمجرد تلاوة في كتاب الله، وفي هذه المعجزة نجد التعليل الشافي الذي أحرزه الإسلام، ذلك الانتشار الذي لا يدرك سببه الأوروبيون لأنهم يجهلون القرآن، أو لأنهم لا يعرفونه إلا من خلال ترجمات لا تنبض بالحياة فضلاً عن أنها غير دقيقة)[٢].

إن المستشرق البريطاني هاملتون جب يبين خلل معرفة المستشرقين بالإسلام ونصوص القرآن من خلال التراجم التي لا ترقى مهما كانت دقيقة إلى معاني اللغة العربية ومبانيها فيقول: (والواقع أن القرآن لا يمكن ترجمته بشكل أساسي كما هي الحال بالنسبة للشعر الرفيع؛ إذ ليس بالإمكان التعبير عن مكنون القرآن ولغته العربية، ولا يمكن أن يعبر عن صوره وأمثاله؛ لأن كل عطف أو مجاز أو براعة لغوية يجب أن تدرس طويلاً قبل أن ينبثق المعنى للقارئ)[٣].

ثالثاً: دائرة المعارف البريطانية لليافعين (للبنين والبنات) Britannica Junior Encyclopedia

ظهرت أول طبعة لها عام ١٩٣٤م عن هيئة الموسوعة البريطانية، وقام بنشرها (وليم بنتون) في كل من لندن، وشيكاغو، وتورنتو، وجنيف،

---

(١) المرجع السابق.

(٢) محمد رسول الله، ايتين دينيه: ١١٨.

(٣) الاتجاهات الحديثة في الإسلام، هاملتون جب: ٣٠-٣١.

وسيدني، وطوكيو، ومانيلا، وجوهانسبرج. وقد أفرد في هذه الموسوعة مادة خاصة بالقرآن بلفظ Koran، وفي ثنايا النص ذكر الكاتب أن الكتابة الصحيحة للفظ قرآن هي Qur'an، مبيناً أنه الكتاب المقدس للمسلمين ولكنه عبث بأفكاره مشيراً بشيء من التشكيك إلى أن النبي محمداً هو الذي يقول إن جبريل عليه السلام أوحى إليه بكلام الله العبارة الآتية:

According to Mohammad the angel Gabriel revealed the word of God to him.

وترجمة هذه العبارة هي: (حسب رأي محمد أن الملك جبريل هو الذي أوحى إليه بكلمة الله) ولإبطال هذه الشبهات وهذا التشكيك يكفي أن نشير إلى ما ذكره علماء المسلمين وعلماء غير المسلمين بأن القرآن على اليقين كلام الله ووحيه إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ولو كان من عنده صلى الله عليه وسلم لما جاء في القرآن ألفاظ مثل: (قل، وأنذر، وبشر)، ولما تضمن القرآن آيات فيها عتاب للنبي عليه الصلاة والسلام، وهذا كله وغيره يوضح ويثبت قطعاً نصية وحرفية ومضمون القرآن الكريم[(١)]. يقول المفكر الفرنسي موريس بوكاي: (كيف يمكن إنساناً ـ كان في بداية أمره أمياً ـ أن يصرح بحقائق ذات طابع علمي لم يكن في مقدور أي إنسان في ذلك العصر أن يدركها، وذلك دون أن يُكشف عن أقل خطأ من هذه الوجهة)[(٢)]. ثم تحدث الكاتب عن جهود الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه في جمع القرآن الكريم وبيَّن عدد أجزاء القرآن الكريم وعدد سوره من الطوال

(١) مفتريات على الإسلام، أحمد محمد جمال:٢٠-٢٣.
(٢) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، موريس بوكاي:١٥٠.

والمفصل، ثم أشار الكاتب إلى أن حجم القرآن يساوي حجم العهد الجديد، وأن بعض آياته ومضامينه تشبه الآيات والمضامين الموجودة في الإنجيل[١].

وكل هذه المعلومات وغيرها جاءت بكثير من التفصيل والتعليق والتحليل في ثنايا دائرة المعارف البريطانية الأم التي هي موضوع هذا البحث ومحل بيانه لاحقاً مما سنورده من شبهات وما يدحضها، ويميط اللثام عن زيفها.

رابعاً: دائرة المعارف البريطانية Encyclopedia Britannica

إن دائرة المعارف البريطانية من أقدم الموسوعات التي ظهرت باللغة الإنجليزية، واكتسبت شهرة عالمية، حتى لا تكاد تخلو منها مكتبة من مكتبات العالم أو مكتبات الجامعات أو المكتبات الوطنية إلا وفيها نسخة أو نسختان من هذه الموسوعة، بل إن الباحثين وكثيراً من الأسر تقتني نسخة من هذه الموسوعة في مكتباتهم المنزلية لسعة معلوماتها، وتعدد مصادرها، وتنوع معارفها ولشهرتها وانتشارها، ولاهتمام الناشرين بتحديث المعلومات فيها وتطويرها كل فترة من الزمن، والمعلوم أن هذه الموسوعة ظهرت بادئ الأمر عام ١٧٧١م في ثلاثة مجلدات، ولا يزال القائمون عليها يعملون على إضافة الكثير من المعلومات إليها حتى أصبحت فيما يزيد على ثلاثين مجلداً، سبعة عشرَ منها للقسم الأساس المطولات Macropaedia واثنا عشر آخر لقسم الزيادات المختصرات Micropaedia[٢].

إن الموسوعات العالمية قد عنيت بمختلف أنواعها بالقرآن الكريم ، فأفرد له بعضها مقالات ومواد مستقلة جرى الحديث فيها عن مصدر القرآن،

---

(١) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، موريس بوكاي:١٥١.

(٢) دائرة المعارف البريطانية: ١ : ٥ .

وكيف جمع، والقراءات المختلفة ، وأجزائه وسوره وآياته، وأسلوبه، وموضوعاته، وترجماته إلى اللغات الحية.

وتحظى هذه الموسوعات بقبول واسع في دوائر المثقفين والباحثين، كما تتميز بالتأثير البالغ في توجيه أفكار الناشئة والشباب، غير أنها تحفل بالكثير من الشبهات والأخطاء حول القرآن الكريم وكذلك حول الرسول صلى الله عليه وسلم وسائر دعائم الدين الحنيف؛ مما يسهم في تقديم صورة مغلوطة ومشوهة عن الإسلام.

ولما كان لا بدّ من تتبع هذه الموسوعات للرد على ما ورد بها من شبهات وتصحيح ما اشتملت عليه من أغلاط بشأن القرآن الكريم ، فقد رأينا الاقتصار على موسوعتين إحداهما متخصصة والأخرى عامة، كل واحدة منهما تعد علماً في مجالها ونموذجاً لهذا المجال :

١ـ الموسوعة المتخصصة فهي دائرة المعارف الإسلامية – الطبعة الجديدة – The Encyclopaedia of Islam – New Edition ، وهي من الموسوعات التي لا غنى عنها للمشتغلين بالدراسات الإسلامية والشرقية.

٢ـ الموسوعة العامة فهي دائرة المعارف البريطانية Encyclopaedia Britannica، وهي تتمتع بانتشار واسع في دوائر المثقفين في سائر أرجاء العالم.

نعم، تعد (دائرة المعارف الإسلامية) أوسع نتاج استشراقي، عمل عليها مجموعة كبيرة جداً من المستشرقين من جنسيات أوربية مختلفة. وقد كان للمستشرق الهولندي أرندجان فنسنك (١٨٨٢ ـ ١٩٣٩م)، وقد كانت لهذا المستشرق الكثير من الآراء التي يلمس منها التحامل والحقد على الدين

الإسلامي، وعلى النبي محمد٩، مضافاً لما اشتملت عليه هذه الدائرة من تشويه متعمد، وكتابات مؤدلجة ضد الإسلام.

لقد ألّف المستشرقون (دائرة المعارف الإسلامية) لتشكّل عصارة تصوّراتهم عن الفكر والتراث والتاريخ الإسلامي، وتعدّ (دائرة المعارف الإسلامية) مصدراً أساسياً لفهم الرؤية الاستشراقية للإسلام، حيث نشرت باللغات الأجنبيّة، ثم ترجمت إلى اللغة العربية، فبلغت اثنين وثلاثين مجلّداً.

إنّ دائرة المعارف هذه تعدّ موسوعةً أكاديمية تدرس بعمق الحضارة الإسلامية بجميع أبعادها الدينية وغيرها. صدرت طبعتها الأولى بين عامي ١٩١٣ ـ ١٩٣٨ بالإنجليزية والألمانية والفرنسية، وفي عام ١٩٥٣م صدرت نسخة مختصرة لها ترجمت إلى كلّ من العربية والتركية والأوردية.

أشرف على الطبعة الأولى لها المستشرق فنسنك الذي كان عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، كما شارك في إعدادها المستشرق الفرنسي المعروف لويس ماسينيون.

وصدرت الطبعة الثانية عام ١٩٥٤ لتستمرّ إلى ٢٠٠٥م، وأضيفت إليها الكثير من المقالات، ليشارك فيها هذه المرّة باحثون شرق أوسطيّون، هذا ويتم إصدار هذه الموسوعة من قبل شركة بريل الهولندية، وقد ترجمت بعض أجزائها إلى العربية، وصدرت في مصر في ستينيّات القرن العشرين، ثم أعيد طبع النسخة العربية في الشارقة عام ١٩٩٨. وفي عام ١٩٩٩ صدرت النسخة الالكترونية لهذه الموسوعة في أقراص مدمجة على صفحات الانترنت، أما الإصدار أو الطبعة الثالثة لدائرة المعارف الإسلامية بدأ العمل عليه عام ٢٠٠٧م.

إن من أبرز من كتب في دائرة المعارف الإسلامية هم: لويس ماسينيون (١٨٨٣ ـ ١٩٦٢م)، وجوزيف شاخت (١٩٠٢ ـ ١٩٧٠م)، وهنري لامنس (١٨٦٢ ـ ١٩٣٧م)، ورينولد ألين نيكلسون (١٨٦٨ ـ ١٩٤٥م)، وديفيد صموئيل مرجليوث (١٨٥٨ ـ ١٩٤٠م)، ودانكن بلاك ماكدونلد (.... ـ ١٩٤٣م)، اجناتس جولدتسيهر (١٨٥٠ ـ ١٩٢١م)، وكارل بروكلمان (١٨٦٨ ـ ١٩٥٦م)، وكرستيان سنوك هرجونيه (١٨٥٧ ـ ١٩٣٦م)، وغوديفرو ديمومبين (١٨٦٢ ـ ١٩٥٧م)، وتوماس وكر أرنولد (١٨٦٤ ـ ١٩٣٠م)، ورينيه باسيه (١٨٥٥ ـ ١٩٢٤م)، وليفي بروفنسال (١٨٩٤ ـ ١٩٥٥م)، وكارل فلهلم سترستين (١٨٦٦ ـ ١٩٥٣م)، وجورجيو ليفي دلا فيدا (١٨٨٦ـ ١٩٦٧م)، وكارل فولرس (١٨٥٧ ـ ١٩٠٩م)، وفرانتس بوهل (١٨٥٠ ـ ١٩٣٢م)، وجاكوب بارت (١٨٥١ ـ ١٩١٤م)، وباول كراوس (١٩٠٤ ـ ١٩٤٤م).

المبحث الثاني:

سمات دوائر المعارف الاستشراقية

إن من أبرز سمات الكتابات في دوائر المعارف الاستشراقية هي:

١ـ التركيز على الضعيف من الأخبار، وأخذه مأخذ الجد وكأنه مسلم بـه، أو اعتباره تاريخ حقيقي، وان ما به هـي أحـداث حقيقيـة، في خلـط أو تعمـد لمثل هكذا منهجية.

٢ـ الاعتماد على أخبار الأعداء ضد خصومهم، والتسليم بها، ومناقشـتها على كونها من التاريخ الحقيقي، كما فعلوا حين اخذوا من أقوال بني أمية كـل ما قالوه بحق النبي(ص) وأهل بيته(ع) وطرحه منزلة الطرح الواقعي.

٣ـ التركيز على البدع والأخبار الخرافية والاساطير عند التعـرض لتـاريخ الإسلام، وجعل الطرح الغنوصي، والطرح المغالي هو المسيطر على الكتابـات وعلى النقل.

٤ـ اعتمادهم على المصادر الشـاذة النـادرة المنبـوذة، وعلـى الاخبـار الـتي نقلت في الكتاب شفهياً، وعلى كُتاب ليس لهم شأن بالكتابة، ولا يعرفون بها.

٥ـ الاعتماد علـى روايـات الكـذابين، والوضـاعين، والزنادقـة، والفـرق الضالة، والاسرائيليات، وروايات وعاظ السلاطين.

إن الموسوعة البريطانية (دائرة المعارف البريطانية) تعـد أشـهر الموسـوعات العامة على الإطلاق ، كما تعد أفضل موسـوعة كتبـت باللغـة الإنجليزيـة(١) ،

---

(١) Cecil B. Williamsm A Research Manual , New York , P. 60

وهي توزّع على نطاق واسع في كل القارات ، ويتباهى بتملكها المثقفون في كل أنحاء العالم . وكانت قد طبعت لأول مرة في بريطانيا سنة ١٧٧١هـ في ثلاثة أجزاء بإشراف عدد من كبار العلماء البريطانيين في ذلك الوقت، ثم طبعت بعد ذلك عدة طبعات وصدرت طبعتها الرابعة عشرة في شيكاغو (أمريكا) سنة ١٩٢٩م في ٢٤ مجلداً.

وكانت دائر المعارف البريطانية قد خلت من مادة مستقلة عن – القرآن- في طبعاتها القديمة التي أحيل فيها إلى الرجوع تارة إلى مادة – محمد- وتارة إلى مادة - الأدب العربي - (انظر طبعتي ١٨٩٠و١٩٢٦م) حتى أفردت في طبعه سنة ١٩٢٩للقرآن مادة مستقلة تشتمل على ترجمة لكتاب ألماني بعنوان- موجزات شرقية- نشره المستشرق الألماني تيودور نولدكه (توفي سنة ١٩٣٠) في برلين سنة ١٨٩٢(١).

أما طبعة سنة ١٩٧٤، وهي الطبعة الخامسة عشرة، والتي بين أيدينا الآن فقد كتب مادة القرآن فيها باللغة الإنجليزية H. R (كذا دون تعريف كاف). وتقع هذه المادة في المجلد الخامس عشر ، في نحو خمس صفحات على عمودين كاملين.

أما دائرة المعارف الإسلامية(٢) وهي موسوعة متخصصة فقد قرر مجلس إدارتها أن يضرب صفحاً عن طبعتها الأولى ويعيد كتابة موادها من جديد،

---

(١) وقد كان نولدكه (الذي كتب مادة القرآن في تلك الطبعة) كما وصفه المستشرق السويسري ستيفان فيلد Stefan Vild أجهل علماء عصره وأشدهم عداوة للإسلام . ظ: الإسلام في عيون السويسريين، ثابت عيد: ٢١٨.

(٢) صدرت طبعتها الأولى في أربعة أجزاء تباعاً من سنة ١٩١١ إلى ١٩٣٨ كما صدر لها ملحقان. طبعة لندن – لوزان.

فصدرت الدائرة في طبعتها الجديدة بالاسم نفسه وأضيفت إليها عبارة الطبعة الثانية second Edition Encyclopaedia of Islam . وقام بكتابة مواد هذه الطبعة المستشرقون المحدثون وعدد من كتاب الطبعة السابقة ممن ظلوا على قيد الحياة لكي تتضمن خلاصة ما توصل إليه الفكر الاستشراقي الحديث من آراء ونتائج في مختلف الموضوعات الإسلامية . وبدأت مجلداتها تصدر تباعاً من مطبعة بريل، بمدينة ليدن بهولندا منذ سنة ١٩٦٠م. ثم أعيد طبع هذه الطبعة نفسها مرة أخرى بعد ذلك في سنة ١٩٧٩.

ويبدو لي أن بعض دوائر المعارف المتخصصة ، وبخاصة دائرة المعارف الإسلامية ، تتوسع في مقالاتها توسعاً يكاد يخرجها عن كونها مجرد إشارات سريعة تتيح أمام الباحث المبتدئ مساحة كافية تعينه على تكوين رأي خاص في الموضوع، بل توشك هذه المقالات أن تكون تقارير شبه كاملة تتضمن الكثير من التقرير والحسم، قلما يجد الباحث فرصة كافية لكي ينفك من تأثيراتها الغالبة وآرائها شبه النهائية ويكون لنفسه رأياً خاصاً في موضوعاتها.

وإذا نظرنا إلى مادة (القرآن) التي كتبها باللغة الإنجليزية A.T.Welch في الطبعة الثانية المشار إليها، والتي اعتمدنا عليها في كتابة هذا المقال ، نجد أنها تقع في ٣٣ صفحة من القطع الكبير ، ببنط صغير وعلى عمودين كاملين في كل صفحة، مما يساوي كتاباً بأكمله في الموضوع. وقد حشد الكاتب المادة بآراء كبار المستشرقين القدماء منهم والمحدثين في كل جزئية من جزئيات المقال، الأمر الذي يجعل الباحث المبتدئ لا يملك في الغالب الأعم إلا أن يتبنى الخط العام الذي يوحي به المقال.

المبحث الثالث:

وقفة مع دائرة المعارف البريطانية

Encyclopedia Britannica

إننا إذ نتناول موضوع القرآن الكريم في دائرة المعارف البريطانية والتركيز بصفة خاصة عليها دون غيرها، إنما يأتي لشهرة الموسوعة مما ذكرناه من أسباب كثيرة عن واقع تلك الموسوعة والتي يرجع إليها الباحث والمثقف والقارئ العادي والمتخصص وغيرهم آخرون، ولاسيما من الغربيين الذين يُولون هذه الموسوعة كبير ثقتهم، ولكن هذا ليس على الاطراد.

ورد الحديث عن القرآن الكريم في دائرة المعارف البريطانية تحت مادة Quranفي الجزء الرابع عشر في الصفحات ٣٤١ حتى ٣٤٥ متضمناً الموضوعات الآتية:

١- مقدمة عامة.

٢- شكل القرآن الكريم ومضمونه.

٣- أصول القرآن الكريم ومصادره.

٤- المستشرقون والقرآن الكريم.

٥- تفاسير القرآن الكريم.

٦- ترجمات معاني القرآن الكريم.

سوف نتناول كل موضوع من هذه الموضوعات بعرض موجز لأهم المعلومات التي تضمنتها الموسوعة وتحليلها والتعليق عليها بإيجاز غير مخل في

حدود ما تسمح به قواعد البحث العلمي في إعداد مختصرات الأبحاث مثل بحثنا هذا على ما تقتضيه المناسبة لرد شبهة فرية، مكتفين بالرد جملة واحدة في المبحث الرابع من هذا البحث لاطلاع القارئ على فحوى ما كُتِب عن كتاب الله العزيز.

١- المقدمة:

ورد في مقدمة الموضوع تعريف عام للقرآن لغة واصطلاحاً، فقد ذكر بأن القرآن كما يعتقد المسلمون هو الكتاب المقدس الموحى به إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم من رب العالمين، وهو مكنون في اللوح المحفوظ، ومع أن بعض الألفاظ والمصطلحات الواردة في المقدمة توحي بشيء من الموضوعية العلمية عن حقيقة القرآن الكريم، إلا أن هناك بعض العبارات التي تشير إلى التشكيك والقدح في حقيقة القرآن، فذكر ما يلي:

١- يعدُّ القرآن إعادة جمع وترتيب بشري دنيوي للوحي السماوي الخالد وهو عمل غير مخلوق.

٢- لفظة قرآن ترتبط بالمفهوم الإنجيلي للكنيسة السريانية.

٣- القول بإعجاز لغة القرآن جمالاً وصفاءً مما يعجز عن محاكاته الإنس والجن حتى فصحاء العرب وبُلغاؤهم أمرٌ غير مقبول[١].

فالقول عن جمع القرآن جاء بعبارة توهم أن تلك العملية داخَلَها شيء من الحذف والإضافة والتحريف، فقد استخدمت عبارة as the earthly reproduction أي: أعيدت كتابته بأيدي البشر، وأكثر من ذلك القول

(١) دائرة المعارف البريطانية: ١٤ : ٣٤٢.

بأن لفظة (قرآن) ربما لها علاقة بالمفهوم الإنجيلي للكنيسة السريانية من مادة قرأ وقراءة.

٢- شكل القرآن الكريم ومضمونه:

تناول هذا الجزء من دائرة المعارف البريطانية الكلام عن شكل القرآن الكريم ومضمونه، فقيل: إن الكتاب الأسبق أي الإنجيل هو الأصح، لأن القرآن الكريم تعرض إلى تدخُّل الإنسان في جَمْعه وكتابته وداخل ذلك الحذف والإضافة، وهذا القول قصد به صد الناس عن كتاب الله العزيز والدفاع عن الإنجيل الذي داخله بحق التحريف والتبديل مما يشهد به كتَّابُ المسيحية أنفسهم مثل أحمد عبد الوهاب قبل إسلامه، فقد شهد بأنَّ تحريف الكتب السماوية طبيعة متأصلة في نفوس اليهود والنصارى[١].

ثم ذكرت الموسوعة عدد أجزاء القرآن الثلاثين، وعدد سوره المائة والأربع عشرة، وهي مختلفة في الطول وعدد الآيات، وأن كل سورة لها اسم تصدر بالبسملة، وبيان لمكان نزول السورة أو بعض آيات السورة، وهل هي مكية أو مدنية؟ وأن بعض السورة تفتتح بحروف متقطعة مثل (طس)، (طسم)، و(ألم)، ويتسم أسلوب القرآن بالصفات البلاغية العربية من البديع وسجع الكلام المنثور[٢].

٣- أصول القرآن ومصادره:

تحدث كاتب المقال تحت هذا العنوان عن أصول ومصادر القرآن الكريم، وأن المسلمين يقولون بنزول القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وسلم

---

(١) إسرائيل حرفت الأناجيل والأسفار المقدسة، أحمد عبد الوهاب:٧٥-٧٧.

(٢) دائرة المعارف البريطانية: ١٤ : ٣٤٢ .

على مدى عشرين عاماً في أزمنة عديدة ومناسبات مختلفة. ويقول كاتب الموضوع: (كان محمد يصاب بنوبات من الصرع وشرود الذهن عندما ينزل عليه الوحي من الملك جبريل عليه السلام، وأن القرآن كان ينزل اقتضاءً لبعض الأحداث في حياة محمد، وكان القرآن يُدوَّن على رقاع الجلد والعظام والحجار وبعض الأوراق).

وبالنظر إلى عموم ما أورده كاتب المقال في هذا الجانب ففيه كثير من صحة المرويات التاريخية عن أسباب جمع القرآن الكريم وأحداثه، إلا أن الكاتب دسَّ السمَّ في العسل أو الدسم بما أورده من بعض الفرى وأهمها:

١- الإيحاء بأن مصادر جمع القرآن كانت من ذاكرة الحفاظ. وهذا أمر يعتريه شيء من الخلل في الحفظ مما يجعل القرآن عرضة للزيادة والنقص، ولهذا فإنَّ تلك المصادر قد لا تكون دقيقة وموثوقاً بها.

٢- القول بأن مرحلة جمع القرآن النهائية من مصادر متعددة ومقارنتها بأصول الرقاع المحفوظة تُفْضي إلى خلل في حقيقة النص الأصلي، ولاسيما أن نسخاً متعددة للقرآن الكريم ظهرت في بعض مقاطعات الدولة الإسلامية بعد جَمْعه.

إن كاتب موضوع القرآن الكريم في دائرة المعارف البريطانية بإثارته لهذه الشبهات يريد أن ينتصر لليهود والنصارى فقد ذكر في ثنايا مقاله أن عداوة اليهود للمسلمين قوبلت من المسلمين باتهام اليهود بتحريف كلمات الله وكتبه، ثم ليوهم المرجفين والمبطلين والمنافقين بأن القرآن الكريم اعتراه

التحريف والتبديل والزيادة والنقص في مراحل جمعه بسبب عدم دقة وصدق الأصول والمصادر التي جمع منها القرآن الكريم [١].

إن تعاليم الإسلام تُبْطِل الفرية القائلة بأن نصوص القرآن وشريعة الإسلام فيهما ما يدعو لمعاداة اليهود والنصارى. فهذا المستشرق النمساوي الشهير اجانتس جولدتسيهر رغم تعصبه الشديد ضدّ الإسلام يدحض تلك المزاعم فيقول: (وكما أن مبدأ التسامح في الإسلام كان جارياً في الأعمال الدينية، كذلك من جهة أخرى كان يراعى فقهياً ما يتعلق بالمعاملات المدنية والاقتصادية بالنسبة لأهل الكتاب من مبدأ الرعاية والتساهل، فظلم أهل الذمة-وهم أولئك المحتمون بحمى الإسلام من أي مسلم- كان يحكم عليه بالمعصية وتعدِّي الشريعة، ففي بعض المرات عامل حاكم إقليم لبنان الشعب بقسوة عندما ثار ضد ظلم أحد عمال الضرائب لبعض أهل الذمة، فحكم عليه بما قاله الرسول محمد: من ظلم معاهداً وكلفه فوق طاقته فأنا حجيجه يوم القيامة)[٢]، والإسلام مثله مثل أي شريعة أو قانون يجيز الدفاع عن النفس وردَّ العدوان ورفض الباطل والاحتلال والاستعمار والظلم، وهذا لا يدخل تحت باب العداوة، إنما يدخل ضمن قواعد الدفاع عن الحقوق والمكتسبات.

٤- تفسير القرآن الكريم:

تحدث كاتب الموضع في هذا الجزء من دائرة المعارف البريطانية عن تفاسير القرآن الكريم وتعددها ونظرة المفسرين وعلماء العقائد المسلمين إلى حقيقة

(١) تاريخ الأدب العربي: ٤ : ٣٤٣ .

(٢) العقيدة والشريعة في الإسلام، اجانتس جولدتسيهر: ٤٦-٤٧.

القرآن وأنه مخلوق أو غير مخلوق، وأورد الكاتب كلام المعتزلة وعلماء الكلام والعقائد بخلق القرآن وكلام النحاة الكوفيين والبصريين، وأكد رفض أهل السنة والجماعة القول بخلق القرآن، في حين يميل الكاتب إلى رأي المعتزلة الذين نهجوا مدرسة النقد الفكري عند الإغريق[١] ثم تكلم الكاتب على مضامين تفاسير القرآن الكريم وعلى الخصوص تفسير الإمام الطبري رحمه الله، وأن معظم تفسير القرآن الكريم يعتمد على الشرح بالبيان اللغوي والاستشهاد العلمي بالأحاديث النبوية الشريفة التي قال بها النبي صلى الله عليه وسلم بقصد تعليم الناس مبادئ الإسلام وضوابط السلوك الشرعي والاجتماعي.

٥- ترجمات معاني القرآن الكريم:

تحدث الكاتب في الجزء الأخير من مقاله عن ترجمات معاني القرآن الكريم مبيناً أن أصل ما أوحي به إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان باللغة العربية لترطيب الأجواء ولجبر خاطر العرب ليكون هناك كتاب مقدس نزل بلغتهم، لكن ليس لهم كتاب مقدس كما عند اليهودية والنصرانية[٢].

وما كان هذا ينفع جميع من أسلموا من غير العرب فظهرت الحاجة إلى ترجمة القرآن إلى الأردية والفارسية ولغات عديدة أخرى، وجميع ترجمات معاني القرآن الكريم تعدّ تفاسير وشروحات للنص القرآني، وليس نقلاً

(١) دائرة المعارف البريطانية: ١٤ : ٣٤٤ .
(٢) دائرة المعارف البريطانية: ١٤ : ٣٤٥ .

لأصل النص القرآني كما هو في لغته الأصلية العربية، ولهذا فتلك النصوص لا تصلح للاستشهاد أو العمل بها في تطبيق مبادئ العقيدة والشريعة[١].

ثم تكلم كاتب المقال على أول نسخة طبعت طباعة عصرية للقرآن الكريم، وأنها تمت في العاصمة الإيطالية روما عام ١٥٣٠ ميلادية، مع أن تلك النسخة لم تتداول بين الناس، ثم طبعت نسخة أخرى في مدينة هامبورج بألمانيا عام ١٦٩٤م، ثم بيَّن الكاتب كيف عمل المستشرقون على ترجمة معاني القرآن الكريم إلى العديد من اللغات الأوربية: الإنجليزية، الفرنسية، الألمانية، البرتغالية، الإسبانية... إلخ.

إن الكاتب بحديثه عن ترجمات معاني القرآن الكريم في العديد من اللغات يعني به تعدُّد المصاحف، وقد لبس فيه الحق بالباطل ليوهم القارئ بأنَّ تعدد مصاحف القرآن يتوافق مع تعدد نسخ الإنجيل[٢]، ولكن المنصفين من المستشرقين ينفون بشدةٍ تعدُّد نسخ القرآن ويؤكدون أنه نص واحد، وأن تعدُّد الترجمات لا يعني تعدد النسخ، ولكن تحامل الظالمين يجعلهم يقولون بذلك.

يقول روم لاندو: (إن مهمة ترجمة القرآن بكامل طاقته الإيقاعية إلى لغة أخرى تتطلب عناية شخص يجمع الشاعرية إلى العلم، فإننا لم نعرف حتى وقت قريب ترجمة جيدة استطاعت أن تتلقف شيئاً من روح الوحي المحمدي، والواقع أن كثيراً من المترجمين الأوائل لم يعجزوا عن الاحتفاظ بجمال الأصل فحسب، بل كانوا مفعمين بالحقد على الإسلام إلى درجة جعلت ترجماتهم تنوء بالتحامل والغرض، ولكن حتى أفضل ترجمة ممكنة للقرآن في شكل

---

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق.

مكتوب لا تستطيع أن تحتفظ بإيقاع السور الموسيقي الآسر على الوجه الذي يرتلها المسلم، وليس يستطيع الغربي أن يدرك شيئاً من روعة كلمات القرآن إلا عندما يسمع مقاطع منه مرتلة بلغته الأصلية)[١].

الحقيقة أن التعدد للترجمات لا يعني تعدد نصوص القرآن، تقول الكاتبة الإيطالية لورا فيشا فاغليري: (لا يزال لدينا برهان آخر على مصدر القرآن الإلهي في هذه الحقيقة: وهي أن نصه ظل صافياً غير محرف طوال القرون التي تراخت ما بين تنزيله ويوم الناس هذا، وأن نصه سوف يظل على حاله تلك من الصفاء وعدم التحريف بإذن الله ما دام الكون)[٢].

---

(١) الإسلام والعرب، روم لاندو: ٣٦-٣٧.

(٢) دفاع عن الإسلام، لورا فيشا فاغليري: ٥٨-٥٩.

المبحث الرابع:
القرآن الكريم في دائرة المعارف البريطانية

إن الكلام عن مضمون القرآن في دائرة المعارف البريطانية فقد تركز الحديث فيه على أساسيات قواعد أركان الإسلام والإيمان بالله الخالق، فالسور الأُوَل من القرآن تركز على أن الله خالق الكون كله، وأن على الإنسان أن يشكر الله على فضله، وأن الله يجزي كل إنسان بحسب عمله إنْ خيراً فخير وإن شراً فشر، إما بجنة أو جحيم. ولم يتطرق كاتب الموضوع إلى توحيد الألوهية وإفراد الله بالعبادة جل شأنه والقول بأن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم آمن بعقيدة التوحيد التي بعث بها إبراهيم عليه السلام، وأن السور الأخيرة من القرآن تتحدث عن أنه لا ربَّ سوى الله ولا مكان لعبادة الأصنام والأوثان في دين الإسلام. كما بيَّن الكاتب أن القرآن ذكر بعض الأنبياء والرسل أمثال نوحٍ وإبراهيم وداود ويونس ويعقوب ويوسف وسليمان وموسى وزكريا ويحيى وموسى وعيسى .. إلخ عليهم وعلى نبينا محمد الصلاة والسلام.

كما يتناول القرآن الكريم قدرَ الإنسان وأنه بيد الله، وأن الإيمان والكفر يكونان بقضاء الله وقدره، وأن الإنسان بحسب الدين الإسلامي ليس له حرية الاختيار والإرادة. وانتهى كاتب المقال للقول بأن مضامين القرآن بأجزائه المتعددة وسوره المختلفة كانت تتوافق مع متطلبات مراحل ظهوره في مكة المكرمة أو المدينة المنورة أو غيرهما.

فجملة تلك الآراء والأقوال الواردة في دائرة المعارف البريطانية وما فيها من التشويه والتشويش لحقيقة كتاب الله العزيز، وما تحمله من إيحاءات تشير إلى أن القرآن خلط وتلفيق من الأديان والأفكار الوثنية واليهودية والنصرانية والصابئة والمانوية، حيث إن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم ادعى أنه آخر الأنبياء، وأن كتابه آخر الكتب، كما فعل دَعِيٌّ النبوة في الديانة المانوية الزرداشتية ماني خلال القرن الثالث الميلادي في بلاد فارس (إيران) الذي ادَّعى أنه آخر الأنبياء الذين جاءهم الوحي الإلهي من السماء(١).

والدعوى بأن القرآن الكريم يعتمد في أسلوبه على سحر قوة الشعر في أسلوب النثر للأخذ بقلوب الناس وعقولهم فذاك محض هذيان، وكما قال محمد عبد الله دراز عن أسلوب القرآن ونصوصه: (الألفاظ ينظر فيها تارةً من حيث هي أبنية صوتية مادتها الحروف وصورتها الحركات والسكنات، من غير نظر إلى دلالتها. وهذه الناحية قد مضى القول لنا فيها آنفاً، وتارةً من حيث هي أداة لتصوير المعاني ونقلها من نفس المتكلم إلى نفس المخاطب بها، أما النظر في المعاني القرآنية من جهة وما فيها من العلوم العجيبة فتلك خطوة أخرى، إذ الفضيلة البيانية إنما تعتمد دقة التصوير وإجادة التعبير عن المعنى كما هو)(٢).

إن المستشرق الفرنسي بلاشير الذي ترجم القرآن إلى الفرنسية أكثر من مرة يقول: (في جميع المجالات التي أشرنا إليها من علم قواعد اللغة العربية والمعجمية وعلم البيان أثارت الواقعة القرآنية وغذّت نشاطات علمية هي

---

(١) إسرائيل حرفت الأناجيل والأسفار المقدسة، أحمد عبد الوهاب:٧٥-٧٧.

(٢) النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن، محمد عبد الله دراز:١٠٦-١٠٧.

أقرب إلى حالة حضارية منها إلى المتطلبات التي فرضها إلى إخراج الشريعة الإسلامية، ولا تكون فاعليتها هنا فاعلية عنصر منبه فقط، بل فاعلية عنصر مبدع تتوطّد قوته بنوعيته الذاتية)[١].

أما الزعم بأن محمداً النبي صلى الله عليه وسلم ادعى عقيدة التوحيد، وأن إبراهيم عليه السلام جاء بها من قبله، وفي ذلك مخالفة لاعتقاد اليهود والنصارى، وكذلك الادعاء بأن القرآن الكريم يعطي فسحة للمسلمين للإشادة بالأوثان والأصنام، تلك الأقوال كلها باطلة، ولا يخفى هذا على غير المسلمين إضافة إلى عن المسلمين.

يقول الكاتب البريطاني توماس آرنولد: (يعبر الشطر الأول من هذه العقيدة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) عن مبدأ يكاد يقبله جميع الناس على أنه فرض لابد منه، على حين يقوم الشطر الثاني منها على فكرة علاقة الناس بالله وهي مسألة تكاد تكون عامة شاملة، بمعنى أن الله تعالى في فترات من تاريخ العالم قد وهب بعض تجلّيه للخلق على لسان أنبياء ملهمين منهم إبراهيم النبي)[٢].

ويقول المستشرق الفرنسي هنري ماسيه: (في القرآن الكريم يظهر إبراهيم عليه السلام عدة مرات مع عنوان الحنيف، ويبدو أن هذه العبارة السابقة لعصر محمد صلى الله عليه وسلم كانت تدل على أن هناك حنفاء لا يؤمنون بالنصرانية ولا اليهودية، ويتطلعون بوضوح إلى دين أكثر تجرداً من العقائد والمذاهب الأخرى، يتطلعون إلى توحيد كامل، ولكن محمداً صلى الله عليه

(١) القرآن: نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره، ريجيس بلاشير:١٠٤.
(٢) الدعوة إلى الإسلام، توماس آرنولد:٦١.

وسلم انتهى إلى التوحيد، وإلى دين أساسي وفطري ليست الأديان الأخرى سوى دلالات عليه)[١].

وإذ يرفض أعداء الإسلام عقيدة التوحيد ويَصِمون الإسلام بمخالفته لما في النصرانية واليهودية فمردُّ ذلك كما يقول أحد العرب النصارى الذين أسلموا: (إن الإسلام دين المنطق والعقل، ولم يجعل وساطة بين الله والإنسان، ولم يترك مقادير الناس رحمة نفر منهم يلوحون لهم بسلطان الكنيسة)[٢].

ويؤكد هذا المبدأ ما تكلم به المفكر الفرنسي لويس سيديو الذي قال: (لا ترى في الإسلام سلسلة مراتب ولا طوائف كهنوتية ولا طبقات ذات امتيازات)[٣].

أي: لا شركاء لله في ألوهيته، وله الدين الخالص ومحمد عبد الله ورسوله، وعيسى كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه عليهما الصلاة والسلام.

إن مغالطة الحقيقة عما ذكرته كتب اليهود والنصارى عن نبي الإسلام يأتي من الزعم بأن القرآن يربط بين الدين الإسلامي واليهودية، وقد أدرك مغزى هذه الفرية الكثير من العلماء مسلمين وغير مسلمين، فهذا المفكر الفرنسي الكونت دي كاستري يجلي الحقيقة بقوله: (قد نرى تشابهاً بين القرآن والتوراة في بعض المواضع. إلا أن سببه ميسور المعرفة، إذا لاحظنا أن القرآن جاء ليتممها، كما أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين)[٤].

---

(١) الإسلام، هنري ماسيه:٣٩-٤٠.
(٢) محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، إبراهيم خليل أحمد: ١٧٣.
(٣) تاريخ العرب العام، لويس سيديو:١١٧.
(٤) الإسلام خواطر وسوانح، الكونت دي كاستري:٢٢-٢٣.

إن الادِّعاء بما يمكن أن لحق نصَّ القرآن الكريم من نقص أو زيادة في فترة جمعه ادعاء باطل. ولعلَّ ما قاله بعض المنصفين من مفكري الغرب فيه غنية عن كثرة البيان، فهذا المستشرق الأمريكي واشنطن إيرفنج يقول: (كانت التوراة في يوم ما مرشد الإنسان وأساس سلوكه، حتى إذا ظهر المسيح اتبع المسيحيون تعاليم الإنجيل، ثم حلَّ القرآن مكانهما فقد كان أكثر شمولاً وتفصيلاً من الكتابين السابقين، كما صحح القرآن ما قد أدخل على هذين الكتابين من تغيير وتبديل)[١]. وهذا القول يدحض الفرية القائلة بأن القرآن فيه زيادة أو نقص، وهل ثمة كتاب اتسم بالشمول والوضوح بل وفيه بيان لما أدخل على ما سبقه من كتب يمكن أن يعتريه النقص أو الزيادة؟ وكلام هذا المفكر فيه الحق، وهو من غير المسلمين، بل ويؤكد الفرنسي بلاشير ما ذهب إليه إيرفنج المستشرق فقال: (إن الفضل بعد الله يعود إلى الخليفة عثمان بن عفان لإسهامه قبل سنة ٦٥٥ هـ في إبعاد المخاطر الناشئة عن وجود نسخ عديدة من القرآن، وإليه وحده يدين المسلمون بفضل تثبيت نص كتابهم المنَزَّل)[٢].

لقد أفرد كاتب المقال في دائرة المعارف البريطانية جزءاً للحديث عن نظرة المستشرقين إلى القرآن الكريم لتدعيم آرائه الباطلة عن القرآن الكريم ظناً أن جميع المستشرقين يتمتعون بموضوعية البحث العلمي والنظرة العلمية المتجردة فيما يقولون، فلننظر أين الحق والصواب، والحكمة ضالة المؤمن؟

---

(١) حياة محمد، واشنطن إيرفنج:٧٢.

(٢) تاريخ الأدب العربي، ريجيس بلاشير: ٢ : ٢٢ .

أ- إن نظرة المستشرقين إلى القرآن الكريم هي مرتكز هذا المبحث كما تضمنته دائرة المعارف البريطانية، فقد استند كاتب المقال في عرضه إلى آراء عدد من مشاهير المستشرقين عن القرآن الكريم أمثال بل، وبلاشير، وجولدتسيهر، وبلجون، ومدراش، وآربري، وفلوجل وآخرين من غيرهم.

إن جملة آراء المستشرقين الواردة في دائرة المعارف البريطانية عن القرآن الكريم أقوال لا تقف عند حد، وهي في حقيقتها باطلة.

تقول الصحفية الأمريكية ديبورا بوتر: (كيف استطاع محمد الرجل الأمي الذي نشأ في بيئة جاهلية أن يعرف معجزات الكون التي وصفها القرآن الكريم والتي لا يزال العلم الحديث حتى يومنا هذا يسعى لاكتشافها؟ لابد إذن أن يكون هذا هو كلام الله)[١].

ولو لم يكن ذاك كلام الله لكان فيه اختلاف كثير فكل حرف وكل كلمة في القرآن بتسلسلها الزمني والتاريخي وأسباب نزولها هي وحي الله إلى عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ولئن حوى القرآن بعض المعلومات الواردة في النصرانية واليهودية إنها جميعاً من عند الله؛ ولهذا يقول المستشرق البريطاني هاملتون جب: (مهما يكن أمر استمداد الإسلام من الأديان التي سبقته فذلك لا يغير هذه الحقيقة أيضاً وهي: أن المواقف الدينية التي عبر عنها القرآن ونقلها إلى الناس تشمل بناءً دينياً جديداً متميزاً)[٢]. ويأتي تمييز هذا الدين بمعجزة كتابه المقدس ولغته البديعة، ويقول الكاتب الفرنسي لويس سيديو: (صلح القرآن ليكون نموذجاً للأسلوب وقواعد النحو فأوجب ذلك

---

(١) عرفات كامل العشي، رجال ونساء أسلموا، عرفات كامل العشي: ٨ : ١٠٠ .

(٢) دراسات في حضارة الإسلام، هاملتون جب:٢٥٤-٢٥٥.

نشوء علم اللغة، فظهور علم البيان الذي درس في تركيب الكلام ومقتضى الحال والبديع وأوجه البلاغة وأضحى لصناعة قراءة القرآن وتفسيره أكثر من مائة فرع، فأدى هذا إلى ما لا حصر له من التأليف في كل منها)[١].

إن عداء جملة من المستشرقين للإسلام والمسلمين ظاهرة لا يختلف عليها اثنان، وقد ناهضَ الإسلامَ أعداؤه السابقون منذ أن صدع النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالدعوة الإسلامية وجاء بالقرآن الكريم وحي الله من السماء إليه صلى الله عليه وسلم، وتنامى هذا العداء عبر العصور خصوصاً لدى أدعياء العلم وموضوعية البحث العلمي، مع أن الجهل بالإسلام وحقيقته يسيطر عليهم، فهم لا يريدون من أحد أن يكون مسلماً مؤمناً ممن كان في صفوفهم من المستشرقين لما لذلك من نتائج سيئة على أفكارهم وأبحاثهم الباطلة التي يدفعها الحق المبين من شهداء الله في أرضه؛ لأنَّ من أسلم من المستشرقين هم ممَّن عَرَفوا الحق وقالوا به وبينوا الكثير من مغالطات الاستشراق وعدم موضوعيته، وفي العبارة الآتية للمستشرق الألماني رودي بارت نلحظ الاضطراب والتناقض فيما يذهب إليه إذ يقول: فنحن معشر المستشرقين، عندما نقوم اليوم بدراسات في العلوم العربية والعلوم الإسلامية لا نقوم بها أبداً لكي نبرهن على ضعة العالم العربي الإسلامي، بل على العكس، نحن نبرهن على تقديرنا الخاص للعالم الذي يمثله الإسلام ومظاهره المختلفة والذي عبر عنه الأدب العربي كتابة. ونحن بطبيعة الحال لا نأخذ كل شيء ترويه المصادر على عواهنه دون أن نُعْمِلَ فيه النظر، بل نقيم وزناً

(١) تاريخ العرب العام، لويس سيديو: ٤٥٨.

فحسب لما يثبت أمام النقد التاريخي أو يبدو وكأنه يثبت أمامه. ونحن في هذا نطبق على الإسلام وتاريخه، وعلى المؤلفات العربية التي نشتغل بها المعيار النقدي نفسه الذي نطبقه على تاريخ الفكر عندنا وعلى المصادر المدونة لعالمنا نحن. وإذا كانت إمكانات معرفتنا محدودة ـ وهل يمكن أن تكون إلا كذلك ـ فإننا نؤكد بضمير مطمئن أننا في دراساتنا لا نسعى إلى نيات جانبية غير صافية، بل نسعى إلى البحث عن الحقيقة الخالصة. أما الرأي المضاد لذلك والذي نشره عالم الأزهر الأستاذ البهي في كتيبه الذي صدر أخيراً باسم (المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام)، فنحيط به علماً ونحن هادئو البال)[١].

ما تقدم هو نموذج لرؤى المستشرقين ومناهجهم في أبحاثهم ودراساتهم للإسلام عامة والقرآن الكريم ولا سيما أن الهدف هو تمحيص الإسلام من وجهة نظر علمية تتسم بالموضوعية التي تخضع لقواعد المنهج العلمي لديهم، يقول الأستاذ أحمد جمال: (يحاول علماء اللاهوت في أمريكا الآن تطبيق نظرية (النقد الأعلى) على القرآن، كما يطبقونها على الإنجيل والتوراة، ويزعمون في صلف: أن الله لم يتحدث (العربية) قط، وهم يحاولون التشكيك في أن القرآن من عند الله، ويقولون: إنه كغيره من الكتب المؤلفة عرضة للنقد والتبديل)[٢]، وتحريف الكتب المقدسة لدى أعداء الله يقصد به إفساح المجال لخواطر شبهاتهم ونوازع شهواتهم وبطش جبروتهم وبسط سلطانهم، كما حددها رودي بارت من وجهة نظره بقوله: (ونحن بطبيعة الحال لا نأخذ كل

---

(١) الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، رودي بارت: ١٠.
(٢) مفتريات على الإسلام، أحمد محمد جمال: ١٩.

شيء ترويه المصادر على عواهنه دون أن نعمل فيه النظر)[١]، وكمنهج علمي هذا صحيح، ولكن إعمال النظر يجب ألا يقوم على التحريف والتشويه للحقائق الثابتة التي تنتهي بالقدح في نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، والتشكيك في القرآن الكريم والقول بأن ما يقال عنه أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم إنما هي من وضع الصحابة وعلماء الحديث كما قال بذلك المستشرق النمساوي اليهودي جولدتسيهر[٢].

وإذا كان المستشرق رودي بارت في كلامه السابق يقول: إن معرفة المستشرقين بالإسلام محدودة، فكيف يمكن مَنْ معرفتُه قاصرة ومحدودة أن يجعل من نفسه حكماً إذ إنَّ فاقد الشيء لا يعطيه؟ كيف لمن لا يعرف اللغة العربية أن يستطيع الوقوف على أسرارها وتمييز الأحكام ومعرفة المقاصد الشرعية؟ كيف يمكن مَنْ يجهل الدين الإسلامي أن يدلي بدلوه ويقول برأيه عن الإسلام؟ أليس في هذا تهاون وأي تهاون مع شروط المنهج العملي وقواعد البحث والموضوعية؟ كيف يمكن هؤلاء الناس أن يُعْملوا أفكارهم فيما هم به جاهلون وله متجاهلون؟ إن كثيراً من المستشرقين ليس لديهم علم ودراية بحقيقة الإسلام سوى أنه دين يهدد مصالح الإنسان غير المسلم.

---

(١) الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية:١٠.
(٢) مفتريات على الإسلام: ٣٣ـ ٣٥.

المبحث الخامس:
شبهات دائرة المعارف البريطانية على القرآن الكريم

إن دائرة المعارف البريطانية ـ باعتبارها موسوعة عامة ـ تصلح كمرجع مبسط للقارئ المتعجل الذي لا تتاح له قراءة المراجع المتخصصة، ومن ثم تكون كل كلمة مدونة فيها جديدة عليه، ومقبولة عنده، ولا سيما أن كتابها كلهم من كبار المتخصصين ذوي الرأي الراجح والكلمة المسموعة عند القراء الغربيين وغير الغربيين.

ولأنها تخاطب القارئ الغربي غير المتخصص في الأساس فقد اعتمد كتابها أسلوباً يربط مادتها العلمية باهتمامات القارئ الغربي ومنظومته المعرفية وتستخدم المنهج نفسه في تحليل الحقائق من منظور عقلي بحت لا يستجيب إلا لما تمليه المدركات العقلية والحسية.

فالمستشرقون يتعكزون على الفهم العقلي البحت، والفهم الحسي المجرد، وبالتالي يطرحون أفكارهم على مجتمعاتهم وفق هذا الطرح، كما وان المجتمعات الأوربية والغربية لا تفهم إلا مثل هكذا طرح، لأن سياقات الفهم الثقافي الاجتماعي واحدة، وللدارس في المجال الانثروبولوجي تصور واضح عن مناهج فهم المجتمعات للقضايا المطروحة عموماً، وللقضايا الدينية بشكلٍ خاص(١).

---

(١) يراجع للمزيد عن ذلك: كتاب: علم الإنسان القرآني: الانثروبولوجيا القرآنية، ليث العتابي، ط١، ٢٠١٨م، دار القارئ، بيروت ـ لبنان.

يقسم الكاتب في دائرة المعارف البريطانية مادة (القرآن) التي تقع في نحو خمس صفحات من القطع الكبير على عمودين(١) إلى الأقسام التالية: مقدمة مصادر القرآن وما انتهت إليه دراسات المستشرقين حول تفاسير القرآن، وترجمات القرآن.

وإذا جمعنا الأفكار والآراء التي عرضها الكاتب في المادة المذكورة وربطنا بين الأجزاء بعضها وبعض فإننا نخرج بتصور محدد عن القضايا الرئيسية التي ركز عليها الكاتب وأراد بها أن يشكك في القرآن الكريم ويطعن في الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما أراد أن يسفه بها كل المقولات القائمة على (الغيب) عدا ما كان منها يشبه شيئاً مما جاء في الكتب المقدسة عند اليهود والنصارى.

إن الهدف الأول الذي يسعى إليه كاتب المادة من ذلك كله هو حشد كل ما يمكنه من مزاعم وافتراءات في حزمة مترابطة من القضايا التي يلتفت إليها القارئ الغربي ويتنبه لها ويراد له أن يتلقاها باسم العلم والمعرفة وعلى يد جماعة من أحبار العلماء والرهبان المعاصرين ممن يطبقون المنهج على غير موضوعه لكي ينفر القارئ من القرآن الكريم ويعرض عنه، وم هذه الشبهات:

أولاً : تشويه صورة الإسلام والقدح في تفرده وأصالته وتقديمه على أنه صورة مشوهة للتراث اليهودي والنصراني:

---

(١) انظر المجلد الخامس عشر من ص ٣٤١ إلى ٣٥٤ ، الطبعة الخامسة عشرة ، Helen Hemingway, Benton , Checago 1974.

لقد استشهد الكاتب على ذلك بما يلي: هناك كلمات غير عربية الأصل وردت بالقرآن استعير معظمها من مصادر يهودية ونصرانية...تقف شاهداً على ما يدين به محمد لكل من اليهودية والنصرانية.

يقول : وتجدر الإشارة إلى أن بعض الأنبياء المشار إليهم (في القرآن) إنما هم شخصيات الكتاب المقدس : نوح، موسى ، إبراهيم ، المسيح، بينما نجد أنبياء آخرين قد استمدوا من روايات عربية وطنية: هود وصالح (كذا)، ونقول إذا كان هناك تشابه بين القرآن والتوراة والإنجيل فهذا أمر طبيعي لأن المصدر واحد وهو الوحي، أما التناقض فيرجع إلى تحريف اليهود والنصارى للوحي المنزل على موسى وعيسى(١).

يقول: وأصغر الآيات تظهر على وجه العموم في السور المبكرة، حيث يأتي أسلوب وحي محمد قريباً للغاية من النثر المسجوع أو –السجع- المستخدم لدى الكهان في زمنه ، أي أنه يزعم أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قد تأثر بالكهان والرهبان.

يقول: ويظهر إبراهيم (عليه السلام) كمؤسس للتوحيد العربي ، ومحمد صلى الله عليه وسلم على نحو ما هو خليفته. وهناك محاولات واضحة لإقامة علاقات مع العقائد اليهودية، ونقول إن ما يزعمه الكاتب من أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد تقرب إلى اليهود في المدينة عن طريق إعطاء دور أكبر لنبيهم إبراهيم يناقض تماماً المنهج التاريخي الذي يعتمد عليه المستشرقون

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية (نقد لمواد الطبعة الأولى من الدائرة المذكورة)، إبراهيم عوض: ٢٥٠.

والذي لا يقبل الشك عندهم كما يناقض كل منطق مقول في العقل ، فوجود إبراهيم إنما كان سابقاً على اليهودية.

لقد جاء في القرآن الكريم: ((هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)) (آل عمران: ٦٥-٦٧).

يقول: إن الباحثين الغربيين تبينوا أن كثيراً من المادة القصصية المتعلقة بأشخاص الإنجيل لم تأت من الإنجيل وإنما من المسيحية المتأخرة بل ومن مصادر يهودية . وهناك أفكار أخرى كفكرة الوعيد ووصف الجنة تتفق مع الخطوط الرئيسة للبعثات التبشيرية لآباء الكنيسة السريانية المعاصرة .

وإذا سألنا الكاتب عن السند الذي يستند إليه في هذا القول أجاب إن هذا الاعتماد لا يحتاج أن يكون مكتوباً ومدوناً وربما كان بمنزلة تأثير من تعاليم شفوية.

ثم لا يمكن أحداً أن يزعم وجود علاقة بين نظام التوحيد المطلق الذي جاء به القرآن الكريم وبين اليهودية والنصرانية والوثنية التي كانت سائدة قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

ثانياً: التعمية على مبدأ عالمية الإسلام :

يقول: ومن المؤكد غالباً أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قد قدم لقومه (القرآن العربي)، أي الكتاب الخاص بالعرب في مقابل الكتب المقدسة لليهود والنصرانية.

و الكاتب بحرصه على إبراز هذه المقولة وتكرارها كثيراً؛ يريد التعمية على (القارئ) فيسلب رسالة الإسلام واحدة من أهم خصائصها وهي أنها رسالة عالمية لكل الناس، ويجعلها خاصة بالعرب وحدهم فقط.

ثالثاً: موقف القرآن من حرية الإرادة الإنسانية(١):

إن من الأمور الحساسة التي تثير القارئ الغربي المعاصر؛ مسألة الحرية الإنسانية. وقد نشأت هذه المسألة منذ عصر النهضة في أوربا كرد فعل للتصور الكنسي للدين الذي يحقر الإنسان من أجل تمجيد الله، ويحقر الحياة الدنيا من أجل الآخرة، ولا يرى الإنسان إلا خاطئاً منحرفاً . فلما تمردت أوربا على هذا التصور أخذوا في الغرب يمجدون الإنسان بدلاً من الله، ومن هنا نشأ ما يسمى بالنزعة الإنسانية أو (الإنسانوية)(٢) (Humanism).

ولما كان الإنسان المعاصر يقدس حرية الإرادة كان لابد من اختلاق بعض القضايا الناقضة لهذا المبدأ ونسبتها قسراً وبالفهم الخاطئ المعوج إلى القرآن الكريم ، وإخفاء ما يتضمنه من حرية الاختيار والمسؤولية الفردية والجماعية حتى ينصرف عنه الناس.

يقول الكاتب: قدر الإنسان هو في يد الله تماماً، حتى الإيمان والكفر معتمد على إراداته: ((**مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ**)) (الأنعام: ١١١).

---

(١) المستشرقون والإسلام، محمد قطب: ١٩٠ .

(٢) والإنسانية أو الإنسانوية: حركة فلسفية أدبية ظهرت في إيطاليا في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي، وانتقلت إلى باقي الدول الأوربية، فهي فكرة فلسفية تقضي بوضع قيمة ومنزلة لعزة الإنسان، وتتخذه محوراً لكل شيء (أي مذهب أصالة الإنسان)، لكن هذا المصطلح شهد تبلورات وتغيرات لا يمكننا أن نحصره بواحد منها بدون دراسة تحقيبية له. يراجع: الأدوات المعرفية، ليث العتابي.

فليست هناك حرية للإرادة ، وليس للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يلام على الكفر، ففي التحليل النهائي الأمر لله تعالى في قضائه وقدره.

ويستدرك الكاتب على ذلك قائلاً: لكن آيات أخرى أخفقت في التأكيد على هذه الفكرة وهي تبدو وكأنها تترك للإنسان بعض الحرية ليستمع إلى وعظ الرسول ويختار لنفسه الخير أو الشر.

استرسل دون أي تعقيب منه على الفقرة الأخيرة حتى لا يمحو من نفس قارئه ما ورد في تحليله النهائي من نفي الإرادة الإنسانية ونفي العمل.

رابعاً: الأخذ بمقولات الفكر المادي في رد ما ورد بالقرآن الكريم:

ومن الشبهات؛ هو أخذهم بالقياسات الخاصة بالفكر المادي لما ورد في القرآن الكريم من ألفاظ، وعبارات، ومصطلحات، ومن ذلك:

١ـ أن الكاتب يشير إلى ما جاء في سورة يوسف من أحداث ووقائع لم ترد في التوراة على أنها روايات تشتمل على عدد كبير من التفاصيل الأسطورية.

٢ـ محاولة زعزعة الثقة بالوحي وبالرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق تفسير الآية الكريمة من سورة الشورى.

قال تعالى: ((وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ * وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ))[1].

(١) سورة الشورى، الآيات (٥١ ـ ٥٣).

فالكاتب يفسر الآيات الكريمة على هذا النحو: إن الله كلم محمداً أو من وراء حجاب والمعنى الصحيح عكس هذا التفسير تماماً كما هو واضح من الآية، ثم يقول أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء.

والاصطلاح الأول: وحي يعني إيحاء أو إلهاماً من النوع المعروف جيدا للشعراء . ويستخدم القرآن كذلك كلمة منزل.

والاصطلاح الثاني: من وراء حجاب يبدو أنه يطرح نوعاً من العبارة التخيلية دون رؤية مصاحبة.

والاصطلاح الثالث يلمّح إلى ملك من الملائكة ، لكن دون إشارة إلى اسم جبريل.

خامساً: بث بذور الشك في أهم الأسس التي يمكن للقارئ أن يقيم عليها تصورا فكرياً محدداً عن الإسلام، ومن ذلك:

١ـ التشكيك في أصالة الركن الركين للإسلام وهو التوحيد، والافتراء بأنه لم يظهر في آيات القرآن إلا في الفترة المدنية، وذلك لكي ينسب الكاتب إلى اليهود أنهم هم أصحاب الفضل في ظهوره بعد الهجرة إلى المدينة.

يقول: ومن العجيب أنه ليست هناك إشارة إلى وحدانية الله في هذه السور المبكرة ونقول: وأين سورة الإخلاص التي يجعل صاحبكم نولدكه ترتيبها في الفترة الأولى من الوحي المكي(١). وأين سائر السور المكية المشتملة على التوحيد الخالص لله تعالى ومنها: الليل والجن، والكهف وغيرها، ولم ناصب

---

(١) ظ: ترتيب النزول عند المستشرقين في كتاب دفاع عن القرآن ، عبد الرحمن بدوي: ١٠٤ .

كفار قريش النبي صلى الله عليه وسلم العداء؟ ألم يكن ذلك بسبب دعوته إلى التوحيد؟!

٢ـ التشكيك في سلامة جمع القرآن في عهد الخلفاء الراشدين ؛ فبعد أن يشير الكاتب إلى أنه تقرر جمع الوحي من كل المصادر المكتوبة المتاحة يحاول زعزعة ثقة قارئه في أحد أهم مصادر الجمع وأكثرها ضبطاً وهي- الحفظ- فيقرنه عامداً باصطلاح - الذاكرة والتذكر- وما يمكن أن يشوبه من خطأ ونسيان وفق مذاهب الاتصال الحديثة.

٣ـ التشكيك في أن يكون القرآن الذي بين أيدي الناس الآن هو الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ يستخدم الكاتب مصطلحاً غريباً ، ويكرره أكثر من مرة وهو The Present Quran أي القرآن الحالي، وحين راجعت مزاعم للمستشرق وجدت لـ(بوهل) في مادة القرآن التي كتبها ونشرها في الطبعة الأولى من دائرة المعارف الإسلامية كلاماً سخيفاً لا يجوز في عقل أحد يعبر عن هذا المصطلح الغريب الذي استخدمته الموسوعة البريطانية، إذ يؤكد أن الوحي الذي كان الرسول يقرأه ليس هو القرآن الحالي الذي نقرأه الآن، فقد أعيدت صياغة الوحي بحيث أخذ الشكل الحالي المسجوع(١).

٤ـ يدس في أقواله عن القرآن أن بعض الحروف فيه ذات مغزىً سحري: فبعد أن يشير الكاتب إلى حروف المقطعات التي بلغت حيرة المستشرقين في

---

(١) ظ: ملحق الدائرة المذكورة ، طبع لندن ١٩٣٨ ، مادة (القرآن) وانظر رد الدكتور إبراهيم عوض على هذا الكلام في كتابه: دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية: ٧ .

تفسيرها كل مبلغ(١) ، حتى سلموا بما قاله علماء المسلمين من أن القرآن مركب من جنس هذه الحروف، والتي هي في متناول المخاطبين بها من العرب ولكنهم لا يملكون أن يصوغوا من تلك الحروف مثله. يطرح الكاتب مجموعة احتمالات لتفسير هذه الحروف بقوله: ولم تفسّر معانيها تفسيراً مرضياً، ويظن أنها ربما كانت تدل على كلمة مختصرة، أو تشتمل على مجموعات معينة من السور، ثم يفتري الكاتب فرية كبرى بذكر احتمال آخر بقوله: (أو هي ذات مغزى سحري) (magical significance).

وبرغم هذا كله فما زالت في هذه المادة حول (القرآن) في دائرة المعارف البريطانية شبهات ومغالطات ينبغي التوقف عندها والرد عليها، ولكن حسبنا ما قدمنا من بيان يدل على فساد الآراء وبطلان الأحكام.

(١) ظ: مادة (القرآن) بالطبعة الثانية من دائرة المعارف الإسلامية ، الفصل الخاص بـ الحروف الغامضة.

الفصل الرابع

مناهج الدراسات الاستشراقية

المبحث الأول:

المستشرقون والمنهج الإسقاطي

أولاً: تعريف بعملية الإسقاط PROJECTION:

من خلال كتب علم النفس يُعرّف الإسقاط بتعريفات منها:

١ـ طبقاً لعلم النفس الحديث هو: (تفسير الأوضاع والمواقف والأحداث بتسليط خبراتنا ومشاعرنا عليها، والنظر إليها من خلال عملية انعكاسٍ لما يدور في داخل نفوسنا)[١].

٢ـ طبقاً لمفهوم علماء التحليل النفسي[٢] هو: (حيلة نفسية، يلجأ إليها الشخص كوسيلة للدفاع عن نفسه ضدّ مشاعر غير سارّة في داخله، مثل الشعور بالذنب أو الشعور بالنقص، فيعمد - على غير وعي منه - إلى أن ينسب للآخرين أفكاراً ومشاعر وأفعالاً حياله، ثمّ يقوم من خلالها بتبرير نفسه أمام ناظريه)[٣].

ومن خلال التعريفين السابقين لعملية الإسقاط يمكن ملاحظة الأمور التالية:

---

(١) موسوعة علم النفس، أسعد رزق: ٤٠.

(٢) مدرسة التحليل النفسي Psychoanalysis: مدرسة متفرعة عن علم النفس Psychology، رائدها هو الطبيب النفسي النمساوي سيغموند فرويد Sigmund Freud (١٨٥٦-١٩٣٩م)، وهي مشهورة باهتمامها بالدوافع اللاشعورية للمرء إلى تصرفاته وسلوكياته، وكذلك باهتمامها المفرط بالعوامل الجنسية بصفتها الدافع الأساس حتى في طور الطفولة. انظر: الموسوعة العربية الميسرة، محمد شفيق غربال: ١٠٠٣.

(٣) موسوعة علم النفس، أسعد رزق، المرجع السابق.

أ ـ أنّ الدافع إلى الإسقاط هو الشعور بالنقص والدونية لدى القائم به.

ب ـ أنّ الغاية من عملية الإسقاط هي الدفاع عن عيوبٍ أو نقصٍ في القائم بها.

جـ ـ أنّ إجراء عملية الإسقاط يتمّ لا شعورياً.

د ـ أنّ الهدف الذي يتمّ توقيع الإسقاط عليه - غالباً - يكون منَزّهاً عن ما يوجَّه إليه من خلال عملية الإسقاط.

بالنسبة للدافع إلى عملية الإسقاط، فالمقصود به المثيرات النفسية التي تثير الرغبة في قرارة القائم بالإسقاط وتدفعه لممارسة هذا السلوك تجاه هدفٍ معيّنٍ، وهذه المثيرات يجب أن تكون - في نظر القائم بالإسقاط - أموراً لا يحبّها ولا يحبّ أن تكون فيه على الرغم من علمه بوجودها فيه لا يحبّ أن يكتشف الآخرون وجودها فيه، إذن فليس من الضروري أن تكون هذه المثيرات أموراً سلبيةً دائماً، بل المهمّ أن تكون سلبيةً في نظر القائم بالإسقاط.

إذاً فالإحساس بالنقص أو الدونية أو الذنب لا يعني تحقق ذلك في المرء دائماً، بل إنّ هذا الإحساس قد يكون وليد ظروف أخرى محيطة بالمرء، ولولا هذا الاحتمال لكان هذا الإحساس نفسه يعدّ أمراً إيجابياً في القائم بالإسقاط لتمتّعه بإحساس يدلّه على سيئاته، ولأصبح من النفس اللوّامة التي رفع الله تعالى من شأنها[1]، ولكنّ القائم بالإسقاط ليس كذلك.

---

(١) فقد أقسم الله تعالى في محكم التنْزيل بالنفس اللوامة قائلاً: **وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ** [القيامة: ٢]، وقسم الله تعالى بشيء يدلّ على تعظيمه له، وأمّا ما جاء في الحديث الشريف من تعريف الإثم بأنّه: (ما حاكَ في صدرك وكرهتَ أن يطّلع عليه الناس)، فذلك ليس عاماً في معرفة المنكرات لأيّ شخص، بل هو خاصٌ بالمؤمن، ولهذا عبّر عليه الصلاة والسلام عنه بلفظ (الإثم)؛ لأنّ الإثم ذنبٌ يترتب عليه عقابٌ شرعي، وهذا في حق المؤمن أصلاً.

ثانياً: ما بين الإسقاط والالتقاط:

في هذا المبحث سنبين الفرق ما بين (الإسقاط)، و(الالتقاط)، وبالتالي معرفة كيف تبنى البعض كلاهما أو أحدهما.

١ـ الإسقاط:

عُرف الإسقاط بأنه هو:(تفسير الأوضاع والمواقف والأحداث بتسليط خبراتنا ومشاعرنا عليها، والنظر إليها من خلال عملية انعكاس لما يدور داخل نفوسنا)[١].

وقد عُرف المنهج الإسقاطي بأنه هو: (إسقاط الواقع المعيش على الحوادث والوقائع التاريخية، إنه تصور الذات في الحدث، أو الواقعة التاريخية)[٢].

يدخل فيه جميع الأفكار والقبليات الفكرية التي تلقي بظلالها لتكون رؤية منسجمة مع المكون الثقافي للشخص، في خلط نفسي وفكري واضح ينتج عنه تصورات شخصية بحتة قائمة على الانعكاسات النفسية الشخصية وليس على الحقائق العلمية والأدلة العملية الموجودة.

ويتولد ذلك بسبب(خضوع الباحث لهواه، وعدم استطاعته التخلص من الانطباعات التي تركتها لديه بيئته الثقافية المعينة)[٣].

---

(١) موسوعة علم النفس، أسعد رزوق:٤٠.

(٢) مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن، حسن عزوزي: ٣٣.

(٣) التراث والتجديد، حسن حنفي: ٩٠.

٢ـ الالتقاط:

أما الالتقاط فهو(انتقاء رؤية معينة من بين النظريات والآراء المطروحة في حقل من حقول المعرفة)[١].

فيكون الالتقاط هو: الاعتماد على بعض الآراء، أو بعض الأحداث، أو بعض النصوص، أو بعض الروايات، بهدف رسم رؤية على وفق ذلك البعض الملتقط.

ثالثاً: في فهم منهج المستشرقين الاسقاطي مساراته:

إن تفسير الوقائع والنصوص بالإسقاط أمر دأب المستشرقون على توظيفه في أبحاثهم القرآنية، ونعني بالمنهج الإسقاطي إسقاط الواقع المعيش على الحوادث والوقائع التاريخية، إنه تصور الذات في الحدث أو الواقعة التاريخية.

وهكذا يتم تفسير تلك الوقائع وفق المشاعر الإنسانية الخاصة والانطباعات التي تتركها بيئة ثقافية معينة، فالمستشرق الباحث عندما يضع في ذهنه صورة معينة يحاول إسقاطها على صور ووقائع معينة يخضعها إلى ما ارتضته مخيلته وانطباعاته.

ومن أمثلة المنهج الإسقاطي لدى المستشرقين ما أورده (ريجيس بلاشير) في سياق البحث عن أسباب عدم جمع القرآن في مصحف في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ بحسب زعمه وما وجده في التراث السني من كلام ـ من أنه عليه الصلاة والسلام وأصحابه كانوا يميلون إلى تَرْك الأمور على ما هي عليه، لأن العرب في جملتهم لا يفكرون إلا في الحاضر ولا يهمهم المستقبل،

---

(١) الدين والافكار الالتقاطية، مقال، موقع الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي، www.mesbahyazdi.org .

وهذا الميل يقف وراء عزوف المسلمين عن جمع القرآن في عهده صلى الله عليه وآله وسلم[١].

ولا شك أن هذا التفسير الإسقاطي الفاسد لا يستند إلى أدنى دليل علمي أو منطق عقلي، فهو منهج يخضع لهوى المستشرق وأحكامه السابقة مما تنتج عنه أحكام تعسفية وجائرة؛ إذ من المعلوم أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يحث على حفظ القرآن وكتابته خوفاً عليه من الضياع، وقد بلغ الحرص على كتابته وتدوينه في مختلف الوسائل وكان يشير إلى مواضع الآيات من السور وهذا ما تشير إليه رواية زيد بن ثابت: (كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع)[٢].

فكل هذا يدل على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته، والمخلصين من أصحابه كانوا يفكرون في حفظ القرآن مدوناً ومكتوباً لمن يأتي بعدهم.

ومن أمثلة المنهج الإسقاطي أيضاً ما ذهب إليه بعضهم من أن تمايز أسلوب القرآن المكي عن الأسلوب المدني يرجع إلى بيئة قريش المنحطة وبيئة المدينة المتقدمة والمتحضرة!؟

أما هنري لامنس فيقول: (إن اختلاف الأسلوب بين العهد المكي والعهد المدني يُعدُّ انعكاساً واضحاً للبيئة التي وجد فيها، فالنصوص القرآنية تعكس طبيعة وبيئة وظروف كل مكان وكل زمان ـ فالأسلوب القرآني يمتاز في مكة

Blachère: op.cit p 16(١)

(٢) الإتقان، لسيوطي: ١ :١٦٤.

بالشدة والعنف؛ لأن أهلها أجلاف بينما يمتاز في المدينة باللين والوضوح والصفح؛ لأن أهلها مستنيرون)[(١)].

لا شك أن هدف المستشرقين من هذا الكلام الذي يرمي إلى إثبات دعوى تأثر القرآن وأسلوبه بالبيئة التي نزل فيها هو القول بأن القرآن من كلام محمد صلى الله عليه وآله وسلم وليس كلام الله تعالى.

يتجاهل المستشرقين الذين يعلمون جيداً مراحل تطور الدعوة الإسلامية من مكة إلى المدينة أن خطاب أهل المدينة لا يمكن أن يكون مماثلاً لخطاب أهل مكة، فتأسيس الدولة الإسلامية في المدينة في ظل بيئة جديدة قد أصبح يستدعي التفصيل في التشريع وبناء المجتمع الجديد، فلا غرو إذن أن يطنب القرآن بعدما كان يوجز، ويفصل بعدما كان يجمل. أما في مكة فقد كانت الآيات التي تنْزل تشتد في تسفيه أحلام المشركين ومقارعتهم بالحجج وتحديهم.

إن الأمر كان يتعلق بتأسيس أسس العقيدة الصحيحة وتدمير معالم العقائد الوثنية السائدة. كما أن طبيعة الأسلوب القرآني قد اختلفت من مكة إلى المدينة؛ نظراً لمراعاة حال الدعوة وتدرجها وليس في ذلك أدنى مراعاة لمدى تحضر أو تخلف الأقوام المخاطبين، كما رمى إلى ذلك زمرة المغرضين من المستشرقين.

يضاف إلى هذا أن القرآن المكي لم يتفرد وحده بالعنف والشدة، فالقرآن المدني يحتوي على هذه الخصائص في العديد من آياته كتلك التي تحرم الربا

---

(١) Henri Lammens; l'Islam, Beyrouth 1943 p 60.

وتهدد أهل الكفر بالنار وسوء العذاب. بالمقابل، فإن كثيراً من السور المكية تشتمل على آيات كثيرة تنجلي منها عبارات الصفح واللين والعفو، منها قوله تعالى في سورة فصلت المكية.

قال تعالى:((وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ))[١].

وقوله تعالى في سورة الزمر المكية: ((قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ))[٢].

والحاصل أن سور القرآن وآياته ليس فيها أي تناقض أو تباين في الأسلوب، وهي ليست خاضعة للظروف ومتغيرات البيئة كما يزعم المستشرقون، ولكنها قائمة على رعاية حال المخاطبين، فهي تشتد تارة وتلين أخرى، وتَعد تارة، وتتوعد أخرى؛ تبعاً لما يقتضيه الحال والمقام [٣]. مضافاً إلى وجوب معرفة أسباب النزول للتعرف إلى نزول الآيات والسور بحسب الترتيب النزولي، لتتوضح الحكمة من التدرج، وتقدم آيات الحرب على آيات السلم، وما شاكل ذلك.

عند دراسة القرآن الكريم وعلومه؛ مارس المستشرقون عملية الإسقاط متأثرين بخلفياتهم العقدية وموروثاتهم الفكرية ومندفعين بدافع نفسي يهدف إلى رَمي القرآن الكريم بما ثبت في حق كتبهم المقدّسة ودياناتهم المحرّفة،

---

(١) سورة فصلت، الآية (٣٣).
(٢) سورة الزمر، الآية (٥٣).
(٣) ظ: مدخل إلى دراسة علوم القرآن والتفسير، حسن عزوزي:٣٢-٣٣.

محاولين بذلك الانتقاص من قدر هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذي يشهد له في كل عصر شهودٌ جُددٌ بالإعجاز والعظمة.

ويمكن تصنيف هذه العمليات الإسقاطية على القرآن الكريم وعلومه من قِبل المستشرقين وعلماء أوربا والعالم الغربي بالنظر إليها من زاويتَين:

أولاً: بالنظر إلى موضوعاتها.

ثانياً: بالنظر إلى منطلقاتها المذهبية.

فبالنظر إلى هذه العمليات الإسقاطية من حيث موضوعاتها، يمكن تصنيفها إلى الموضوعات التالية:

١- إسقاط المفاهيم الاستشراقية على التعريف بالقرآن الكريم.

٢- إسقاط المفاهيم الاستشراقية على تاريخ القرآن الكريم.

٣- إسقاط المفاهيم الاستشراقية على العقائد القرآنية.

٤- إسقاط المفاهيم الاستشراقية على الشرائع القرآنية.

وأمّا بالنظر إلى هذه العمليات الإسقاطية من حيث منطلقاتها المذهبية، فيمكن تصنيفها إلى المنطلقات التالية:

١- المنطلقات الدينية: وتشمل المفاهيم اليهودية والمفاهيم النصرانية.

٢- المنطلقات الفكرية: وتشمل المفاهيم المادية والمفاهيم الصوفية.

وجديرٌ بالذكر أنّ عمليات الإسقاط في الجانب العقدي كان لها نصيب الأسد ممّا تمّ جمعه من المواد لإعداد هذه الدراسة، ولا عجب في ذلك، لأنّ العقيدة هي الموروث الأيديولوجي الراسخ الذي لا يمكن الانفلات منه لأي باحث أو دارس عند الإقدام على إنجاز عمل علمي، كما أنّ العقيدة

الإسلامية كانت ولا تزال تمثّل مركز الهدف للذين يرمون الإسلام وأهله بنبال حيَلهم وسهام مكرهم، فلا عجب أن ينالها المستشرقون وغيرهم بما لديهم من حِيَلٍ إسقاطيةٍ محاولين بذلك تشويهها أو تحريفها.

المبحث الثاني:

نماذج لمنهج المستشرقين الاسقاطي

في هـذا المبحـث سـنتطرق لنمـاذج مـن جملـة ادعـاءات المستشـرقين الإسقاطية، وسنبين بعض النماذج لمنهج المستشـرقين الاسـقاطي علـى القـرآن الكريم، والتي منها:

أولاً: إسقاط المفاهيم الدينية:

لقد عرّف بعض المستشرقين بالقرآن الكريم في ثنايا كتاباتهم الـتي صـدّروا بها ترجماتهم لمعاني القرآن الكريم أو دراساتهم القرآنية الأخرى، وأتت بعـض هذه التعريفات منطلقة من مؤثرات دينية يهودية أو نصـرانية وكـأن المستشـرق يعرّف بكتاب من كتب اليهود أو النصارى. ومن هذه التعريفات ما يلي:

صدّر المستشرق الشـهير جولـدزيهر كتابـه (مـذاهب التفسـير الإسـلامي) بتعريف للقرآن الكريم والذي قال فيه: (فلا يوجد كتاب تشريعي اعترفـت بـه طائفة دينية اعترافاً عقدياً على أنه نصّ منـزل أو موحى به يقدِّم نصُّه في أقـدم عصور تداوله مثلَ هذه الصورة مـن الاضـطراب وعـدم الثبـات كمـا نجـد في القرآن)[1].

وفي كتابه (العقيدة والشريعة في الإسلام) يعرّف جولدزيهر القرآن بقولـه: (القـرآن هو الأسـاس الأول للـدين الإسـلامي، وهو كتابه المقدّس ودسـتوره

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي: ٤.

الموحى به، وهو في مجموعه مزيجٌ من الطوابع المختلفة اختلافاً جوهرياً، والتي طَبَعت كُلاً من العصرَين الأولين من عهد طفولة الإسلام)[١].

ويقول برنارد لويس أثناء تعريفه بالقرآن: (ويرى معظم المؤرخين أنه سجل أصيل لتعاليم محمد ونشاطاته)[٢].

كما ووصف جوزيف ريفلين القرآن الكريم بقوله: (مليء بالإيقاع الشعري الموسيقي لأقدم الأعمال الأدبية)[٣].

إن هؤلاء المستشرقين قد حاولوا تشويه صورة القرآن الكريم للقارئ الغربي المعني بكتاباتهم، ولكن هذا الهدف لا يستبعد مسألة استخدام هؤلاء المستشرقين لمنهج الإسقاط عند قيامهم بتقديم تعريف أو أكثر للقرآن الكريم.

فيلاحظ على التعريفَين اللذين ساقهما جولدزيهر أنّ المستشرق لم يستطع الانفلات من نفوذ المؤثرات العقدية التي نشأ وتربى عليها، فهو منحدر من أسرة يهودية مرموقة، ومتخصص في التاريخ اليهودي، ولذلك كان على دراية تامة بما احتوته الكتب المقدّسة اليهودية (العهد القديم: التوراة والأنبياء والمكتوبات) (والتلمود: مشنا وجمارا) من فروق بين النُسَخ وتناقضات في الأخبار عن واقعة واحدة واضطراب في الألفاظ والأساليب اللغوية.

وهكذا كانت هذه المعارف الدينية عند هذا المستشرق تمثل الدافع إلى إسقاط مفاهيمه عن الكتب الدينية اليهودية على تعريفه بالقرآن الكريم على الرغم من عدم اتصاف القرآن بما ادّعاه تجاهه.

---

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام: ٢٢.

(٢) الاستشراق والاتجاهات الفكرية، مازن مطبقاني: ١٢٨.

(٣) تاريخ الترجمات العبرية الحديثة لمعاني القرآن الكريم، محمد خليفة :٢٤.

أما بالنسبة لتعريف برنارد لويس للقرآن الكريم؛ فهو أيضاً ينبئ عن استحواذ المعارف الدينية لدى المستشرق على جَرّة قَلَمه، فهو ذاك النصراني المتخصص في الدراسات السامية والمنشغل بالدراسات اليهودية من الناحية التاريخية، ولذلك كان من الطبيعي أن تنعكس كل هذه المعلومات الدينية التاريخية على كتابة الرجل عن الإسلام وتعريفه بالقرآن حتى يذهب بالقول إلى أنّ القرآن (سجل لنشاطات محمد) صلى الله عليه وآله وسلم لأنّ الغالب على كتب العهد القديم هو هذا الاهتمام والمتمثل في تسجيل أنشطة رجال الدين من الأنبياء وغيرهم، بينما في حقيقة الأمر لا تمثل الآيات المعنية بسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ جزءاً يسيراً من القرآن الكريم.

وأما وصف ريفلين القرآن الكريم بأنه مليء بالإيقاع الشعري الموسيقي لأقدم الأعمال الأدبية، ففي ذلك إسقاط صريح للمفاهيم الدينية التي ورثها ريفلين اليهودي عن الموسيقى الشعرية التي تتصف بها أشعار (التناخ)[١]، والذي حاول ريفلين أن يحذو حذوه من حيث اللغة والأسلوب البلاغي في ترجمته لمعاني القرآن إلى العبرية، الأمر الذي أدى إلى عزوف العامة من اليهود اليوم عن الإفادة من ترجمته على الرغم من تلقّي القبول في الأوساط اليهودية المثقفة ثقافةً قديمة[٢]، بينما لا نجد في القرآن الكريم ذلك الإيقاع الشعري الموسيقي في آياته، فعلى الرغم من وجود تناسق سماعي في نهايات الآيات القرآنية في السورة الواحدة؛ فليست هذه الآيات موزونة على أوزان شعرية،

(١) (تناخ) هو اسم آخر للعهد القديم، ويتكون من أوائل حروف كلمات (التوراة – النبيين – الختوييم) وهي الأجزاء الرئيسة للعهد القديم والتي نعرفها بالتوراة والأنبياء والمكتوبات. (الموسوعة الحرة) www.wikipedia.org.

(٢)تاريخ الترجمات العبرية الحديثة لمعاني القرآن الكريم، محمد خليفة: ٢٣-٢٤.

وليست نهايات الآيات في السورة الواحدة ذات قافية أو روي واحد باطراد[١].

ثانياً: إسقاط المفاهيم الفكرية:

يقول المستشرق مكسيم رودنسون وهو يصف القرآن الكريم: (إنّ ما يراه ويسمعه الرسول هو نتيجة وصوله إلى إحدى درجات التصوف التي لم تصل إلى الاتحاد بالله)[٢].

بالنظر إلى خلفية هذا المستشرق الفكرية يتبيّن لنا أنه رجل مادي مُلحِد، وقد قال عن نفسه: (كيف يستطيع مُلحد مثلي أن يدرس مؤسس الدين الإسلامي.. ولا سيما أنّ الملحدين لا يؤمنون بهذه الأفكار الدينية التي يقول عنها أصحابها إنها تأتي إليهم من العالم الآخر)[٣].

قد اهتم رودنسون حسب تخصصه الأكاديمي بالدراسات اللغوية والتاريخ والآثار، وبحكم إقامته في بيروت ودمشق مدة لا بأس بها بدأ يهتم بالدراسات الإسلامية، ولكن من غير تعمّق، وبحكم اعتناقه للفكر المادي الإلحادي؛ لم ينظر إلى الأديان نظرة عناية كبيرة، ولكنّه في الوقت نفسه لم يُكِنّ في نفسه عداوة للإسلام باعتباره ديناً منافساً للنصرانية[٤].

وهكذا أسقط رودنسون مفاهيمه المادية على الوحي الإلهي، فرآه نتيجةً لوصول الإنسان إلى حالة من الرياضة الفكرية يشعر معها أنّ إفرازاته الأدبية

---

(١) ظ: مناهل العرفان في علوم القرآن: ٢ :٣٥٥-٣٦٦.

(٢) Rodinson, Mahomet, ed. Du Seuil, ., p...

(٣) Ibid, p..

(٤) المستشرقون، العقيقي: ١ :٣٥٩-٣٦١.

الرفيعة ما هي إلاّ من إملاء قُوى خارقة من خارج نفسه، وهذه الحالة النفسية هي التي يعتقد رودنسون أنّ المتصوفة يبلُغونها من خلال ممارساتهم للرياضة الفكرية.

وقد أخطأ المستشرق رودنسون في إسقاطه نظرته المادية هذه على ظاهرة الوحي الإلهي، وإذ ليس الباحث هنا لمناقشة هذه الظاهرة وأعراضها وبيان الفوارق الكبيرة بينها وبين ما يتوصّل إليه المتصوفة بممارسة رياضتهم الفكرية الروحية؛ يكتفي بالقول بأنّه ليس ثمة إنتاج بشري مهما تميّز وارتقى، ما يعجز عن مثله الآخرون، فالقرآن الكريم قد تحدى العباقرة قبل أكثر من ألف وأربعمئة عام، ولا يزال يتحدّى البشرية بأن يأتوا بمثل هذا القرآن ما هو معجز من نواحٍ لا تحصى.

ثالثاً: إسقاط المفاهيم المادية:

لقد أسقطت المستشرقة الروسية (بروخوفا) ذلك المفهوم المادي السائد في بلادها على مفهوم (الملائكة)[١] في بعض المواطن في القرآن الكريم، حيث نجدها تقول عند تفسيرها لقوله تعالى: **((عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ))**[٢].

ان المراد بهم: (هم الملائكة الذين يمثّلون الحواس التي بواسطتها يشعر الإنسان بالعالم)[٣].

---

(١) فقد كان تفسير بروخوفا للملائكة بحواس البشر. انظر: ايسيا برلين، كارل ماركس، ترجمة: عبد الكريم أحمد ومحمد عاشور، القاهرة: ١٩-٢٧. محمد عزيز سالم، الإسلام في مواجهة المذاهب الغربية، محمد عزيز سالم:٤٨٦-٤٩٣.

(٢) سورة المدثر، الآية (٣٠).

(٣) الأخطاء العقدية في بعض الترجمات لمعاني القرآن الكريم إلى اللغات الروسية، إلمير روفائيل كوليف: ٤٢.

كما نجد المستشرقة نفسها تفسّر قوله تعالى: **((وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ))**(١).

فتقول: (تسمية هاروت وماروت بالملكَين من المجاز، وفي الحقيقة فإنهما كانا من أناس عاديين في بابل وقد تفوّقا في علوم حضارتهم المختلفة)(٢).

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٠٢).

(٢) الأخطاء العقدية في بعض الترجمات لمعاني القرآن الكريم إلى اللغات الروسية، كولييف: ٤٢.

المبحث الثالث:

المستشرقون ومنهج النفي والانكار

إن هذا المنهج يعد معلماً بارزاً في كثير من أبحاث المستشرقين التي تتناول المرويات الصحيحة المرتبطة بالدراسات القرآنية وعلوم القرآن على وجه الخصوص، ثم إنهم ينفون العديد من الروايات لهذا السبب أو ذاك، بينما نجدهم يتشبثون بكل ما هو ضعيف شاذ.

يشير المستشرق الفرنسي إميل درمنغهم إلى هذا الأمر قائلاً: (من المؤسف حقاً أن يكون قد غالى بعض هؤلاء المتخصصين من أمثال موير ومرجليوت ونولدكه وسبرنجر ودوزي وغريم وجولدزيهر وغيرهم في النقد أحياناً، فلم تزل كتبهم عامل هدم ونفي على الخصوص، ولا تزال النتائج التي انتهى إليها المستشرقون سلبية ناقصة...)[1].

إن منهج النفي يهدف إلى نفي الحقائق القرآنية والوقائع التاريخية المرتبطة بنُزوله وجمعه وغير ذلك، ويتم ذلك من خلال إثارة الشكوك والمبالغة في النقد إلى حد الإلغاء والنفي الكيفي لكل ما يتعارض مع وجهات النظر الاستشراقية.

إن المستشرق سبرنجر مثلاً يرى أن اسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد ورد في أربع سور من القرآن هي (آل عمران، والأحزاب، ومحمد،

---

(١) حياة محمد ترجمة، درمنغهم، المقدمة.

والفتح)، وهي جميعها سور مدنية، ومن ثم فإن لفظة (محمد) لم تكن اسم علم للرسول قبل الهجرة.

وبهذا فإن سبرنجر ينفي ويُلْغي بسهولة كل الروايات التاريخية والسنن المأثورة التي ورد فيها ذكر اسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الفترة المكية، لا لشيء إلا لكون الاسم لم يرد في القرآن المكي[١].

إن كثيراً من المستشرقين ينفون أحداثاً ووقائع معينة من السيرة النبوية ما دامت لم ترد في القرآن الكريم، وكأن القرآن كتاب تاريخي خاص بتفاصيل حياة النبي عليه الصلاة والسلام، وهذا ما مكنهم من عملية انتقاء متعسفة ذات طابع هدمي وإقصائي يرمي إلى نفي كل رواية أو واقعة لا يرد ذكرها أو الإشارة إليها في القرآن الكريم.

وفي شأن الرسم القرآني، أو ما يختص بالكلمات القرآنية، وما يتعلق به من (القراءات)، يذهب معظم المستشرقين ومنهم المستشرق جولدزيهر الذي اشتهر بفكرته الخاطئة القائلة بوقوع الخطأ في كلمات قرآنية، إذ يقول: (وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات إلى خصوصية الخط العربي الذي يقدم هيكله المرسوم مقادير صوتية مختلفةً؛ تبعاً لاختلاف النقاط الموضوعة فوق هذا الهيكل أو تحته وعدد تلك النقاط...)[٢].

(١) تاريخ العرب في الإسلام، جواد علي: ١ : ٧٨ .
(٢) مذاهب التفسير الإسلامي: ٨.

ويستشهد جولدزيهر بالآية ٤٨ من سورة الأعراف في قوله تعالى: **((وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ))**[(١)].

حيث قرأ بعضهم بدلا من (تستكبرون) بالباء الموحدة (تستكثرون) بالثاء المثلثة.

ثم استشهد أيضا بقوله تعالى: **((وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ))**[(٢)]. فقرئ أيضا نشرا بالنون بدل الباء[(٣)].

إن مثل هذين الاستشهادين يردان على افتراء جولدزيهر ولا يخدمان قوله ذلك أن قراءة (تستكثرون) في النموذج الأول، لم تُعتمد سواء في القراءات السبع أو العشر أو حتى الأربع عشرة، بل هي منكرة، ولا يعرف على وجه التحديد من قرأ بذلك، وهذا دليل على أن هيكل الكلمة المرسوم تبعا للنقاط الموضوعة فوقه أو تحته لم يكن العمدة في صحة القراءة، وكذلك النموذج الثاني من (نشرا) و(بشرا).

وهكذا يمكن القول بأن منهج النفي الاعتباطي الذي مارسه المستشرقون دفعهم إلى إلغاء وإقصاء كل الروايات والأسانيد الصحيحة والتي تفصل بين

(١) سورة الأعراف، الآية (٤٨).

(٢) سورة الأعراف، الآية (٥٧).

(٣) مذاهب التفسير الإسلامي: ٩.

ما هو متواتر يجب على كل مسلم قبوله ويكفر من أنكر ذلك، وبين ما هو غير صحيح.

وكذلك ما أورده حول قوله تعالى: ((مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))[١].

فقد ذكر أنه نقل عن بعض العلماء (بهذا التمويه البالغ دون تحديد من يقصد ببعض العلماء) أنه استبعد قراءة (ننسها)، ثم ذكر في الآية ثلاث قراءات أخرى، واحدة منها: (نَنْسَأْها) والأخريان (تنسَاها) (ننسَاها)[٢].

من جهة أخرى يعمد كثير من المستشرقين إلى تجاوز ونفي الوقائع التاريخية المرتبطة بعلوم القرآن والتي أجمع عليها علماء الإسلام وذلك من خلال اقتناص وتصيد روايات ضعيفة ومنقطعة وبناء أحكام باطلة عليها، ولا شك أن الوقوف عند الروايات الضعيفة التي لا تتفق مع الروايات والوقائع الصحيحة يكون مدعاة لنفي ونقض ما هو صحيح وثابت أو إدخال الشك والارتياب في النفوس من خلال المبالغة في نقد الصحيح إلى حد إلغائه ونفيه.

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٠٦).

(٢) مذاهب التفسير الإسلامي: ٩.

المبحث الرابع:
مناهج المستشرقين في تأويل النص القرآني

إن المستشرقين وبما يختص بتفسير أو تأويل النص القرآني، كانت لهم مناهج واتجاهات خاصة بهم، نابعة من البناء المعرفي السائد لديهم، والطرح الايديولوجي المتعارف عندهم، مع دوافع أخرى نفسية ودينية واقتصادية، أما بما يختص بتأويلهم للنص القرآني، فإن مناهج المستشرقين في ذلك تشتمل على:

أولاً: إنكار المستشرقين الآيات التي تشير إلى أسلوب إعجاز القرآن الكريم:

وقد تأول جولدتسيهر هذه الآية، قوله تعالى: ((**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً**))[١].

قال جولدتسيهر: (إن إعجاز القرآن ليس إلا في تغلبه على الشعر وسجع الكهان وليس معجزاً في ذاته)[٢].

كما ويقول حول بلاغة القرآن في مكة والمدينة: (يرى أن القرآن في مكة ذا قيمة رفيعة، أما في المدينة فقد هبط مستواه)[٣].

---

(١) سورة الإسراء، الآية (٨٨).

(٢) مذاهب التفسير الإسلامي، اجانتس جولدتسيهر: ١٢٥ .

(٣) مذاهب التفسير الإسلامي: ١٣٠ .

ويقول: (في العصر المكي جاءت المواعظ التي قدم فيها محمد الصور التي أوحتها حميته الملتهبة في شكل وهي خيالي حاد، ولكن حمية النبوة وحدتها أخذت في عظات المدينة والوحي الذي جاء بها تهدأ رويداً رويداً حيث أخذت البلاغة في هذا الوحي تصبح ضعيفة شاحبة كما أخذ الوحي نفسه ينزل على مستوى أقل بحكم ما كان يعالجه من موضوعات ومسائل حتى صار أحياناً في مستوى النثر العادي)[١].

ويقول الخوري: (إن إعجاز القرآن اللفظي ليس منزلاً، وإن لفظه هو لفظ محمد ونظمه وليس لفظه الوحي الذي نزل به، وبالتالي فإن إعجاز نظمه قائم على النبي لا على الوحي)[٢].

إن ما ادعاء المستشرقين بأن القرآن غير معجز غير صحيح، فالواقع يشهد أن القرآن الكريم نزل على الرسول(ص)، وقد تحدى القرآن الكريم العرب وهم أصحاب البلاغة والبيان على أن يأتوا بمثله، ولكنهم وقفوا عاجزين على مجاراته، فإن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظم التأليف مضمناً أصح المعاني... أمر تعجز عنه قوى البشر فلا تبلغه قدرهم، فانقطع الخلق دونه وعجزوا عن معارضته بمثله أو مناقضته في شكله، فالعرب لم يعترضوا على أسلوب القرآن الكريم، وإنما اعترضوا على نزول القرآن على شخص الرسول(ص) [٣].

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي: ٢١.

(٢) إعادة النظر: ٣١١.

(٣) ظ : ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الخطابي والرماني والباقلاني: ١٥ .

ويقول الباقلاني عن إعجاز القرآن: (إنـه بـديع الـنظم، عجيـب التـأليف، متناهٍ في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه)[١].

وبالتـالي في مجمـل الـدين الإسـلامي فـ(الهـدف الأساسـي مـن وراء التشكيك، ونفي إعجاز القرآن الكريم في أسلوبه البلاغي، وإخباراتـه الغيبيـة، وحقائقه العلمية واضح، وهو إسقاط الدليل الذي يثبت سماويته وخلـوده... وإسقاط دعـوى نبـوة محمـد (ص) وإرسـاله مـن قبـل الله تعـالى للعـالمين... وبذلك يفقد القرآن الكـريم، والـنبي (ص) قدسـيتهما لـدى المسـلمين، تلـك القدسية القائمة على أساس أنّ القرآن الكـريم كـلام الله أوحـاه لنبيـه (ص)، وعندها يصبح شـأن القـرآن لـديهم شـأن أي كتـاب بشـري يطالـه التغيير، والتعديل، أو الإهمال، وما (محمد) إلا رجل متميز بـذكاء، وقـدرة اجتماعيـة استطاع من خلالها أن يهيمن على قومه، ويقنعهم بأسـاليبه النفسـية، أنّـه نـبي، ورسول لهم من الله بهذا القرآن)[٢].

فمثلاً نجد بأن المستشرق النمساوي (غوستاف فون غرونباوم) وفي معرض كلامه عن القرآن الكريم يقول: (والكتاب الذي بين أيدينا لـيس هـو الكتـاب الذي بلغه محمد. وفي الواقع فإنه لم يبلغ أبداً أي كتاب، واكتفى بأن نقل أشـياء متفرقة هي عبارة عن رؤى قصـيرة وأوامـر وحكـم وخرافـات وخطـب عـن مذهبه).

(١) إعجاز القرآن، الباقلاني: ٦٩ ـ ٧٠ .

(٢) الإسلام وشبهات المستشرقين، الشيخ فؤاد كاظم المقدادي: ١٣٣.

ثانياً: تأويل الآيات التي تدل على عالمية الدين الإسلامي:

يقول الخوري: (إن معجزة محمد الحقيقية هي بخاصة في إقامة وحدة عربية تحت سلطان سياسي ديني عربي قومي، وهي معجزته العظمى)[١].

وقد استدل بالآيات المكية أذكر منها:

قال تعالى: ((**وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ...**))[٢].

قال تعالى: ((**وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ...**))[٣].

سورة الشورى آية ٧ : ((**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا**)).

وأيضاً استدل بالآيات المدنية نذكر منها:

((**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ...**)) [٤].

((**كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ**)) [٥].

وقوله تعالى: ((**إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ**)) [٦].

وقوله تعالى: ((**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً**)) (الفرقان: ١). وقوله تعالى: ((**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً**)) (سبأ: ٢٨).

---

(١) القرآن والمبشرون: ٣٤ .

(٢) الأنعام من الآية ٩٢

(٣) الأنعام من الآيات ١٥٥-١٥٧

(٤) سورة الجمعة الآية ٢

(٥) سورة البقرة الآية ١٥١

(٦) التكوير: ٢٧

يدعي المستشرق موير (أن عموم فكرة الرسالة جاءت فيما بعد، وأن هذه الفكرة على الرغم من كثرة الآيات والأحاديث التي تؤيدها، لم يفكر فيها محمد نفسه، وعلى فرض أنه فكر فيها، فقد كان تفكيره تفكيراً غامضاً، فإن عالمه الذي كان يفكر فيه إنما كان بلاد العرب كما أن هذا الدين الجديد لم يهيأ إلا لها، وأن محمداً لم يوجّه دعوته منذ بُعث إلى أن مات إلا للعرب دون غيرهم، وهكذا نرى أن نواة عالمية الإسلام قد غرست، ولكنها إذا كانت قد اختمرت ونمت بعد ذلك، فإنما يرجع هذا إلى الظروف والأحوال أكثر منه إلى الخطط والمناهج)[١].

ويقول المستشرق كيتاني: (لم يتخط محمد بفكره حدود الجزيرة العربية ليدعو أمم العالم في ذلك الوقت إلى هذا الدين)[٢].

لذلك يدعي المستشرقون أن الفتوحات الإسلامية كان الهدف منها الغنيمة، يقول المستشرق الألماني يوليوس فلهاوزن: (ولم تكن الحكومة الإسلامية يهمها سوى حمل الخراج إلى بيت المال على المقدار المفروض له، الذميون بقرة، الوالي يمسكها من قرونها حتى تسكن وعامل الخراج يحلبها)[٣].

---

(١) منهج الإسقاط في الدراسات القرآنية عند المستشرقين، محمد عامر عبد الحميد مظاهري: ١٤١.

(٢) منهج الإسقاط: ١٤١.

(٣) منهج الإسقاط: ١٨١.

ويقول المستشرق توماس أرنولد: (إن العرب شعب نشط فعَّال، **دفعته** يد الجوع والحاجة إلى ترك صحاريه القاحلة، واجتياح الأراضي الفنية المترفة)[١].

إن الإسلام هو دين البشرية جمعاء، وما ادعاه هؤلاء المستشرقين غير صحيح، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى أرسله رسوله بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، يقول تعالى: ((**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**)) (الأنبياء:١٠٧).

ثالثاً: تعصب الحضارة الغربية للمسيحيين:

يقول المستشرق آرنست رينان: (إن الشرط الجوهري لنشر الحضارة الأوروبية، هو زوال الإسلام، وستظل الحرب قائمة في هذا المضمار، ولن تنتهي إلا عندما يموت آخر وليد في ذرية إسماعيل بؤساً، أو عندما يدحره الإرهاب، فيقهقر حتى قلب الصحراء)[٢].

يقول فيليب حتى: (إن الحاجة المادية هي التي دفعت معاشر البدو، وأكثر جيوش المسلمين منهم إلى ما وراء تخوم البادية الفقراء، إلى مواطن الخصب في بلدان الشمال، ولئن كانت الآخرة، أو شوق البعض إلى بلوغ جنة النعيم قد حبب إليهم الوغى، إن ابتغاء الكثيرين حياة الهناء والبذخ في أحضان المدنية التي ازدهر بها الهلال الخصيب، كان الواقع الذي حبب لهم القتال) [٣].

---

(١) منهج الإسقاط: ١٨١.
(٢) منهج الاسقاط: ١٥٦.
(٣) منهج الاسقاط: ١٨٢.

يقول اللورد كريمر: (إن الإسلام يبث روح التعصب في أهله، ويجعلهم ينفرون ممن لا يدين معهم به، وإن القرآن يغرس في عقول متبعيه بغض الأغيار، وحب الانتقام) [١].

ويقول كارل بروكلمان: (يتحتم على المسلم أن يعلن العداوة على غير المسلم حيث وجدهم، لأن محاربة غير المسلم واجب ديني) [٢].

ويرد روجيه غارودي على هؤلاء المستشرقين الذين لم يعرفوا حقيقة الإسلام فيقول: (لم يدرس الغرب الإسلام دراسة صحيحة في الجامعات الغربية، وربما كان هذا مقصوداً مع الأسف) [٣].

يقول موير: (إن سيف محمد والقرآن هما أكثر أعداء الحضارة والحرية والحقيقة الذين عرفهم العالم حتى الآن عناداً) [٤].

إن ادعاء المبشر الخوري أن أهل الكتاب غير ملزمين باتباع الرسول9 تمثل ذلك في تأويله للآية ٢٠ من سورة آل عمران ((**فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**)).

فيقول الخوري: إن كل ما طلبه محمد من أهل الكتاب هو إعلانهم الإسلام، وكون دينهم الإسلام، وليس اتباع دينه وشرائعه، والآيات تقرر

---

(١) منهج الاسقاط: ٢١١ .
(٢) تاريخ الشعوب الاسلامية، كارل بروكلمان: ٨٧ .
(٣) منهج الاسقاط: ١٣ .
(٤) الاستشراق، إدوارد سعيد: ١٦٥ .

أنهم يكونـون مهتـدين بهـذا الإعـلان المطلـوب مـنهم، ولقـد كـان أنبيـاؤهم وآباؤهم أنفسهم مسلمين بنص القرآن[1].

أولاً: تأويل المستشرقين لبعض المفردات القرآنية

سنتناول في هذا المبحث ما قام به المستشرقون من تأويلـهم لجملـة مـن المفردات القرآنية، والتي اسقطوا عليها اعتقاداتهم الخاصة، اما بـدوافع دينيـة، أو نفسية، أو غير ذلك، ومن هذه التأويلات:

١ـ تأويل كلمة (قرآن):

يقول المستشرق ويلش: (إن معظم علماء الغرب يذهبون أن لفـظ القـرآن مأخوذ من الكلمة السـريانية قِريانـا (keryana) الـتي تعـني درسـاً في قـراءة الكتاب المقدس كما هو مستعمل في الطقوس والشعائر النصرانية).

إن ادعاء المستشرقين أن في القرآن كلمات دخيلـة مثـل (الإيمـان والصـلاة وقلم): زعمت دائـرة المعـارف البريطانيـة أن كلمـة الإيمـان أصـلها عبريـة أو آرامية، وأن أصل كلمة الصلاة أصلها آرامية، وقلم أصلها يوناني.

٢ـ تأويل كلمة (مثاني):

تأويل المستشرقين لقوله تعالى: ((**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِـنَ الْمَثَـانِي وَالْقُـرْآنَ الْعَظِيمَ**)) (الحجر:٨٧).

يقول المستشرقون: إن كلمة (مثـاني) مـأخوذة مـن اللفظـة العبريـة ميشـنا (mishn) وتعني التعاليم الشفهية اليهودية ونصوص المشينا غير مقدسة، إنمـا هي نصوص تشريعية تتضمن القوانين والتقاليد والمأثورات والشعائر والتقاليـد

(١) القرآن والمبشرون: ٣٨٠ .

السلوكية وهي مأخوذة من زعم من الكلمة السريانية الآرامية، مثينا (mathnitha).

وترجمها بلاشير بقوله: وتعني زوجي أو أزواج وتعني أن القرآن يكرر نفسه وهو كتاب ممل ليس فيه جمال وأن القرآن يكرر ما في كتبه اليهود والنصارى[١].

٣ـ تأويل المستشرقين لقوله تعالى: ((اللَّهِ أَكْبَرُ)).

يقول المستشرق رودنسون: الله أكبر من الآلهة الأخرى، ويزعم بأن إله المسلمين لم يمانع في بداية الدعوة الإسلامية أن يعترف بوجود آلهة لها تأثير في الكون، وأن محمداً كان يدرك ذلك بدليل قوله فيما بعد، وعندما شن الحرب على أهل مكة (الله أكبر) يعني بذلك الله أكبر من الآلهة الأخرى، ويزعم أن محمداً وصل إلى فكرة الإله الواحد من خلال احتكاكه باليهود والنصارى [٢].

إن الرأي الذي يميل إليه الباحث أنه لا توجد في القرآن الكريم كلمات معربة أو دخيلة وقد استُدل على أن ألفاظ القرآن وآياته عربية[٣].

قال تعالى: ((**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**)) (الشعراء:١٩٥).

وقال تعالى: ((**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ**)) (الشورى:٧).

---

(١) قضايا قرآنية: ١٨٣.

(٢) محمد بين الحقيقة والافتراء في الرد على الكاتب رودنسون: ١٢٥ .

(٣) الرسالة، الشافعي: ٢٦ ـ ٢٨.

٤ـ تأويل قوله تعالى: ((**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ...**))[١].

يرى المستشرق مكسيم رودنسون أن محمداً كان من الحمس وأنه كان يشاركهم في احتفالاتهم، وأنه عكس ما يرى المسلمون كان يعرف القراءة والكتابة، ويزعم رودنسون أن المسلمين قد بنوا وهمهم في عدم معرفة محمد بالقراءة والكتابة تفسير خاطئ لكلمة.....)[٢] أما الحداد الخوري فأراد أن يصل إلى نتيجة مسبقة، حيث يزعم أن النبي٩ كان في العهد المكي منجماً متضامناً مع أهل الكتاب، وكأنه واحد منهم، ولم ينجم بينه وبينهم خلاف وجدال بينه وبينهم فيقتضي أن تكون والحالة هذه مدنية أو مفحمة أو مدسوسة أو مزيدة أو ملحقة في أزمنة مختلفة[٣].

يقول المستشرق رودنسون: (إن لدينا دليلاً قرآنياً لا يعارض على أن محمداً كان قد اتهم بأنه كان يتلقى العلم من أشخاص يتكلمون لغة أجنبية، ويستشهد على ذلك بقوله تعالى: ((**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**)) (النحل:١٠٣)، وقوله تعالى: ((**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً وَزُوراً**)) (الفرقان:٤، ٥)[٤].

---

(١) الأعراف: ١٥٧-١٥٨

(٢) محمد بين الحقيقة والافتراء:٧٠ .

(٣) القرآن والمبشرون:١١٢ .

(٤) محمد بين الحقيقة والافتراء: ٦٤ .

ثانياً: تأويل المستشرقين لآيات التشريع

إن النص القرآني وبالخصوص التشريعي منه لم يسلم من تأويلات وانتقادات المستشرقين، فلقد بادروا إلى اسقاط تأويلاتهم الخاصة حوله، وإلى الطعن فيه، وإلى إنكار كل ما يمكن ان يجذب غير المسلمين إليه من تناسق وخطاب يخاطب الروح الإنسانية، وقد كانت تأويلاتهم بخصوص آيات التشريع كثيرة جداً.

فيدعي المستشرق جولدتسيهر أن النص القرآني فيه تناقضات فقال: (فلا يوجد كتاب تشريعي، اعترفت فيه طائفة دينية اعترافاً عقدياً على أنه نص منزل أو موحى به، يقدم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات، كما في نص القرآن)[1].

ويعلن المستشرق الألماني شاخت: (إن محمداً قد ظهر في مكة كمصلح، يعني أنه احتج بشدة على كفار مكة من أهل مكة، واعتبروه بمجرد كاهن أو عراف آخر، وأنه بسبب قوة شخصيته قد دعي إلى المدينة في عام ٦٢٢هـ، كحكم في نزاع قبلي بين أهل المدينة، وأنه كالنبي قد أصبح قائداً ومشرعاً يحكم مجتمعاً جديداً على أساس ديني، وأن محمداً قد اقتبس من اليهود كثيراً من الأحكام، وإن روايات القرآن ملفقة لفقها الفقهاء، وأصول الفقه وكذلك التشريعات الإسلامية منتحلة من القانون الروماني والقانون البيزنطي، وقوانين الكنائس الشرقية ومن التعاليم التلمودية، وأقوال الأحبار، ومن

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي:٥٠.

القانون الساساني، كل هذه القوانين والتعاليم والقواعد تشكل منها القانون الديني للإسلام)[١].

إن من أشهر تأويلات المستشرقين ما يمكن الإشارة له بأمثلة توضيحية منها:

١ـ تأويل آيات الميراث:

اجتهد الصحفي أحمد بهاء الدين ودعا إلى توريث البنت على أساس حجب الأعمام وأبنائهم كما يحجب الذكر في الفقه السني سواء بسواء واستدل بقوله تعالى: ((وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ...)) النساء: من الآية١٢.[٢]

٢ـ ادعاء المستشرقين أن الإسلام يعترف بنظام الطبقات:

تأويل المستشرقين لقوله تعالى: ((**وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ**)) (النحل: ٧١) وقوله تعالى: ((**وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ...**)) (الزخرف: ٣٢).

إن تأويل المستشرقين لآيات التشريع حتى تتفق مع أهوائهم هذا أمر لا يستقيم فهو مرفوض تماماً، فتشريعات القرآن الكريم الخالدة لا تتأثر بالزمان أو المكان، بل هذه التشريعات مستقلة تماماً عما في التوراة والإنجيل وغيره، بل نزلت تشريعات القرآن لتعدل ما حرّف هؤلاء في كتبهم ولتأتي بتشريعات جديدة.

---

(١) محمد بين الافتراء والحقيقة: ١٠٣.

(٢) إعادة النظر: ١٨٠.

إن التشريعات الإسلامية لا تماثل تلك ما جاء من التشريعات في التوراة والإنجيل وذلك لأن أهل الكتاب حرفوا كتبهم وخاصة التشريعات، هذا بالإضافة إلى استقلالية هذه التشريعات وخلوها من التناقض، بل في تطبيقها العدل المطلق، ثم إن هذه التشريعات القرآنية ليست كالقوانين الوضعية الجافة، بل هي روح تسري بين آيات القرآن الكريم ومصاغة في أرقى درجات البلاغة والبيان، وهذه التشريعات خالدة لا تتبدل ولا تتغير على مدار الزمن[١].

ثالثاً: تأويل المستشرقين لآيات القصص القرآني

يرى المستشرق (ريتشارد بل) مؤلف كتاب مقدمة القرآن أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد اعتمد في كتابه على الكتاب المقدس، وخاصة على العهد القديم في قسم القصص، فبعض قصص العقاب كقصة عاد وثمود مستمد من مصادر عربية، ولكن الجانب الأكبر من المادة التي استعملها محمد ليفسر تعاليمه ويدعمها قد استمده من مصادر يهودية ونصرانية [٢].

وبعد عرض هذه الآيات قال: (وهذا هو الذي يدل عليه ما ذكره القرآن من قولهم ((**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**)) (النحل:٢٤)

ذلك لأنهم كانوا يستبعدون أن يصدر من هذا القصص عن الله تعالى، ومن هنا وقفوا موقفهم من النبي، وقالوا عنه وعن القرآن، وهو بناؤه بعض قصصه الديني على أساس من الأساطير القديمة.

---

(١) ظ : التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، عبدالقادر عودة: ١ : ١٧ .
(٢) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري:٨٤ .

وقال: (ولقد كان هذا الصنيع الأدبي مما ألفه القوم من المدنيين، خاصة أهل الكتاب ذلك لأنه الصنيع الذي جرت عليه التوراة وجاء به الإنجيل ومن هنا لم ينكروه،... وهو في أعلى ما عرفت العربية من طبقات البلاغة وأدب القائلين)[١].

ويقول أتباع المستشرقين كـ(محمد خلف الله) في رسالته الدكتوراه والتي بعنوان: (الفن القصصي في القرآن)، إن المعاني التاريخية ليست مما بلغ على أنه دين يتبع، وليست من مقاصد القرآن في شيء، ومن هنا أهمل القرآن التاريخ من زمان ومكان وترتيب للأحداث، وكذلك يصف القرآن بأنه أساطير الأولين كما وصفه به المشركون [٢].

ويستدل بذلك بقوله تعالى: ((**وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**)) (الفرقان:٥).

إن هذه الرسالة مليئة بالسموم والافتراءات والكذب، وقد استدل بالآيات التالية ((**وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**)) (الأنعام: ٢٥).

((**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأوَّلِينَ * وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**)) (الأنفال: ٣١-٣٢).

---

(١) هجمة علمانية جديدة ومحاكاة النص القرآني، كامل سعفان: ٥٥ .

(٢) الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد خلف الله، صفحة ٤٢ وما بعدها.

إن ما قاله (محمد احمد خلف الله) لا ينطبق على القرآن الكريم، فهو يريد أن يخضع آيات القرآن وقصصه للمعايير الأدبية، ثم أراد أن يفسر تلك القصص تفسيراً مادياً بالتاريخ، وكذلك نظر إلى الآيات بعدم قدسيتها، وهذا أمر لا يجوز، فالآيات القرآنية لها قداسة لأنها منزلة من عند الله سبحانه وتعالى، وعلى ذلك فهو لا يخضع للمعايير البشرية، بل المعايير البشرية يجب أن تخضع له، فالقرآن عندما يذكر قصص الأنبياء يتجاوز الزمان والمكان والأشخاص والأحداث، ويركز في سرده القصة على أخذ العبرة والعظة، مثال ذلك عندما ذكر قصة موسى وعيسى وإبراهيم وغيرهم من تلك القصص[١].

إن محمد أحمد خلف الله يقول حول القصص القرآني: (العقل الإسلامي غير ملزم بالإيمان برأي معين في هذه الأخبار التاريخية الواردة في القصص القرآني و ذلك لأنها لم تُبلّغ على أنها دينٌ يُتبع و إنما بُلغت على أنها المواعظ و الحكم و الأمثال التي تُضرب للناس ، و من هنا يصبح من حق العقل البشري أن يهمل هذه الأخبار أو يجهلها ، أو يخالف فيها أو ينكرها)[٢] .

---

(١) ظ : القصص القرآني، فضل عباس: ٦٥ .

(٢) الفن القصصي في القرآن الكريم ، محمد أحمد خلف الله: ٤٥ .

رابعاً: تأويل المستشرقين للحروف المقطعة.

كما تعدد الفهم، والطرح في مسائل كثيرة تخصّ التراث الإسلامي داخلياً، وخارجياً، فقد تعدد ذلك أيضاً في موضوعات كثيرة في القرآن الكريم، ومن تلك الموضوعات (الحروف المقطعة)، أو (فواتح السور) القرآنية.

فكان التعدد في الطرح، أو الاختلاف في التفسير لهذه الحروف داخلياً، وكانت كلّ جهة تفسرها بحسب مبانيها، وميولها، ومصالحها، فمنهم من اجتهد ليفسرها بأفكار وغايات معينة، ومنهم من أراد ملائمتها لحالة معينة أو مذهب معين، ومنهم من أراد لها أن تطابق بعض الروايات الموجودة، ومنهم من اعترف بالعجز أمامها واعتبرها من أشكل المشكلات فقال عنها إنها (من أعوص المسائل التي يصادفها الباحث في القرآن من الناحية العلمية والتاريخية)[1].

ثمّ جاء الدور على جملةٍ[2] من المستشرقين، وكتاب الغرب، ورجال دين يهود، ومسيح على حدٍ سواء ليدلوا بآرائهم، ويتناولون هذه القضية بما يتلائم وغاياتهم من جانب، ويخالف الكثير من الأسس الإسلامية من جانب آخر، هدفهم من وراء ذلك الطعن بالقرآن الكريم، وبنبوة النبي محمد (ص)، متحججين ومتمسكين بدعوى تأثر القرآن الكريم بـ(اليهودية)، و(النصرانية) دليلهم على ذلك حجج واهية، أو روايات ضعيفة، أو ادعاءات واختراعات خلقتها عقولهم المؤدلجة والمريضة.

---

(١) تاريخ القرآن، عبد الله الزنجاني: ٩٤.

(٢) نحن لا نعمم الأحكام، لكن وبحق أن الأكثرية توجد غايات مبيته عندهم، إلا أن هناك نفس علمي عند البعض وإن كانوا قلة قليلة.

وقد سميت هذه الحروف بـ(الحروف المقطعة)؛ لأنّها وإن جاءت ككلمات إلا أن هذه الكلمات تُقرأ مقطعة الحروف لا بشكل كامل، فتقرأ قراءة تهجي حرف بعد حرف، وليس بشكل كلمة واحدة، ولو أنها قرأت بشكل كلمة كاملة لم تعط أي معنى، بل لكانت كلمة غريبة اللفظ، ومجهولة المعنى.

والمراد بالتقطيع هو أن كل حرف ينطق بمفرده؛ لأن الحروف لها أسماء خاصة بها، وإن الناس حين ينطقون حرفاً ما فإنّهم ينطقونه باسمه لا بلفظه فيقولون عن حرف (ع) حين النطق به (عين)، وعن حرف (ح) يقولون (حاء)، وكذلك الحال بالنسبة للحروف الباقية على حدٍ سواء.

كما وانها سميت بفواتح القرآن، وفواتح السور؛ إذ أن فاتحة كل شيء مبدؤه الذي يفتح به ما بعده.

يقال: افتتح فلان كذا، أي: ابتدأه، وفتح عليه كذا: أعلمه ووقفه عليه.

قال تعالى: **(أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ)**[١].

وذكر الدكتور زكي مبارك[٢] عدداً من الصفات التي تفرد بها القرآن الكريم عن الآثار النثرية، فكان منها: الابتداء بهذه الحروف إذ يقول: (إنّ هذا النمط من الابتداء لم نجده في النصوص الأدبية الجاهلية ولا الإسلامية)[٣].

وقد جاءت (فواتح السور) أو (الحروف المقطعة) في (٢٩) سورة من مجموع سور القرآن البالغة (١١٤) سورة.

---

(١)سورة البقرة، الآية: ٧٦.

(٢) زكي عبد السلام مبارك (١٨٩٢ – ١٩٥٢م) أديب وشاعر وصحفي وأكاديمي عربي مصري.

(٣) النثر الفني في القرن الرابع، الدكتور زكي مبارك:١ : ٦٤.

إنّ السور التي احتوت على الحروف المقطعة هي: سورة (البقرة، وآل عمران، والأعراف، ويونس، وهود، ويوسف، والرعد، وإبراهيم، والحجر، ومريم، وطه، والشعراء، والنمل، والقصص، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة، يس، ص، غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف، ق، والقلم).

أما مجموع الحروف المتهجاة في أوائل السور المذكورة فهي (٧٨) حرفاً، وجملتها من غير تكرار (١٤) حرفاً، يجمعها قولك: (نص حكيم قاطع له سرّ)[١].

لم ترد هذه الحروف على وتيرة واحدة، بل اختلفت أعداد حروفها، فوردت على حرف، وحرفين، وثلاثة، وأربعة، وخمسة.

ومن المعلوم بعد ما تقدم أن الحروف المقطعة قد شغلت بال المفسرين، وحازت على اهتمامهم بها، وكذلك قد شغلت العلماء قديماً، وحديثاً، فكان من جرّاء ذلك أن كثرت الأقوال فيها، وكتبت فيها الأبحاث، وتعددت فيها الآراء والاجتهادات، وقف عندها البعض بشرح، وتفصيل، ومرّ عليها البعض مرور الكرام، واكتفى البعض بأنّ تبعها بقوله: (الله أعلم بمراده بذلك)[٢].

يذهب بعض المستشرقين إلى مذاهب شتى بشأن الحروف المقطعة كلٌّ بحسب هدفه، أو غايته، أو مدعاه، أو ما وصل إليه بحسب الأدلة المادية التي تتبعها، ومن هذه الآراء الرأي القائل بأن الحروف المقطعة رموز، وكل حرف

(١) البرهان، الزركشي: ١ : ١٦٧.
(٢) تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي ١ : ٢، وجلال الدين المحلي: ٢ : ٩٠.

يدل على معنى، الهدف من وراء ذلك إثبات أن محمداً ﷺ ليس بنبي، وأن (القرآن) ليس بكتابٍ سماوي.

وهناك من ذهب إلى أن الحروف المقطعة رموز لأسماء بعض الصحابة، وهي إضافات متأخرة للنص القرآني، وليست جزءاً من السور القرآنية التي وردت فيها، مضافاً إلى آراء، وأقوال كثيرة وردت بهذا الشأن[١]، وسنحاول في السطور القادمة توضيح جملة من هذه الآراء المطروحة بما يتلائم ومحاور البحث.

فمثلاً نجد أن المستشرق الألماني (نولدكه) يقول: (إنّ الحروف المقطعة هي الحروف الأولى أو الأخيرة مأخوذة من أسماء بعض الصحابة الذين كانت عندهم نسخ من سور قرآنية معينة، فالسين من سعد بن أبي وقاص، والميم من المغيرة بن شعبة، والنون من عثمان بن عفان، والهاء من دأبي هريرة، وهكذا)[٢].

ثمَّ عدل عن رأيه هذا ليتبنى رأياً آخر مفاده: (أنّ محمداً أراد بهذه الحروف أن يشير بصورة سرية إلى الأصل السماوي للقرآن. فلابدّ من أن حروفاً كهذه كانت ذات وقع مهم في أذن رجل لم يتعرف إلى الكتابة إلا بقدر يسير جداً، فبدت له عجباً عجاباً، وأختلف وقعها لديه عن وقعها في آذاننا)[٣].

(١) ومن أشهر الآراء في ذلك ما ورد عن: (نولدكه، وشيفالي، ولوت، وبوير، وهيرشفيلد، ودي بور، وبلاشير، وهنري ماسيه، وبول ديك، وجوسنز، وغيرهم).

(٢) تاريخ القرآن، تيودور نولدكه: ٣٠٣، ومباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح: ٢٣٩، وموسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي: ٤١٧.

(٣) تاريخ القرآن، نولدكه: ٣٠٦.

أما المستشرق (هـ.. هرشفيلد) فيصرّ على أنّ هذه الاختصارات هي أسماء لصحابة النبي[1].

أمّا المستشرق (بول ديك) فيقول: إنّها رموز لمجموعات الصحف التي كانت عند المسلمين قبل أن يوجد المصحف العثماني.

أما المستشرقان (دي بور)[2] و(جوسنز)[3] فزعما أنها اختصارات للأسماء القديمة لسور القرآن[4].

كما وزعم المستشرق (جوسنز): (أنّ هذه السور التي تحمل رموزاً كانت ذات يوم منفصلة عن باقي السور الأخرى في يد أحد جمّاع القرآن جمعها في مجموعة صغيرة، وقد فرّق ذلك الجامع بوضوح بين الأسماء التي كانت مستعملة حينذاك للسور، وبين نص السور، بأن أختصر هذه الأسماء التي كانت مستعملة حينذاك للسور، وبين نص السور، بأن اختصر هذه الأسماء إلى مثل (ن، ق، ص) لأنها كانت بالنسبة له أمراً ثانوياً، ولا تخدم غرضه الأصلي، وهو جمع النصوص، ثمَّ جاء الشخص الذي جمع القرآن الجمع الأخير بصورته الحالية، فلم يفهم أن هذه اختصارات لأسماء السور، فأضافها إلى النص نفسه بعد البسملة، وأخترع للسور أسماء أخرى)[5].

---

(١) م.ن: ٣٠٨.

(٢) مستشرق هولندي (١٨٦٦ - ١٩٤٢م).

(٣) وقد خصها بدراسة تقدم بها للحصول على درجة الدكتوراه، وذلك في خريف سنة (١٩٢٠م) ثم نشرها بعد ذلك في مجلة (الإسلام) التي تصدر في ألمانيا تحت عنوان (أصل الرموز القرآنية ومعناها).

(٤) الحروف المقطعة في القرآن الكريم، عبد الجبار شرارة: ٣٥، ومباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح: ٢٤٠.

(٥) الحروف المقطعة في القرآن الكريم، عبد الجبار شرارة: ٣٧.

وكذلك كتب عنها المستشرق (هانز بـور) في مجلـة (ZDMG 26) دراسـة تحت عنوان (ترتيب السور والرموز الغامضة في القرآن)(١).

أما المستشرق (لـوث)(٢) فيـذهب إلى أن الـنبي محمـد (ص) مـدين بفكـرة فواتح السور لتأثير أجنبي رجحه وأنّه تأثير يهودي(٣)، وأن الحروف المقطعة قد أخذت من (الكبالا)(٤) أي التصوف اليهودي(٥).

وقال بعض المستشرقين: إن هذه الحروف هي إيعاز للعـرب الـذين كـانوا يؤمنون بالسحر وبالكهان الذين كانوا يستعملون الألغاز في طلاسمهم.

وإلى ذلـك وغـيره يشـير المستشـرق الألمـاني (نولدكـه) فيمـا يخـص آراء المستشـرقين بـالقرآن الكـريم، واجتهـادات الطـرح حولـه بقولـه: (فالعلمـاء المسيحيون في الغرب، طوروا بواسطة الصدفة، أو الاستعارة، كـثيراً مـن الآراء التي هي نفسها آراء التراث الإسلامي، أو تشبهها، وحتى حـين سـلكوا دروبـاً خاصة بهم لم يتوصلوا دائماً إلى تفسير أفضل من التفسير الإسلامي)(٦).

ويقول المستشـرق الفرنسي (هنري ماسيه): (هناك تسـع وعشـرون سـورة تنتهي كلها تقريباً إلى العصر الذي سبق الهجرة مباشرة، وتبـدأ بحـروف مفـردة

---

(١) مجلة التوحيد، العدد: ٨١، ذو الحجة (١٤١٦هـ)، ص٣٤.

(٢) لوث، أو لوت.

(٣) الاستشراق والخلفية الفكرية: ٨٤.

(٤) الكبالا، أو القبالا: كلمة عبرية معناها: مذهب في تفسير الكتاب المقدس عندهم، يقوم على افتراض أنّ لكل كلمة، ولكل حرف فيه لع معنى خفي، ونشأ هذا المذهب في القرن السابع واستمر حتى الثامن عشر الميلادي. مصدر هذا المذهب هو كتاب الخلق أو الزهاو عند اليهود، وأفكار أفلاطون الميتافيزيقية، وبعض تعاليم المسيحية.

(٥) القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي: ٢٢٨.

(٦) تاريخ القرآن: ٣٠٠.

لا تزال تحيّر مفسري القرآن من المسلمين وغيرهم. فالعلماء المسلمون بعد أن بحثوا لها عن إيجازات وجدوا فيها لغزاً لا يعرفه إلا الله وحده. وعاد بعض المستشرقين إلى فكرة الإيجازات هذه، وأراد آخرون فيها الحروف الأولى لأسماء المالكين الأول للنسخ التي كتبها زيد)[١].

وما هذا القول إلا إعادة لما جاء به بعض المستشرقين كالمستشرق (لوث) الذي عزى الحروف المقطعة إلى التأثير اليهودي على النبي (ص)، لو دقق أحد في هذه الدعوى للاحظ بطلانها بأبسط نظر، وذلك لأن سبعاً وعشرين سورة من السور المحتوية على الحروف المقطعة هي مكية، وليس بينها من السور المدنية سوى اثنتين فقط.

لكن بعض المصادر ادّعت أنّ النبي محمد (ص) قد قام بتأليف القرآن بمساعدة راهب مسيحي، وآخر يهودي فارسي اسمه (عبد الله بن سلام)[٢] كما يَدعون[٣].

كما وقد أورد الطاعنون بالقرآن الكريم، وبنبوة النبي محمد (ص) أسماء للأعاجم الذين كانوا في مكة والذين اتهموا بتأليف القرآن، وعلموه للرسول (ص) فصاغه بعد ذلك باللغة العربية، وهم: الحداد النصراني (بلعام)، وغلام بني المغيرة (يعيش)، و(جبر) الغلام الرومي لبعض بني الحضرمي،

---

(١) آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم، أحمد نصري: ١٥٠.

(٢) قيل إنّ اسمه كان (الحصين) فسماه النبي ﷺ عبد الله، كما يذكر ذلك البخاري ٥ : ٣٧، والمشهور أنّه من رواة الإسرائيليات.

(٣) ورد ذكر هذا القول في كتاب: دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، جون ديفنبورت: ١٣٢، الهامش.

و(يسار) الغلام الفارسي من عين التمر، و(عائش) الغلام النصراني عبد حويطب بن عبد العزى، و(عداس) غلام عتبة بن ربيعة[١].

إن القرآن الكريم يرد على كل هذه الافتراءات بآياته المباركة.

قال تعالى: **(وَما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ)**[٢].

لقد زعم المشككون أنّ القرآن الكريم ليس كلام الله، وإنّما هو من تأليف شخصٍ ما علمه للنبي محمداً (ص)، وقد اختلفوا في تحديد اسم ذلك الشخص الأعجمي، ومن الأسماء التي رددها الرواة: (بلعام، ويعيش، وجبر، ويسار، وعداس)[٣].

ولقد ردت آيات القرآن الكريم في أكثر من مكان على هذا الزعم الباطل، ومنها قوله تعالى: **(وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)**[٤].

فالآية الكريمة قالت بأن لسان ذلك الشخص أعجمي، والقرآن لسان عربي مبين، فكيف للأعجمي الذي لا يعرف إلا بضع كلمات عربية يكاد لا يحسن نطقها بالشكل الصحيح أن يؤلف كلاماً عربياً بلغ الذروة في البلاغة والفصاحة؟!

---

(١) هل القرآن معصوم؟ عبد الله الفاني: ٢٣٦.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٨.

(٣) كل ذلك كان مجرد نظريات، وافتراءات وردت في كتب المسيحيين واليهود والمستشرقين وأعداء الإسلام.

(٤) سورة النحل، الآية: ١٠٣.

قال السيد الطباطبائي ؛ في تفسير الآية المتقدمة ما نصه: (وملخص الجواب مأخوذ من جمع الآيات الثلاث، أنّ ما اتهمتموه به أن بشراً يعلمه ثم هو ينسبه إلى الله افتراء إن أردتم أنّه يعلمه القرآن بلفظه بالتلقين عليه وأن القرآن كلامه لا كلام الله فجوابه: أن هذا الرجل لسانه أعجمي وهذا القرآن عربي مبين)[(١)].

وقال تعالى: **(وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ)**[(٢)].

يقول ابن عطية في التعليق على هذه الآية: إنّها نزلت بسبب تخليط قريش في أقوالهم من أجل الحروف التي وقعت في القرآن وهي مما عُرب من كلام العجم كالسجين والإستبرق ونحوه فقال ولو جعلنا هذا القرآن أعجمياً لا يبين لقالوا واعترضوا لولا بينت آياته[(٣)].

(إنّ النبي (ص) لم يكن يحتاج إلى كاتب بالعبرية، فاليهود الذين في الجزيرة كانوا يكتبون رسائلهم للعرب بالعربية! فلا بد أن يكون هدف زيد من هذه الرواية تبرير معرفته باللغة العبرية وإجادته الكتابة بها، بأنّ ذلك كان بأمر النبيّ، ومن أجله (ص)! وهو أمر يوجب المزيد من الشك في أصله! هذا بناء على عقيدة إخواننا السنة بالنبي (ص)، أما نحن الشيعة فنعتقد أن النبي، أي نبي، وكذا الإمام، حجة الله تعالى على خلقه.. ومن أوّل شروط الحجة أن

---

(١) تفسير الميزان١٢ : ٣٧٢، تفسير سورة النحل، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٤.

(٣) المحرر الوجيز، ابن عطية: ١٣ : ١٢٥.

يعرف لغة المحتج عليه.. وبذلك صرحت أحاديثنا الصحيحة عن النبي(ص) وآله : بأنّ نبينا وأوصياءه يعرفون كل ما يحتاجون إليه من لغات الناس في عصرهم، ولا حاجة لهم إلى زيد وعمرو ليترجموا لهم)[١].

نعم، لا يمكن إنكار وجود بعض القبائل والتجمعات اليهودية في الجزيرة العربية، وبالخصوص حين بعثة النبي (ص)، وهذا أمر مسلم تاريخياً، قد ذكرته كتب المسلمين قبل غيرها، أما كون النبي(ص) قد نقل عنهم شيئاً مما في القرآن الكريم أو غيره من تعاليم الإسلام، فهذا أمر لا يمكن إثباته بطريقة علمية، بل على العكس من ذلك، إذ أنّ جميع الحقائق التاريخية تؤكد عدم صحة مثل هكذا مختلقات.

فاليهود الموجودون في الجزيرة العربية آنذاك لم يكونوا على ثقافة واسعة في الدين، وليسوا على جانب من المعرفة لتؤهلهم لمثل هذا الدور المزعوم، بل أن مستواهم الثقافي كان متدنياً إلى حدٍ بعيد.

و القرآن الكريم، وفي آياته المباركة كان من أكبر المنتقدين لهم، والمعرفين بمستواهم المتدني في جميع المجالات.

كما ونجد أن (ابن خلدون) وفي تاريخه يقول: (وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب، ومعظمهم من حِمْير الذين أخذوا بدين اليهودية...)[٢].

بل نجد أن جملة من مؤرخي اليهود يرون أن يهود الجزيرة العربية كانوا في معزلٍ عن بقية أبناء دينهم، وأن اليهود الآخرين لم يكونوا يرون أنهم مثلهم في

---

(١) تدوين القرآن، علي الكوراني: ٢٨٧.

(٢) تاريخ ابن خلدون١ : ٥٥١، المقدمة.

العقيدة، لأنّهم لم يحافظوا على الشرائع الموسوية، ولم يخضعوا لأحكام التلمود[١]-[٢]، بل نجد البعض قال عنهم بأنهم عرب متهوّدون، وليسوا باليهود الحقيقيين[٣].

(١) نقلاً عن: تاريخ اليهود في بلاد العرب، إسرائيل ولفنسون: ١٣.

(٢) التلمود: كلمة عبرية تعني الدراسة، وهو كتاب تعليم الديانة اليهودية، وهو مركّب من عنصرين: الميشناه وهي النسخة الأولى المكتوبة من الشريعة اليهودية التي تتناقل شفوياً، والجمارا وهذا القسم من التلمود يتناول الميشناه بالبحث والدراسة. والتلمود مؤلف جمعت فيه قصص ومناقشات حاخامات اليهود جمعوها وأصبحت كتاب ديني.

(٣) كالمستشرق الألماني كاسكيل (ت١٩٧٠م).

الفصل الخامس

اجرائيات من الدراسات الاستشراقية للقرآن الكريم

المبحث الأول:
المستشرقون و الاهتمام بدراسة القرآن الكريم

إن علماء المسلمين قد عنوا بعلوم القرآن منذ زمن قديم عناية فائقة فألفوا في تاريخه، وتدوينه، واختلاف قراءاته، وإعجازه، وعلومه، وتفسيره، وغير ذلك.

ان حركة الاستشراق قد فتحت عيون الغرب إلى دراسة الدين الإسلامي وحياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن دراسة فيها الكثير من الجدية والنزاهة، وكما أن فيها الكثير من التحيز والغمز الخفي، ولا تخلو من النقد العلني كذلك.

لعل من نافلة القول أن نضيف أن هدف المستشرقين من عنايتهم باللغة العربية لم يكن علميا محضا وهذا ليس افتراء، إذ يشير يوهان فوك عندما وضع ١٩٤٣م مؤلفا ذا أهمية فائقة عن تأريخ الاستشراق والمستشرقين في أوروبا منذ أول دراسات اللغة العربية في أول القرن التاسع عشر، ثم وضع سنة ١٩٥٥م رسالة عن الدراسات العربية في أوروبا والتي يقول فيها: (ولقد كانت فكرة التبشير هي الدافع الحقيقي خلف تراجم عربية للإنجيل)[(١)].

لقد كان بطرس المكرم ١٠٩٤-١١٥٦م الفرنسي من الرهبانية البندكتية، رئيس دير كلوني قد قام بتشكيل جماعة من المترجمين للحصول على معرفة

---

(١) القرآن والمستشرقون، رواح لطفي جمعة: ٥ ،و تاريخ حركة الاستشراق، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا: ١٤.

موضوعية عن الإسلام. وقد كان هو ذاته وراء أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية ١١٤٣م التي قام بها الإنجليزي روبرت أوف كيتون[١].

ولعل علماء المشرقيات من الألمان كانوا أكثر المستشرقين حظا وأوفرهم نصيبا في دراسة القرآن الكريم، بل إن لهم فضل السبق على غيرهم من بني جلدتهم في هذا المجال، ويكفي أن نذكر في هذا المقام أن (غوستاف فلوجل) أول من وضع فهرسا أبجديا لكلمات القرآن، أشار فيه إلى رقم السورة ورقم الآية، وطَبع مصحفا في مدينة ليبزج سنة ١٨٣٤م.

لم تقتصر جهود علماء المشرقيات على هذا المجال فحسب، بل لقد أنشأت جامعة ميونخ معهدا خاصا للأبحاث القرآنية، كما بذلت الجامعة والحكومة الألمانية أموالا طائلة لإنشائه وتطويره وتزويده بكل ما يتصل بالقرآن، حتى أصبح أكبر متحف قرآني في العالم، ويكفي للتدليل على ذلك أن نذكر ما فعله القائمون على هذا المعهد في دراسة القرآن.

١- جمعوا فيه أهم ما يوجد من المطبوعات العربية خاصة في التفسير وعلوم القرآن والقراءات.

٢- جمعوا بواسطة التصوير الفوتوغرافي ما لم يطبع من الكتب في هذا الموضوع في جميع أنحاء العالم.

٣- حصلوا على صور فوتوغرافية لآلاف من نسخ القرآن الخطية من جميع العصور، وسافروا من أجل ذلك إلى جميع أنحاء العالم شرقا وغربا

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مانع الجهني: ٥-٧.

ووصلت إلى أيديهم حتى ما كان على ورقة أو ورقتين، فاحتفظوا بنسخ من القرن الأول للهجرة وكان غرضهم من هذا العمل أن يقارنوا بين جميع تلك النسخ فلم يجدوا فيها إلا أغلاطا كتابية وأخطاء إملائية، وهدفوا من وراء ذلك أيضا إلى دراسة الخط العربي وتطوره وتجليد المصاحف وتزيينها وغير ذلك من العلوم.

٤- بدأوا العمل في أوسع تفسير للقرآن فجعلوا لكل آية صندوقا خاصًا بها ووضعوا فيه تفسير تلك الآية لكل مفسر منذ التدوين الأول إلى العصر الحاضر ورتبوا تلك التفاسير والاقتباسات ترتيبا زمنيا حسب المفسر الأقدم فالأقدم، وبذلك يمكن معرفة تطور التفسير لكل كلمة ولكل آية من آيات القرآن.

ولكن للأسف الشديد ضاعت كل هذه الجهود وهلك كل من كان في هذا المعهد وما كان فيه من الذخائر نتيجة لسقوط القنابل عليه إبان الحرب العالمية الثانية[١].

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: ١٤٨-١٤٩.

المبحث الثاني:
الدراسات الاستشراقية حول القرآن الكريم

يمكن لنا ان نجعل الدراسات الألمانية كنموذج للدراسات الاستشراقية؛ كونها الأكثر من حيث العدد ومن حيث الاهتمام، وهذه الدراسات هي:

١ــ ج. فرايتاج (١٧٨٨ ـ ١٨٦١م)، له: ترجمة أسرار التأويل وأنوار التنزيل للبيضاوي (١٨٤٥م)[١].

٢ـ هـ . ل . فلايشر (١٨٠١ ـ ١٨٨٨م)، له: تفسير القرآن للبيضاوي (١٨٤٦م)[٢].

٣ـ ج . فلوجيل (١٨٠٢ ـ ١٨٧٠م)، له: نجوم الفرقان في أطراف القرآن (١٨٤٢م)[٣].

٤ـ سيمون فايل (١٨٠٨ ـ ١٨٨٩م)، له: التوراة في القرآن (١٨٣٥م)[٤].

٥ــ تيودور نولدكه (١٨٣٦ ـ ١٩٣٠م)، له: أصل وتركيب القرآن (١٨٥٦م)، و(تاريخ القرآن) ١٨٦٠م، و(هل كان لمحمد معلمون نصارى؟) ١٨٥٨م، و (القرآن الرسمي في قراءة أهل مصر) ١٩١٣م[٥].

---

(١) المستشرقون، العقيقي: ٢، ٣٥٩.

(٢) المستشرقون: ٢، ٣٦٣.

(٣) المستشرقون: ٢، ٣٦٤.

(٤) المستشرقون: ٢، ٣٦٦.

(٥) المستشرقون: ٢، ٣٨٠ ـ ٣٨١.

٦ـ ي . زاخاو (١٨٤٥ ـ ١٩٣٠م)، له: سور القرآن[(١)] .

٧ـ ياكوب بارث (١٨٥١ ـ ١٩١٤م)، له: القرآن (١٩١٥م)[(٢)] .

٨ـ هرتويج هيرشفيلد (١٨٥٤ ـ ١٨٣٤م)، له: بحوث جديدة في ترتيب القرآن وتفسيره (١٩٠٢م)[(٣)] .

٩ـ س . فرانكيل (١٨٥٥ ـ ١٩٠٩م)، له: الكلمات الأجنبية في القرآن (١٨٧٨م)[(٤)] .

١٠ـ كارل فولليرس (١٨٥٧ ـ ١٩٠٩م)، له: القرآن بلهجة مكة الشعبية (١٩٠٦م)[(٥)] .

١١ـ اد . مالير (١٨٥٧ ـ ١٩٤٥م)، له: دليل القرآن (١٨٨١م)[(٦)] .

١٢ـ ك . ف . زايبولد (١٨٥٩ ـ ١٩٢١م)، له: تفاسير القرآن (١٩١٥م)[(٧)] .

١٣ـ هـ . جريمة (١٨٦٤ ـ ١٩٤٢م)، له: ترجمة القرآن (١٩٢٣م)[(٨)] .

١٤ـ اوغست فيشير (١٨٦٥ ـ ١٩٤٩م)، له: تفسير القرآن (١٩٠٦م)[(٩)] .
(١٩٠٦م)[(٩)] .

---

(١) المستشرقون: ٢، ٣٨٩.
(٢) المستشرقون: ٢، ٣٩٣.
(٣) المستشرقون: ٢، ٤٠٠.
(٤) المستشرقون: ٢، ٤٠١.
(٥) المستشرقون: ٢، ٤٠٤.
(٦) المستشرقون: العقيقي، ٢، ٤٠٤.
(٧) المستشرقون: ٢، ٤٠٥.
(٨) المستشرقون: ٢، ٤١٤.
(٩) المستشرقون: ٢، ٤١٦.

١٥ــ بول شوارتس (١٨٦٧ ـ ١٩٣٨م)، لـه: غريب القرآن (١٩١٥م)[١].

١٦ـ اوغست ميتفوك (١٨٦٧ ـ ١٩٤٢م)، له: ترجمة القرآن إلى الأمهرية (١٩٠٦م)[٢].

١٧ــ بومشتارك (١٨٧١ ـ ....م)، لـه: النصرانية واليهودية في القرآن (١٩٢٧م)، و: مذهب الطبيعة الواحدة النصراني في القرآن (١٩٥٣م)[٣].

١٨ـ جوزيف هورفيتس (١٨٧٤ ـ ١٩٣١م)، لـه: اشتقاق لفظ القرآن (١٩٠٦م)، و: القرآن (١٩٢٣م)[٤].

١٩ــ ب . كالـه (١٨٧٥ ـ ١٩٦٤م)، لـه: القرآن والعربية (١٩٤٨م)، والقرآن (١٩٤٩م)[٥].

٢٠ــ رتشارد هارتمان (١٨٨١ ـ ١٩٦٥م)، لـه: تفسير القرآن (١٩٢٤م)[٦].

٢١ـ ج . برجشتراسر (١٨٨٦ ـ ١٩٣٣م)، له: حروف النفي في القرآن (١٩١١م)، و: معجم قراء القرآن وتراجمهم (١٩١٢م)، وتاريخ قراءات القرآن (١٩٢٩م)، والقرآن (١٩٢٦)، والقراءات الشاذة في كتاب المحتسب لابن جني (١٩٣٣م)، وتاريخ النص القرآني[٧].

---

(١) المستشرقون: ٢، ٤٢٠.
(٢) المستشرقون: ٢، ٤٢١.
(٣) المستشرقون: ٢، ٤٣١.
(٤) المستشرقون: ٢، ٤٣٣.
(٥) المستشرقون: ٢، ٤٤١.
(٦) المستشرقون: ٢، ٤٤٦.
(٧) المستشرقون: ٢، ٤٥٠ـ ٤٥١.

٢٢ـ س . د . جوايتين: له: الصلاة في القرآن[١] .

٢٣ـ ريخلين: له: الشرع في القرآن بالألمانية، وترجمة القرآن إلى العبرية[٢] .

٢٤ـ هـ . ريثير (١٨٩٢ ـ ١٩٧١م)، له: القرآن والحديث في مكتبات استانبول (١٩٢٨م)، وكتب عن كتاب: معاني القرآن لابن منظور الديلمي (١٩٤٢م)[٣] .

٢٥ـ او . بريتسل (١٨٩٣ ـ ١٩٤١م)، له: القرآن (١٩٣٣م)، وصنف كتاباً عن مراجع القرآن وعلومه، ورسالة في تاريخ علم قراءة القرآن (١٩٣٨م)، وله: استعمال اسلوب النقد في القرآن (١٩٣٤م)، والقرآن(١٩٣٨م)[٤] .

٢٦ـ ك . ارينز: له: عناصر نصرانية في القرآن (١٩٣٠م)[٥] .

٢٧ـ ج . فوك (١٨٩٤ ـ ....م)، له: القرآن (١٩٣٣م)، وترجمة القرآن (١٩٤٤م)[٦] .

٢٨ـ هـ ز شابير (١٨٩٧ ـ ١٩٣٥م)، له: القصص الكتابي في القرآن (١٩٣٩م)[٧] .

٢٩ـ هانز فير (١٩٠٩ ـ ....م)، له: من لغة القرآن (١٩٦٠م)[٨] .

---

(١) المستشرقون: ٢، ٤٥٥ .
(٢) المستشرقون: العقيقي، ٢، ٤٥٩ .
(٣) المستشرقون: ٢، ٤٦١ .
(٤) المستشرقون: ٢، ٤٦٢ ـ ٤٦٣ .
(٥) المستشرقون: ٢، ٤٦٣ .
(٦) المستشرقون: ٢، ٤٦٣ .
(٧) المستشرقون: ٢، ٤٦٦ .
(٨) المستشرقون: ٢، ٤٧٤ .

٣٠ـ انطون شبيتالير (١٩١٠ ـ .....م)، له: القرآن (١٩٣٨م)[(١)].

٣١ـ هينز جروتزفيلد (١٩٣٣ ـ .....م)، له: القرآن (١٩٦٩م)[(٢)].

٣٢ـ آن ماري شيميل ( )، لها: دراسة عن القرآن، وترجمة القرآن (١٩٦٣م)[(٣)].

٣٣ـ رودي بارت ( )، له: ترجمة القرآن إلى الألمانية، وكتاب (محمد والقرآن).

٣٤ـ كوبيرت: له: تفسير القرآن (١٩٤٨م)، وحول القرآن (١٩٦٦م)[(٤)].

٣٥ـ دايم: وقد أسهم في تأليف كتاب لغة القرآن (١٩٧٤م)[(٥)].

دراسات استشراقية أخرى:

أما لو تطرقنا للدراسات الاستشراقية الأخرى التي تناولت القرآن الكريم بالدراسة، وذلك بحسب تتبع الاستاذ العقيقي في كتابه (المستشرقون) فهي:

١ـ الدراسات الاستشراقية الايطالية للقرآن الكريم = ١١ دراسة[(٦)].

٢ـ الدراسات الاستشراقية الفرنسية للقرآن الكريم = ٣٠ دراسة[(٧)].

٣ـ الدراسات الاستشراقية البولونية للقرآن الكريم = ٣ دراسات[(٨)].

---

(١) المستشرقون: ٢، ٤٧٥.

(٢) المستشرقون: ٢، ٤٨٢.

(٣) المستشرقون: ٢، ٤٨٢.

(٤) المستشرقون: ٣، ٥٣٧.

(٥) المستشرقون: ٣، ٥٣٧.

(٦) المستشرقون: العقيقي، ٣، ٥٣٢.

(٧) المستشرقون: ٣، ٥٣٣.

(٨) المستشرقون: ٣، ٥٣٣.

٤ـ الدراسات الاستشراقية الانكليزية للقرآن الكريم = ٢٠ دراسة[١].

٥ـ الدراسات الاستشراقية الهولندية للقرآن الكريم = ١٦ دراسة[٢].

٦ـ الدراسات الاستشراقية الروسية للقرآن الكريم = ٨ دراسات[٣].

٧ـ الدراسات الاستشراقية السويدية للقرآن الكريم = ٣ دراسات[٤].

٨ـ الدراسات الاستشراقية الدنماركية للقرآن الكريم = ٢ دراستان[٥].

٩ـ الدراسات الاستشراقية الامريكية للقرآن الكريم = ١٣ دراسة[٦].

١٠ـ الدراسات الاستشراقية النمساوية للقرآن الكريم = ٤ دراسات[٧].

١١ـ الدراسات الاستشراقية المجرية للقرآن الكريم = ٢ دراستان[٨].

---

(١) المستشرقون: ٣، ٥٣٥.

(٢) المستشرقون: ٣، ٥٣٨.

(٣) المستشرقون: ٣، ٥٣٨.

(٤) المستشرقون: ٣، ٥٣٩.

(٥) المستشرقون: ٣، ٥٣٩.

(٦) المستشرقون: ٣، ٥٤٠.

(٧) المستشرقون: ٣، ٥٤٠.

(٨) المستشرقون: ٣، ٥٤٠.

المبحث الثالث:
المستشرقون وأخطائهم في ترجمة القرآن الكريم

إن الهدف الحقيقي لقيام معظم المستشرقين بترجمة معنى القرآن الكريم إلى لغات أخرى هو التنصير وغرس الشكوك في قلوب المسلمين الضعفاء. وبطبيعة الحال ارتكب المستشرقون الذين ترجموا معاني القرآن أخطاء فاحشة خلال أعمالهم هذه، وخاصة المترجمة منها إلى الإنجليزية.

فالمعاني الدقيقة الملائمة مفقودة عبر ترجماتهم. فالفرق بين لفظي (اسطاع واستطاع) لم يدركا فأسماء الله تعالى الآتية سواء عندهم: خالق، خلاّق، فاطر، بديع، بارئ، ملك، مالك، مليك، قادر، قدير، مقتدر، إن وجد الفرق حسب رأيهم فبسيط.

لفظي (أيّان) (ومتى) وغيرهما لم تُعط حقها. كل هذا يؤكد عجز الترجمة عن حمل المعاني أو المدلولات اللائقة من وجه، ويثبت من الناحية الأخرى بعض العوامل التي أدت إلى هذه الظاهرة، وذكرها بعض الباحثين أمثال محمد خليفة في كتابه (القرآن العظيم والاستشراق) (The Sublime Qur'an and Orientalism).

من هذه العوامل:

١- الجهل بمدلول الكلمة العربية.

٢- تضييق المدلول على جانب محدود.

٣- الخلط بين مختلف الألفاظ العربية.

٤- قلة العلم بالعربية المبنية على اختلاف وهمي.

٥- الخطأ الناشئ من أخوات العربية تاريخيا مثل: العبرية والسريانية.

٦- حدوث التداخل اللغوي بسبب التأثيرات العبرية[١].

فالأخطاء الناشئة من ترجمات معاني القرآن الكريم المختلفة سبب في طعن هؤلاء المستشرقين في قداسة القرآن وفي أسماء الله تعالى، وحنيفية الإسلام، وفي ادِّعائهم التعارض في القرآن الكريم.

إن الترجمة التي تعني من مدلولاتها: تفسير الكلام بلغته التي جاء بها. ومنه قد وردت في لسان العرب (ترجم): الترجمان بمعنى المفسر للسان[٢] وقيل: الترجمان بالضم والفتح هو الذي ترجم الكلام أي ينقله من لغة إلى لغة أخرى، والجمع التراجم والتاء والنون زائدتان، وقد ترجمه وترجم عنه[٣].

لقد أصبحت كلمة (ترجمان) إذا أطلقت للتعبير عن القائم بعملية الترجمة شفويا، بينما درج الكثير من الكتاب على استخدام (مترجم) في حق من يمارس الترجمة كتابة[٤].

إن الترجمة سواء الحرفية منها أو التفسيرية أو غيرهما تؤدي دورها الفعال إذا أهّل المترجم بمعرفة أوضاع اللغتين وأساليبهما وخصائصهما، فيستطيع أن يوفي ترجمته بجميع معاني الأصل ومقاصده على وجه شمولي، أي يستوعب المترجم المعاني في الذهن وألا يغفل ما يربط بين هذه الأجزاء، وأن يتناسى

---

(١) The Sublime Qur'an and orientalism Muhammad khalifa, Longman London and New York 1983. pp 66- 79.

(٢) لسان العرب لابن منظور: ٥ :١٦٣.

(٣) الصحاح في اللغة والعلوم: ١ :١٣٩، والقاموس المحيط للفيروزابادي: ١٣٩٩.

(٤) أسس الترجمة، عز الدين محمد نجيب: ٧.

الألفاظ التي وردت في النص المراد نقله لإفساح المجال للألفاظ والعبارات المؤدية للمعاني في اللغة التي ينقل إليها، باختيار الألفاظ الملائمة. ذلك أن المترادفات في اللغة ليست سواء من حيث المعنى والجرس وسياق العبارة وروح النص ومقتضى الحال، وأن تكون صيغة الترجمة مستقلة عن الأصل بحيث يمكن أن يستغنى بها عنه، وأن تحل محله كأنه لا أصل هناك ولا فرع[(١)].

إن محاولة ترجمة القرآن الكريم تعود إلى القرن السادس الهجري (سنة ٥٣٦هـ)، الثاني عشر الميلادي (سنة ١١٤١م)، حينما بدأ بطرس الكلوني هذا الجهد، وتولَّى الترجمة له الراهب الإنجليزي روبرت (روبرتوس كيتينيسيس) الكلوني، وكان هو والراهب الآخر هيرمان الدالماتي، الذي ترجم النبذة المختصرة، ملمَّين باللغة العربية، وكانت هذه الترجمة (تزخر بأخطاء جسيمة، سواء في المعنى أو في المبنى، ولم يكن أمينًا؛ إذ أغفل ترجمة العديد من المفردات، كما لم يتقيَّد بأصل السياق، ولم يُقم وزنًا لخصوصيات الأدب)، كما يقول يوهان فوك[(٢)].

ويضيف عبدالرحمن بدوي إليهما كلاً من: روبرت كينت، وعربي مسلم يدعى محمَّدًا، (ولا يُعرف له لقب ولا كنية ولا اسم آخر)[(٣)] ويذكر محمَّد عبدالواحد العسري أن من التراجمة أحد المسلمين المرتدِّين عن دينهم الأصلي إلى النصرانية[(٤)].

---

(١) أسس الترجمة، عز الدين محمد نجيب: ١٤.

(٢) ظ: تاريخ حركة الاستشراق: الدراسات العربية والإسلامية في أوروبَّا حتَّى بداية القرن العشرين: ١٨.

(٣) ظ: موسوعة المستشرقين: ٤٤١.

(٤) ظ: الإسلام في تصوُّرات الاستشراق الإسباني، محمد عبد الواحد العسري: ١٢٢ .

إلا أن هذه الترجمة لم يتم طبعها إلا بعد أربع مئة سنة مـن ترجمتهـا، أي في منتصف القرن العاشر الهجري، (سنة ٩٥٠هـ)، منتصف القرن السادس عشـر الميلادي (سنة ١٥٤٣م)، حيث طبعت في بازل بسويسرا؛ إذ تولَّد جـدل لـدى رجال الدين في الكنيسة حول جواز نشر القرآن الكـريم بـين رعايـا الكنيسـة، ومدى تأثيره في مشروع حماية النصارى من الإسـلام[(١)]. ثـمَّ صـدرت الطبعـة الثانية منهـا، في بـازل بسويسـرا، كـذلك، سـنة ٩٥٧هــ/ ١٥٥٠م[(٢)]. وتلاهـا مباشرة محاولة ترجمة معاني القـرآن الكـريم إلى اللاتينيـة، وقـام بهـا جمعٌ مـن رهبان ريتينا، وقيـل إن هـذه الترجمـة قـد أُحرقـت[(٣)]. ثـم تعاقبـت الترجمـات مستندة إلى ترجمة روبرتوس الكلوني، وعلى أيدي المستشـرقين، فقـد صـدرت أقدم ترجمـة إلى الإيطاليـة سـنة ٩٥٤هــ/ ١٥٤٧م، ثـم صـدرت عـن الترجمـة الإيطالية ترجمة ألمانية سنة ١٠٢٥هــ/ ١٦١٦م، علـى يـد سـالومون شـفايجر، وعن الألمانية صدرت ترجمة إلى الهولندية سنة ١٠٥١هـ/ ١٦٤١م، غير معلومة اسم المترجم. وكلُّها كانت عالةً على ترجمـة روبرتـوس، حتـى ظهـرت ترجمـة لودفيجو ماراتشي إلى الإيطالية سـنة ١١١٠هــ/ ١٦٩٨م، (الـتي لا سـبيل إلى مقارنتها، من حيث صحَّتها، مع أي ترجمة أخرى قبلها)[(٤)].

ثمَّ توالت ترجمات معاني القرآن الكريم، دون تدخُّل مباشر بالضرورة مـن الأديرة والكنائس والمنصِّرين، ولكن بقدر من الإيحـاء الـذي أملتـه العـودة إلى الترجمات السابقة.

---

(١) ظ: الطباعة العربية في أوروبا، قاسم السامرائي: ٤٥ ـ ١٠٨ .
(٢) ظ: تاريخ حركة الاستشراق: ١٥ ـ ٢٠ .
(٣) ظ: موسوعة المستشرقين: ٤٣٨ -٤٤٥.
(٤) ظ: تاريخ حركة الاستشراق: ٢٠ و: ٩٧ -٩٨.

ثم أتى دور المستشرق جورج سيل سنة ١١٤٩هـ/ ١٧٣٤م، الذي أثنى على القرآن الكريم، وترجم معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية، لكنه نفى أن يكون وحيًا من عند الله، بل أكَّد أنه من صنع محمَّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، حيث يقول: (أمَا أن محمَّدًا كان في الحقيقة مؤلِّف القرآن المخترع الرئيسي له، فأمرٌ لا يقبل الجدل، وإن كان المرجَّح مع ذلك أن المعاونة التي حصل عليها من غيره في خطَّته هذه، لم تكُن معاونةً يسيرة. وهذا واضح في أن مواطنيه لم يتركوا الاعتراض عليه بذلك)[١].

يقول نجيب العقيقي عن ترجمة جورج سيل[٢]: (وقد نجح في ترجمته، فذكرها فولتير في القاموس الفلسفي. وأُعيد طبعها مرارًا، إلاَّ أنها اشتملت على شروح وحواشٍ ومقدِّمة مسهبة، هي في الحقيقة بمثابة مقالة إضافية عن الدين الإسلامي عامَّة، حشاها بالإفك واللغو والتجريح)[٣].

إن مقولة جورج سيل ما هي إلا فرية استشراقية، قديمة في إطلاقها، ولكنها أثَّرت كثيرًا في تأثير القرآن الكريم في قرَّاء ترجمة المعاني باللغة الإنجليزية، دون شكٍّ. بل إن التأثير قد امتدَّ إلى قرَّاء ترجمة المعاني باللغة الفرنسية، عندما تبنَّى المستشرق البولوني ألبر كازميرسكي نقل ترجمة المعاني من اللغة الإنجليزية إلى اللغة الفرنسية (سنة ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠ -١٨٤١م)، بالأسلوب الذي ترجمها فيه جورج سيل، إذ (تعوزها بعض الأمانة العلمية)، كما يقول نجيب العقيقي[٤].

---

(١) ظ: المستشرقون والإسلام، إبراهيم اللبان: ٤٤.

(٢) جاءت ترجمات معاني القرآن الكريم التالية لجورج سيل في معظمها عالةً عليه، ومتأثِّرة به.

(٣) ظ: المستشرقون: ٢: ٤٧.

(٤) ظ: المستشرقون:٢: ٤٩٨ -٤٩٩.

هذه هي حال ترجمة معاني القرآن الكريم على أيدي غير أبنائه المنتمين إليه. يقول روم لاندو: (إننا لم نعرف إلى وقت قريب ترجمةً جيّدة استطاعت أن تتلقَّف من روح الوحي. والواقع أن كثيرًا من المترجمين الأوائل لم يعجزوا عن الاحتفاظ بجمال الأصل- فحسب- بل كانوا إلى ذلك مُفعمين بالحقد على الإسلام، إلى درجة جعلت ترجماتهم تنوء بالتحامُل. ولكن حتى أفضل ترجمة ممكنة للقرآن في شكل مكتوب لا تستطيع أن تحتفظ بإيقاع السور الموسيقي الآسر على الوجه الذي يرتِّلها به المسلم. ولا يستطيع الغربي أن يدرك شيئًا من روعة كلمات القرآن وقوَّتها إلا عندما يسمع (آيات) منه مرتَّلةً بلغته الأصلية)[1].

فـ(إن اعتراف روم لاندو ليعطي فهمًا مبدئيًّا بأن بعضًا من المستشرقين، عندما حاولوا ترجمة القرآن في أفضل ترجمة ممكنة، أفقدوا القرآن روعته، وأساؤوا إليه، سواء عن قصد أو عن غير قصد إننا نشير هنا إلى أن جولدزيهر قد تمسَّك بروايات شاذَّة جاء بها دليلاً وبرهانًا على أن القراءات السبع عندما نشأت كانت أصلاً عن طريق الكتابة وعدم نطقها. وقد علم المسلم -بما لا يدع مجالاً للشكِّ -أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد أقرأ صحابته بعدَّة وجوه، وليس بوجه واحد)[2].

---

(١) ظ: الإسلام والعرب، روم لاندو: ٣٧ ، نقلاً عن: الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين، مصطفى نصر المسلاتي: ٥٧ -٥٨.

(٢) الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين: ٥٨.

ويُعيد الدارسون ترجمةَ معاني القرآن الكريم، المتقدِّمة تاريخيًا، إلى دوافع تنصيرية بالدرجة الأولى، وهذا مبني على القول بأن الاستشراق قد انطلق من الدافع التنصيري، والديني بصورة أعم.

يقول يوهان فوك حول هذا الارتباط: (ولقد كانت فكرة التبشير هي الدافع الحقيقي خلف انشغال الكنيسة بترجمة القرآن واللغة العربية؛ فكلَّما تلاشى الأمل في تحقيق نصر نهائي بقوَّة السلاح، بدا واضحًا أن احتلال البقاع المقدَّسة لم يؤدِّ إلى ثني المسلمين عن دينهم، بقدر ما أدَّى إلى عكس ذلك، وهو تأثُّر المقاتلين الصليبيين بحضارة المسلمين وتقاليدهم ومعيشتهم في حلبات الفكر)(١).

ولا شك بارتباط ترجمات معاني القرآن الكريم بالتنصير(٢). وان حملات التبشير النصرانية كانت أحد أسباب بداية نشأة الاستشراق(٣). وترجمات معاني القرآن الكريم من قبل المستشرقين لم تلقَ إقبالاً إلا لدى الدوائر التنصيرية(٤). فالتنصير كان وراء ترجمة معاني القرآن الكريم، حيث انطلقت الترجمة في رحلتها الأولى والثانية من الأديرة، وعلى أيادي القسُس، وأن فكرة التنصير كانت وراء ترجمة معاني القرآن الكريم(٥).

---

(١) ظ: تاريخ حركة الاستشراق: ١٦ -١٧.
(٢) ظ: الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي، محمد ياسين عريبي: ١٤٤ -١٤٨.
(٣) ظ: تاريخ حركة ترجمة معاني القرآن الكريم من قبل المستشرقين ودوافعها، محمد حمادي الفقير التمسماني: ٥١ .
(٤) ظ: ترجمة معاني القرآن الكريم والمستشرقون، محمد مهر علي: ٥٠ .
(٥) ظ: مناهج المستشرقين في ترجمات معاني القرآن الكريم: دراسة تاريخية نقدية، عبد الراضي محمد: ٦٤ .

والأصل أن تكون هناك ترجمة واحدة معتمدة لمعاني القرآن الكريم لكلِّ لغة؛ قصدًا إلى الحيلولة دون الاختلاف في المعنى باختلاف اللفظ، وهذا يأتي في ضوء وجود أكثر من مئة وأربع وعشرين ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى لغات العالم بعضها مكرَّر في لغة واحدة، قام بها عدد من المستشرقين، وبعض المسلمين، كالإنجليزية، التي زادت عدد الترجمات بها عن ٢٠ ترجمة.

المبحث الرابع:
المستشرقون وترجمة معاني القرآن الكريم

لقد بذل الكثير مجهودات جبّارة نحو ترجمة القرآن الكريم إلى لغات متعددة لا تكاد تحصى ولا تعد، والمفروض ان يقوم بهذه الترجمة من يحمل حبا للقرآن الكريم ولكنه، فوقوع أغلاط في هذه الترجمات سينعكس انعكاسا سلبيا على بناء مجد الإسلام ويعد ذلك من الظواهر السيئة لزلزلة الوحدة الدينية واللغوية والاجتماعية للأمة الإسلامية. ولعل هذا وذاك هما الدافعان الحقيقيان لمنع المانعين من جواز ترجمة القرآن إلى لغة أخرى وقد ذكرت نقاط مهمة في المقام هي:

١- أن الوفاء بجميع المعاني وتضمين كل المقاصد في الآيات القرآنية أمر لا يمكن الوصول إليه عن طريق الترجمة، علما أن اللغة العربية في طبيعتها تدل ألفاظها على معان أصلية ومعان ثانوية ومن أبرز معالم القرآن أنه يغني بالكلمة عن العبارة وبالعبارة عن الجمل، ولم تكن مسألة اللفظ وحدها مميزة بما ذكرت، بل الحروف المستعملة في اللغة العربية لها أثرها في تعبير المعاني أو الزيادة عليها، وهذا ما قد لا نجده في بعض اللغات، فلئن كان المعنى الأصلي ممكنا في الترجمة فإن المعاني الثانوية لا يمكن الوصول إليها لأنها سر من أسرار إعجاز القرآن الكريم.

٢- أن الترجمة تفضي إلى ادعاء مثل (مثيل) للقرآن الكريم، مع أن الله تعالى قد تحدى العرب أن يأتوا بسورة من مثله.

٣- أن هذه الترجمات تصرف الناس عن القرآن نفسه وتشغلهم عن قراءته وتدبره، إذ إن قراءته بالعربية أمر تعبدي.

٤- تعلم اللغة العربية واجب لفهم الدين، فإن وجود هذه الترجمات سيبعد الناس عن اللغة العربية.

٥- إن القرآن هداية للناس إلى ما فيه سعادتهم في الدارين، فذلك باستنباط الأحكام والإرشادات منه. وهذا يرجع بعضه إلى المعاني الأصلية التي يشترك في تفاهمها وأدائها كل الناس، وتقوى عليها جميع اللغات، وهذا النوع من المعاني يمكن ترجمته واستفادة الأحكام منه، وبعض أخرى من الأحكام والإرشادات يستفاد من المعاني الثانوية وهذه المعاني الثانوية لازمة للقرآن الكريم وبدونها لا يكون قرآنا(١).

يؤكد معظم العلماء جواز ترجمة معاني القرآن الكريم -وليس ترجمة للقرآن الكريم- وعدم جواز أن تحل ترجمة لمعاني القرآن الكريم محلّ النص الموحى به من الله تعالى في أمور العبادة، كما هو الشأن عند غير المسلمين، ولا سيما أهل الكتاب، والسبب يكمن في أن القرآن الكريم وحي من الله تعالى.

إن الآراء والأدلة على جواز الترجمة قوية ومنطقية، فالعقول السليمة والبصائر المدركة تقرّ أن التبليغ لا يتم إلا بفقه القرآن وعلى هذا وضع العلماء شروطا يجبن ان تراعى عند ترجمة معاني القرآن الكريم:

---

(١) ظ: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان: ٣١٦-٣١٨.

١- النظر في شأن الخصائص التي توجد في اللغة العربية ولا تتحملها اللغة التي تترجم معاني القرآن إليها، مثل المعاني الثانوية التي تبحث عنها علوم البلاغة.

٢- أن يكون المترجم عالما باللغتين؛ المترجم منها والمترجم إليها، خبيرا بأسرارهما، يعلم جهة الوضع والأسلوب والدلالة لكل منهما.

٣- أن يكتب القرآن أولا بحروف عربية، ثم يأتي بعده بترجمته معانيه حتى لا يتوهم متوهم أنّ هذه الترجمة ترجمة حرفية.

٤- أن يكون المترجم بعيدا عن الميل إلى عقيدة زائفة تخالف ما جاء به القرآن الكريم.

٥- ربط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني ومنتظمة المباني.

٦- رفع النقاب عن جمال القرآن ومحاسنه لمن لم يستطع أن يراها بمنظار اللغة العربية من المسلمين وغير المسلمين الأعاجم، وتيسير فهمه عليهم بهذا النوع من الترجمة ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ويعظم تقديرهم للقرآن فيهتدوا بهديه.

٧- دفع الشبهات التي لفقها أعداء الإسلام وألصقوها بالقرآن وتفسيره كذبا وافتراء، مع تنوير غير المسلمين من الأجانب بحقائق الإسلام وتعاليمه (١).

(١) ظ: مباحث في علوم القرآن: ٣١٥.

ثم إن هذا بيان تقريبي بأهم الترجمات المعروفة للقرآن الكريم من قبل غير المسلمين:

في اللغة الألمانية	١٤ ترجمة
في اللغة الإنجليزية	١٠ ترجمات
في اللغة الإيطالية	١٠ ترجمات
في اللغة الروسية	١٠ ترجمات
في اللغة الفرنسية	٩ ترجمات
في اللغة الإسبانية	٩ ترجمات
في اللغة اللاتينية	٧ ترجمات
في اللغة الهولندية	٦ ترجمات

وقد حصى حتى الآن ترجمات للقرآن الكريم في مائة وإحدى وعشرين لغة في أنحاء العالم كله[١]. هذا بالإضافة إلى ترجمة الكثير من الكتب العربية واللاتينية إلى اللغات الأوروبية كافة. وإن أخطاء المترجمين ومقدماتهم وتعليقاتهم على هذه الترجمات إنما تجسيد حيّ لموقفهم المنحاز ضد القرآن الكريم ورسول الله منهم إما جهلاً، وإما تحريفاً، يترجمون العبارة القرآنية، واللفظ القرآني بألفاظ وعبارات تنحط بالعبارة عن رتبتها البلاغية الإعجازية، ونزل بها إلى مستوى بشري أو قريباً منه[٢].

فآفة المستشرقين أنهم يسوقون مجرد الاحتمالات العقلية مساق الحقائق المسلمة ويقيسون الماضي الذي لم يكن جزءاً من تاريخهم، وبالتالي لم يكن من

(١) ظ: الاستشراق والخلفية الفكرية: ٦٥.

(٢) ظ: القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي:٣٥٠.

مكونات ضمائرهم بمقياس حاضرهم مع تباين الزمان والمكان، والعقلية والروح، آية ذلك أنهم يغضون أبصارهم عن الطابع الميتافيزيقي الذي نشأت في ظله أحداث التاريخ القرآني على عهد النبوة[١].

(١) ظ: قضايا قرآنية، فضل عباس:١٨١.

المبحث الخامس:
المستشرقون ودراساتهم المتعددة حول جمع القرآن الكريم

هنا لا بدّ من ذكر جملة من المستشرقين الذين تطرقوا لموضوع جمع القرآن الكريم، وذلك لإفادة الباحثين في هذا الموضوع المهم جداً، وقد ذكرنا جملة منهم وليس كل من تناول هذا الموضوع، إذ أنّ (ما لا يدرك كلّه لا يترك جلّه).

١- المستشرق الألماني (غوستاف فيل)[1] في كتابه (مدخل تأريخي نقدي إلى القرآن) المطبوع سنة (١٨٤٤م)، إذ قد بدأ بمحاولة (تأريخ القرآن) سنة (١٨٤٤م)، ولم يتخذ صورته النهائية إلا سنة (١٨٧٢م) والتي لم يقم فيها وزناً للروايات والأسانيد الحديثية الإسلامية، والتي حظيت بتأييد (بلاشير) و(نولدكه).

٢- المستشرق الألماني (تيودور نولدكه)[2] في كتابه (تاريخ القرآن)والذي أتمّه بعده تلميذه (فريدريش شيفالي)[3].

يقول نولدكه: (عدا التدوين الذي كان محمد نفسه وراءه ربّما كانت هناك أيضاً عمليات تدوين أخرى تتفاوت في حجمها، قام بها مناصرون غيورون لتعليمه بأنفسهم أو أوكلوا بها آخرين. إلى جانب هذا، كان هناك الحفظ في

(١) غوستاف فيل (١٨٠٨ - ١٨٨٩م).
(٢) تيودور نولدكه (١٨٣٦ - ١٩٣٠م).
(٣) فريدريش شيفالي (١٨٦٣ - ١٩١٩م).

الذاكرة، الذي كان في وقت كانت القراءة والكتابة من الفنون النادرة ذا أهمية كبيرة)[١].

٣- المستشرق المجري(اجانتس جولدتسيهر)[٢] في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي)[٣].

٤- المستشرق الفرنسي (ريجيس بلاشير)[٤] في كتابه (القرآن)[٥].

٥- المستشرق الفرنسي (جان برتن) في كتابه (جمع القرآن) المطبوع عام (١٩٧٧م).

٦- المستشرق (الفونس منجانا)[٦]، والذي نشر كتاب باسم: (ترجمة سريانية قديمة للقرآن تعرض آيات جديدة واختلافات).

٧- المستشرق الفرنسي (باول كازانوفا)[٧].

٨- المستشرق الألماني (كارل بروكلمان)[٨] الذي تطرق لموضوع تاريخ القرآن في كتابه (تاريخ الأدب العربي)[٩]، في الفصل الثاني من الباب الثاني،

---

(١) تاريخ القرآن بتصحيح شيفالي:٢ : ٢٣٩.
(٢) جولدتسيهر (١٨٥٠ - ١٩٢١ م).
(٣) مذاهب التفسير الإسلامي: ٤.
(٤) بلاشير (١٩٠٠ - ١٩٧٣م).
(٥) والذي خصص فيه لتاريخ القرآن أربعة فصول من مجموعة سبعة، وهي على التوالي:
ـ المصحف بنيته وتكوينه.
ـ الرسالة القرآنية في مكة.
ـ رسالة القرآن في المدينة.
ـ الواقعة القرآنية وعلوم القرآن.
(٦) الفونس منجانا (١٨٨١ - ١٩٣٧م).
(٧) باول كازانوفا (١٨٦١ - ١٩٢٦م).
(٨) كارل بروكلمان (١٨٦٨ - ١٩٥٦م).
(٩) تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان: ١ : ١٣٧.

حيث درس الوحي والبيان القرآني ومن ثمة جمل القرآن المؤثرة وانتهى إلى تشبيه القرآن بسجع الكهان.

٩- المستشرق (أ. ت. ويلتش)[١].

١٠- المستشرق (غوستاف لوبون)[٢].

١١- المستشرق الفرنسي (هنري ماسيه)[٣].

١٢- المستشرق (آجنس سميث) والذي نشر بالتعاون مع (ألفونس منجانا) سنة (١٩١٤) كتاباً بعنوان (أوراق من ثلاثة مصاحف قديمة يمكن أن تكون سابقة للمصحف العثماني، مع قائمة بما فيها من اختلافات).

١٣- المستشرق الفرنسي (جاك بيرك)[٤].

١٤- المستشرق الانكليزي (آرثر جيفري)[٥].

١٥- المستشرق الانكليزي (جيمس دوغلاس بيرسون)[٦].

١٦- المستشرق البولوني (بيبرشتاي نكازيمرسكي)[٧].

١٧- المستشرق الفرنسي (سيمون جارغاي).

١٨- المستشرق الألماني (برجشتراسر)[٨] في كتابه (تاريخ القرآن).

١٩- المستشرق الألماني (بريتزل) في كتابه (تاريخ علم قراءة القرآن).

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية: ٤٠٤.

(٢) حضارة الإسلام: ١٢٠ - ١٢١.

(٣) هنري ماسيه (١٨٨٦ - ١٩٦٩م).

(٤) جاك بيرك (١٩١٠ - ١٩٩٥م).

(٥) آرثر جيفري (١٨٩٢ - ١٩٥٩م).

(٦) جيمس دوغلاس بيرسون (١٩١١ - ١٩٩٧م).

(٧) بيبرشتاي نكازيمرسكي (١٧٨٠ - ١٨٦٥م).

(٨) برجشتراسر (١٨٨٦ - ١٩٣٢م).

٢٠- المستشرق الألماني (كاله)[1] في بحثه (القرآن والعربية)، وهو بحث نشر في صحيفة دراسات الشرق الأدنى عام (١٩٤٩م).

٢١- المستشرق الاسكتلندي (ويليام موير)[2]، والذي قسم المراحل القرآنية إلى ست: خمس في مكة، وسادستها في المدينة[3].

٢٢- المستشرق الألماني (هوبرت جريم) في كتابه (محمد)[4].

---

(١) بول إيرنست كاله (١٨٧٥ -١٩٦٤م).

(٢) ويليم موير (١٨١٩ - ١٩٠٥م).

(٣) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية:١ : ١٧٦.

(٤) القرآن والمستشرقون، التهامي نقرة: ٢٧.

الفصل السادس

الوحي في الدراسات الاستشراقية

المبحث الأول:

المستشرقون والتشكيك بالوحي

إن الوحي هو تعبير عمّا يلقيه الله سبحانه وتعالى إلى نبي من أنبيائه: بواسطة ملك، أو بغير ذلك من وسائط الاتصال، لأجل تبليغ الرسالة الإلهية، ويسمى هذا الوحي بـ(الوحي الرسالي)، وقد ورد ذكره في أكثر من سبعين موضعاً من القرآن الكريم.

وتعتبر ظاهرة الوحي من أبرز سمات وميزات ومشخصات الأنبياء: التي يمتازون بها عن غيرهم، وحول ذلك يقول السيد الطباطبائي: (فكان 9 يرى شخص الملك، ويسمع صوت الوحي، لكن لا بهذه السمع والبصر الماديين، وإلا لكان أمراً مشتركاً بينه وبين غيره... فكان يأخذه بُرحاء الوحي، وهو بين الناس فيوحى إليه، ولا يشعر الآخرون الحاضرون)[1].

أما حول ألفاظ القرآن الكريم، وهل وردت بنفس المراد، واللفظ الإلهي، أم بلفظ الوحي، أم بلفظ النبي محمد 9؟

في الحقيقة لقد وردت العديد من الأقوال، والدعوات حول ذلك، والتي ذكرها الزركشي[2]، والسيوطي[3]، والسمرقندي، والجويني[4]، وقد ردّ الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني على هذه الدعوات بقوله: (وقد أسَفّ بعض

---

(١) تفسير الميزان: ١٥ : ٣٤٦.

(٢) البرهان: ١ : ٢٢٩ - ٢٣٠.

(٣) الإتقان: ١ : ١٢٦.

(٤) الإتقان: ١ : ١٢٧ - ١٢٨.

الناس فزعم أنّ جبرائيل كان ينزل على النبي ۹ بمعاني القرآن، والرسول يعبر عنها بلغة العرب. وزعم آخرون أنّ اللفظ لجبرائيل، وأن الله كان يوحي إليه المعنى فقط. وكلاهما قول باطل أثيم، مصادم لصريح الكتاب، والسنة، والإجماع، ولا يساوي قيمة المداد الذي يكتب به...)[(١)].

إنّ من أشهر المستشرقين الذين شككوا بالوحي على سبيل المثال: (هاملتون جب، وأميل درمنغام، وأدوارد مونتيه، وباول كازانوفا). ذلك ان استطلاع آراء المستشرقين في الوحي المحمدي يحددها النظر إلى بداية الصلة الثقافية بين الشرق والغرب، أو ما يعرف ببداية الاستشراق، وهي بداية دراسة الغربيين للغات الشرقيين وظروفهم العامة التي بدأت في إسبانيا، ثم انقطعت لسقوط غرناطة عام ١٤٩٢م، ثم عادت بعد توحيد الكنيستين الغربية والشرقية في القرن السادس عشر.

إن دراسات المستشرقين ومواقفهم من الوحي تأثرت بالفكرة التي رسختها الدراسات السابقة، من الطعن في الإسلام، واختلاق العيوب للنبي صلى الله عليه وسلم؛ إرضاء للشعوب الأوروبية التي كان يرضيها أن تسمع الشتائم عنه، فوصفوا النبي صلى الله عليه وسلم بأنه ساحر وخدَّاع وشهواني، وأنه عدو للمسيحية، منقادين إلى ذلك بمحض خيالهم، دون الرجوع إلى مصادر مكتوبة، أو اطلاع على دراسات سابقة حتى أصبحت هذه الدراسات مرتكزاً لهم، فأصبحت تمثل صخرة عاتية ليس من السهل أن تكسر[(٢)].

---

(١) مناهل العرفان: ١ : ٤٩.

(٢) الوحي المحمدي وآراء المستشرقين، عبد الجليل شلبي: ١٩٧ .

وحتى يتحقق لهم هذا الإنكار للوحي أصبحوا يرددون أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ما هو إلا إبداع ذاتي، أو إشراق روحي، أو إنجاز أدبي، أو مشروع محمدي، أو توصل فكري، أو إملاء إنساني. فإن من يناقش المستشرقين في موضوع الوحي يحتاج إلى صبر طويل.

أما نظرتهم حول مَنْ نزل عليه الوحي فإنها تتمثل في الآتي:

١ـ بعضهم عده قائدًا وزعيما فذًا.

٢ـ وبعضهم جعله في مصاف المصلحين الاجتماعيين.

٣ـ وبعضهم عدّه أحد عباقرة العالَم الذين يندر أن يحظى العالَم بمثلهم، وهؤلاء الأصناف الثلاثة يرتكز إنكارهم لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم على أساس ديني.

٤ـ قلة من أبرز شخصيته رسولاً.

٥ـ وأقل منهم من وصفه أنه نبي أوحي إليه بالإسلام.

٦ـ ومنهم من أنكر النبوة؛ لأنهم ينحون بتفكيرهم نحو المادية والعلمانية، فينكرون الوحي جملة وتفصيلاً.

المبحث الثاني:
أهداف المستشرقين من إنكارهم للوحي وآرائهم فيه

على الرغم من أن جمهرة من المستشرقين لا ينكرون الوحي في الواقع الإنساني لأنهم يصدقون بأنبياء التوراة والإنجيل، فهم إما يهود أو نصارى، وكل تفسير سلكوه لمفهوم الوحي عند محمد صلى الله عليه وسلم يمكن أن يفسّر به الوحي عند أنبيائهم الذين يعترفون هم بنبواتهم، إلا أن تعنتاً مبعثه التعصب الديني هو الذي جعلهم يفرقون بين أمرين متساويين تماماً، فيعترفون بأحدهما ويجحدون الآخر؛ عصبية عمياء.

إن غالبيتهم ينكرون أن يكون محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبيا أوحى الله إليه كتابه، بل تضاربت تفسيراتهم لهذه القضية الغيبية، وذهبت التخمينات في تحليلها مذاهب شتى، أجمعُها: رفض حدوث الوحي، وبث الشبهات حوله، زاعمين بأن الوحي والقرآن ما هو إلا مشروع محمدي، أو عمل من أعمال الشعوذة.

وكانوا يهدفون من إنكاره إلى:

١- الإيحاء بأن الإسلام ليس من عند الله، بل هو من أفكار محمد صلى الله عليه وآله وسلم التي تشبعت بالأفكار اليهودية والنصرانية.

٢- محو الشخصية الإسلامية.

٣- محاولة إيجاد جذور للنصوص الدينية الإسلامية من النصوص النصرانية واليهودية.

٤- التشكيك في النصوص وصحتها واستعمال الخلافات الفكرية أداةً للتشكيك.

أما مجمل آرائهم حول الوحي في:

١ـ اتهام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالكذب، وأنه افترى القرآن من عند نفسه.

٢ـ أن الوحي حالة نفسية (الوحي النفسي) أي: حديث النفس وإلهامها.

٣ـ أنه الانفعال العاطفي (النوبات الانفعالية).

٤ـ أنه عبارة عن التنويم الذاتي.

٥ـ أنه عبارة عن التجربة الذهنية.

٦ـ أنه من إملاءات الكهنة والمنجمين.

٧ـ أن ما جاء به إنما جمعه من البيئة المكية التي كانت تعج بالرهبان والقسيسين.

٨ـ أنه حالة مرضية كالصرع الهستيري.

٩ـ أنه كلام عربي نَظَمه محمد صلى الله عليه وآله وسلم شعراً.

١٠ـ كان محمد ساحراً لَبِقاً، والقرآن ما هو إلا سحر من كلامه.

١١ـ أن القرآن أساطير الأولين.

١٢ـ أن الديانة اليهودية والنصرانية كانتا الينبوع الذي استقى منه محمد صلى الله عليه وآله وسلم

١٣ـ أصل الديانة الإسلامية وفروعها.

١٤ـ أن عبقرية محمد، وحدَّة ذكائه، ونفاذ بصيرته، وشدة فطنته هي التي مكنته من وضع القرآن على هذه الهيئة.

١٥ـ كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم في أعلى حالات الصحة النفسية والجسمية والعقلية، وكان الوحي هو الحادثة الخالدة التي تجلت فيها رحمة الله بعباده.

١٦ـ لإنكار الوحي رأى مونتيه إرجاع القرآن إلى ثلاثة مصادر: يهودية، ونصرانية، ومصدر جاهلي أفاد منه محمد عن طريق الروايات الشفوية.

١٧ـ يرى المستشرق ساكاري أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قد أبدع في تأليف قرآنه، مستخدماً ما في البلاغة والشعر من ثروات فنية.

١٨ـ الوحي: عبارة عن حدس يتم فيه الإدراك المباشر.

١٩ـ الوحي: عبارة عن الإشراق الذي يتم فيه تحويل الأفكار بأكملها من شخص لآخر.

٢٠ـ أن نبوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليست وحياً، وإنما هي فكرة بشرية تتطور في نفس صاحبها.

٢١ـ أن الوحي عبارة عن مناجاة روح الخداع والحماسة التي لا تقطن السماء، وإنما تسكن عقلَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

٢٢ـ لا يكتفي غوستاف لوبون بإنكار الوحي، بل يتجاوز ذلك إلى اتهام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأنه مهووس بقوله: (وإذا عددت هوس محمد ككلٍّ مفتونٍ وجدته حصيفاً سليم الفكر)[1].

(١) ظ: حضارة العرب، غوستاف لوبون:١١١.

٢٣ـ أصحاب دائرة المعارف الإسلامية زعموا أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم اصطنع القصة التي تقول بأن الرسول السماوي (جبريل) يتحدث إلى الأنبياء، واعتقد أنه تلقى رسالته ووحيه منه.

٢٤ـ اتهام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأنه تلقى القرآن من عند غيره، وهذا الغير مختلف فيه:

أ ـ تارة يكون الحدادَ الرومي.

ب ـ تارة يكون بحيرا النصراني.

ج – تارة يكون ورقةَ بن نوفل.

د – تارة يكون اليهودَ والنصارى.

هـ – تارة يكون المؤمنين من أهل الكتاب.

وأسماء كثيرة جداً أوردها المشككون ذكرنا جملة منها في طيات البحث.

٢٥ـ لإنكار الوحي ذهبوا إلى أنّ الإسلام دين بشري من صنع عبقرية فردية، أو ظروف اجتماعية أو اقتصادية، ولإثبات ذلك اعتمدوا تفسيرات معينة تتمثل في:

أ ـ أنه تطوير لعبادة وثنية: منهج تاريخي.

ب ـ أنه ظاهرة تفسر في ضوء المتغيرات الاقتصادية.

ج– أنه وليد فئات بشرية مدينية متحررة.

د– أنه ظاهرة نفسية عبرت عن عظمة طموح فردي.

٢٦– استعمل المستشرقون مناهج متعددة في دراسة مسألة الوحي؛ لأنه بالنسبة لعلوم الروح كالرياضيات بالنسبة لعلوم الطبيعة.

٢٧- كما تعددت لدى المستشرقين الفروض المفسرة للدين فهو ظاهرة مصدرها اجتماعي أو نفسي.

٢٨- قالوا: إن كلمة الوحي لا تعني إلقاء النص من الله، بل تعني اقتراحاً أو إشارة أو التكلم الذهني.

٢٩- أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ليس رسولاً من عند الله، وإنما هو رجل ذكي أتى بنوادر الأعمال الإنسانية، ثم انتحل صفة الرسالة والرسول.

٣٠ – القرآن صياغة عربية جديدة لما ورد في التوراة والإنجيل، وليس وحياً من عند الله تعالى.

٣١ – شددوا في إنكارهم لعلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وشددوا على (أميته) بمعناها السلبي؛ لإثبات أنه نقل القرآن عن الديانات السابقة.

المبحث الثالث:

تصنيف آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي

إن المتأمل في آراء المستشرقين يتضح له اختلاف نظرتهم حوله، فالـذين يتشبثون بالماديات لا يرون إمكان الوحي، وبعض من يؤمن بوجود الله يبحث له عن مصادر استقى منها كل نبي معلوماته، ويرجعونها إلى تاريخ الأمـم الـتي اتصل بها كل نبي.

والبعض الآخر يثبته للأنبياء السابقين وينفيه عن نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ومنهم من يرى أنه إلهام يفـيض مـن نفـس المـوحى إليـه لا مـن الخارج، ومنهم من يرى أنـه يأتيـه مـن خـارج مـع اخـتلافهم في ذلـك الأمـر الخارجي.

وبناء عليه يمكن تصنيف آرائهم حول (مفهوم الـوحي) إلى أصـناف، كـل صنف يشتمل على مجموعة متماثلة ومتشابهة من الآراء، وسنتطرق للموضوع ضمن فقرتين مهمتين هما:

أولاً: إبطال الوحي ونفي الرسالة عن الرسـول الخـاتم بـدعوى تكـذيب الرسول، والادعاء بأنه افترى القرآن من عند نفسه:

فقد أنكر الغالبية العظمى مـن المستشـرقين النبـوة[1]، وشـككوا أن مُنَـزِّلَ القرآن هو الله سبحانه وتعالى، بل ادَّعَوا أن هذا الكتاب من وضع محمد صـلى

---

(١) ظ: الأدلة على صدق النبوة المحمدية ورد الشبهات عنها، هدى عبد الكريم مرعي: ٤٥٢.

الله عليه وآله وسلم بقولهم: (القرآن ليس من عند الله)[١] و(محمد هو الذي صنع القرآن)[٢] و(القرآن من عند محمد: من تأليفه)[٣].

ولما قيل لهم: كيف أتى محمد بهذا القرآن من عند نفسه، وأنتم تقرون أن أسلوب القرآن في الذروة من البلاغة، والفصاحة وعلو الأفكار، وقوة التعبير، فلا يوجد فيه لفظ ركيك، ولا فكرٌ سخيفٌ، بالإضافة إلى تناوله أكثر القضايا من العلوم والمعارف المختلفة في الماضي والحاضر والمستقبل؟

قالوا: إن محمداً كان عنده عبقرية خارقة، وحِدَّة في الذكاء، ونفاذ في البصيرة، كل ذلك مكَّنَه من وضع القرآن على هذه الطريقة.

ومنهم من قال: كان ساحراً لَبِقًا فجاء به، فما هو إلا سحر من كلامه.

ومنهم من قال: إنما جمعه من البيئة المكية التي كانت تعج بالرهبان والقسيسين.

ومنهم من قال: إنه كلام عربي نَظَمه محمد شعراً.

ومنهم من يرى أن إبداع محمد في تأليف القرآن يرجع إلى استخدامه ما في البلاغة والشعر من ثروات فنية.

وقالوا إن القرآن مقتبس من التوراة والإنجيل، فهاتان الديانتان كانتا الينبوع الذي استقى منه محمد أصل الديانة الإسلامية وفروعها، فأكثر القضايا الشرعية فيه مقتبسة من كتاب التوراة، وجميع القصص كذلك مقتبس من التوراة، فإذا أخرجنا ذلك منه لم يبق فيه إلا ما لا يستحق الذكر. كما وقالوا:

---

(١) ظ: دائرة المعارف الإسلامية: ٤/ ٢٤٤ في بحث التعريف بكلمة (الله) قدمه المستشرق ماكدونالد.

(٢) ظ: معالم تاريخ الإنسانية، هـ . ج . ويلز: ٣ :٦٢٦.

(٣) ظ: حضارة العرب، غوستاف لوبون:١١١.

إن الدعوة المحمدية كانت في العهد المكي كتابية إنجيلية توراتية مسيحية يهودية، وإن القرآن نسخة عربية من الكتب السماوية السابقة المنَزلة على الأنبياء السابقين، ومقتبس منها، وإنه كتاب توراتي إنجيلي يهودي نصراني في موضوعه ومصادره وقصصه وجدله[١].

يقول جولدتزيهر: (فتبشير النبي العربي، ليس إلا مزيجاً من معارف وآراء دينية عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها، والتي تأثر بها تأثراً عميقاً ورآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية حقيقية عند بني وطنه)[٢].

وقال كارل بروكلمان: (اقتبس النبي عن التوراة فكرة الخطيئة الأصلية. وإنما ترجع معتقداته فيما يتعلق بالعالم الآخر إلى مصادر يهودية)[٣].

ويقول غوستاف لوبون: (وإذا أرجعنا القرآن إلى أصوله أمكننا عدّ الإسلام صورة مختصرة عن النصرانية. . .)[٤].

ويقول ريتشارد: (إن الرسول صلى الله عليه وسلم استمد من الكتاب المقدس كثيرا مما جاء في القرآن وبخاصة القصص. . .)[٥].

وكثير من المستشرقين ذهب إلى هذا الرأي أمثال: دانييل، و س. جويتين، وأديسون، وتايلور، وجورج سيل[٦].

---

(١) ظ: الإسلام في مواجهة الاستشراق، عبد العظيم المصطفى: ٥٩٣، و القرآن والمستشرقون، محمد دروزة: ٩٤ .

(٢) أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين، شوقي أبو خليل: ١٧-١٨.

(٣) المرجع السابق: ١٨، نقلا عن تاريخ الشعوب الإسلامية: ٧٠.

(٤) حضارة العرب، غوستاف لوبون: ١٥٨.

(٥) التبشير والاستشراق، محمد عزت الطهطاوي:٤٧ .

(٦) ظ: الأدلة على صدق النبوة المحمدية، هدى مرعي:٤٦٤.

وخلاصة هذه الآراء: أن محمداً بعبقريته الفذة، وفطرته السليمة، كان المصدر الوحيد للقرآن، جاء به من عند نفسه، بطريق الإلهام، أو من تأثير البيئة التي نشأ فيها، وليس وحياً إلهياً من عند الله؛ اعتماداً على القول بعبقريته وصفاء نفسه[1]. إن هذه الدعوى التي تبنَّاها جمٌّ غفير من المستشرقين بتكذيب صاحب الرسالة وإلصاق كل التهم به، بأنه افترى القرآن من عند نفسه، آراء لا تستند إلى حجج ولا براهين ساطعة.

ثانياً: رد المستشرقين على هذه الآراء:

لقد رد عليها الخصوم قبل الأتباع، وإليك بعضاً من ردود المستشرقين على المستشرقين:

يقول المستشرق إدوارد مونتيه: (كان محمد نبيًّا بالمعنى الذي يعرفه العبرانيون القدماء، ولقد كان يدافع عن عقيدة خالصة لا صلة لها بالوثنية)[2].

ويقول: (كان محمد نبيًّا صادقاً، كما كان أنبياء بني إسرائيل في القديم، كان مثلهم يؤتى رؤيا ويوحَى إليه)[3].

كما تصدّت المستشرقة الإيطالية لورا فيشيا فاغليري للأقلام المغرضة ودافعت عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بتفنيد الأكاذيب التي كانت تشاع عنه في القرون الوسطى[4].

ومن جانبه أكد المستشرق جون وانتبورت أن الدراسات التاريخية تسقط كل الأكاذيب التي أشاعها أعداء الإسلام بقوله: (بقدر ما نرى صفة محمد

---

(١) ظ: الرسول في كتابات المستشرقين، نذير حمدان:١١.
(٢) المدينة الشرقية: ٤٧ نقلا عن: الرسول في الدراسات الاستشراقية:١١٧.
(٣) الوحي المحمدي:٤٥.
(٤) ظ: الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة، الشيباني: ٣٨٨.

الحقيقية بعين البصيرة والتروي في المصادر التاريخية الصحيحة...وقد جاء بشرع لا يسعنا أن نتهمه فيه)[١].

يقول المستشرق كارل هينرش بيكر[٢]: (لقد أخطأ من قال إن نبي العرب دجال أو ساحر؛ لأنه لم يفهم مبدأه السامي، إن محمداً جدير بالتقدير، ومبدأه حري بالاتباع، ليس لنا أن نحكم قبل أن نعلم، وإن محمداً خير رجل جاء إلى العالم بدين الهدى والكمال، كما أننا لا نرى أن الديانة الإسلامية بعيدة عن الديانة المسيحية)[٣].

وممن دحض هذه المزاعم: المستشرق الروسي جان ميكائيليس (١٧١٧م-١٧٩١م)، وكذلك المستشرق الفرنسي دينيه، كما اعترف بصدق رسالته وتأكيد نزول الوحي إليه كل من: توماس كارليل، ولامارتين، والكونت كاستري، والباحث الأوروبي سنكس، والفيلسوف الروسي تولستوي، والبروفيسور ليك، والإنجليزي توماس آرنولد.

ان هؤلاء وغيرهم من المستشرقين المنصفين كانت لهم اعترافات بنُزول الوحي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وصرحوا بصدق الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد دراسة عميقة، بعدل وإنصاف؛ لأنهم وجدوا في شخصه كل ما يدل على صدق نبوته وصحة رسالته، ثم قاموا بنشرها في بلادهم ضد مفاهيم مجتمعهم، على حساب مصالحهم الخاصة.

---

(١) ظ:الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة، الشيباني: ٣٨٨.

(٢) كارل هينرش بيكر، مؤسس مجلة العالم الإسلامي كان محباً للعروبة والإسلام (١٨٧٦-١٩٣٧م) من مصنفاته: الشرقيون.

(٣) الرسول في الدراسات الاستشراقية: ٣٩٤.

المبحث الرابع:

المستشرقون وآرائهم في الوحي

أولاً: المستشرقون ووصف الوحي بالظواهر النفسية

إن هذا الصنف من تفسير الوحي يعنى بـ (الوحي النفسي) مع الاضطراب في تحديده ويعنون به: أن القرآن فيض من خاطر محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو انطباع لإلهامه، أي أنه ناتج عن تأملاته الشخصية، وخواطره الفكرية وسبحاته الروحية[1].

كيف صوروا الوحي النفسي؟ ومن أين استنبطوا ذلك التصور؟

قالوا إنهم استنبطوه من تاريخ محمد وحالته النفسية والعقلية، وحالة قومه ووطنه، وما تصوروا أنه استفاده من أسفاره وخلواته وتحنثه وتفكيره، من كل ذلك نبع الوحي النفسي.

وبيان ذلك: أنهم يقولون إن عقل محمد الهيولاني[2] قد أدرك بنوره الذاتي بطلان ما كان عليه قومه من عبادة الأصنام، وأن فطرته الزكية قد احتقرت ما كانوا يتنافسون فيه من جمع الأموال بالربا والقمار، وأن فقره وفقر عمه قد حال دون انغماسه فيما كانوا يسرفون فيه من الاستمتاع بالشهوات[3]، فطال تفكيره في إنقاذهم من ذلك الشرك القبيح، وتطهيرهم من تلك الفواحش والمنكرات، فعكف على التأمل العميق فيما حوله من هذا الكون المحيط،

---

(١) ظ: الوحي القرآني، محمود ماضي:١٢٣.

(٢) يعرف هذا في عصرنا بالعقل الباطن.

(٣) ظ: الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا: ١٤٩.

منقطعاً إلى عبادة الله في غار حراء، حتى سما وجدانه واتسع محيط تفكيره، فاهتدى عقله الكبير إلى الآيات البينات في ملكوت السموات والأرض على وحدانية مبدع الوجود. . بما صار به أهلاً لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومازال يفكر ويتأمل وينفعل، حتى أيقن أنه هو النبي المنتظر الذي يبعثه الله لهداية البشر، فتجلى له هذا الاعتقاد في الرؤى المنامية، ثم قوي حتى صار يتمثل له الملك يلقنه الوحي في اليقظة[1].

وقد اضطربوا في تحديد حالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم النفسية التي صدر عنها القرآن، فاختلفوا في ذلك إلى أقوال متباينة[2] يمكن إجمالها في الآتي:

١- الإلهام السمعي.

٢- الانفعالات العاطفية.

٣- التنويم الذاتي.

٤- التجربة الذهنية.

٥- حالة الكهنة والمنجمين.

٦- حالة الصدع والهستيريا.

٧- حالة شعر أو جنون أو أضغاث أحلام.

إن ممن ذهب إلى القول بالوحي النفسي من المستشرقين: درمنغام جب، وجولدزيهر، وجوستاف لوبون، ومونتغمري واط، وغيرهم[3].

---

(١) ظ: الوحي المحمدي:١٤٩-١٥٠ باختصار، والوحي القرآني:١٢٤.

(٢) ظ: آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، عمر رضوان: ١ :٣٨١.

(٣) ظ: الأدلة على صدق النبوة المحمدية:٤٨٥، و الوحي المحمدي:١٣٧، والوحي القرآني:١٢٣، والنبأ العظيم:٨٤.

يقول مونتغمري واط: (ولا يلزم من صدق الإنسان أن يكون مصيباً فيما يقول، بل يمكن أن يكون صادقاً ومع ذلك مخطئاً، إذن محمد صلى الله عليه وسلم مخطئ في ظنه أن القرآن وحي يأتيه من الخارج بوساطة ملك، وإذن فالقرآن صدر من جهة من جهات نفسه، وتلك الجهة اللاشعور الجماعي)(١).

يقول غوستاف لوبون: (ويجب عدُّ محمدٍ صلى الله عليه وسلم من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية كأكبر مؤسسي الديانات...)(٢).

ويقول جولدزيهر: (ففي العصر المكي جاءت المواعظ التي قدَّم بها محمد الصورة التي أوجبتها إليه حميته الملتهبة في شكل وهمي خيالي حاد تلقائي ذاتي...)(٣).

أما المستشرق درمنغام ذهب يصور الحالة النفسية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أثناء تحنثه في غار حراء، والانطباعات النفسية التي تركتها مشاهداته وتأملاته، إلى أن قال: (فلما كانت سنة ٦١٠م كانت الحالة النفسية التي يعانيها محمد على أشدها... ووجد في وحدة غار حراء مسرة تزداد كل يوم عمقاً...)(٤).

يريد درمنغام أن يقرر أن القرآن فيض وجدان محمد صلى الله عليه وسلم وصورة من انطباع نفسه مما كان يدور حوله وأمام عينيه، والوحي في رأي هذا

---

(١) الأدلة على صدق النبوة المحمدية:٤٨٥، ومحمد في مكة، واط:٢٠٥.
(٢) المرجع السابق:٤٩٢، ومناهج المستشرقين:٢٩.
(٣) ظ: العقيدة والشريعة، جولدزيهر: ١٩.
(٤) ظ:الوحي القرآني: ١٢٣-١٢٤، والوحي المحمدي:١٠٩.

المستشرق ليس إلا وحياً من داخل نفس الرسول لا من مصدر خارجي، أي من العقل الباطن، لا من رب العالمين[١].

فأنزل النبوة منْزلة الهلوسة وحديث النفس وفق نظرية النبوة عند الإغريق، والمستشرق تبنى هذه الأفكار وأسقطها[٢] على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي تفسير الوحي بتأثير الانفعالات العاطفية كما يزعم ذلك نولدكه حيث يقول: (كانت نبوة محمد نابعة من الخيالات المنهجية والإلهامات المباشرة للحس، أكثر من أن تأتي من التفكير النابع من العقل الناضج).

ففسر المستشرقون ظاهرة الوحي تارة بسبب تأثير النوبات الانفعالية الطاغية التي كانت تسيطر عليه، كما فسَّرها بظاهرة التنويم الذاتي، والتي وصفها بالسبات الطبيعي الذي يعتري المرء[٣].

كما ويزعم (ريتشارد بل) و (مونتغمري واط) بأن الوحي عبارة عن تجربة ذهنية فكرية أدرك منها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما أدرك نتيجة قدرته

---

(١) ظ: الوحي القرآني: ١٢٤.

(٢) الإسقاط: هي حيلة لا شعورية تتلخص في أن ينسب الإنسان عيوبه ونقائصه، ورغباته المستكرهة التي لا يتعرف بها إلى غيره من الناس أو الأشياء أو الأقدار. . . وذلك تنْزيهاً لنفسه، وتخففاً مما يشعر به من القلق أو الخجل أو النقص أو الذنب (أحمد عزت راجح، أصول علم النفس: ٤٧٨) فكل الأكاذيب والشبهات والتشويه والدس والافتراءات التي وجهها المستشرقون إلى الدين الإسلامي خبثاً وحقداً ومكراً هي من قبيل الإسقاط المدروس والواعي (شوقي أبو خليل، أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين:١١).

(٣) المرجع السابق: ٣٨٩-٣٩٠.

على التركيز على مستوى تجريدي لا يطيقه غيره، فكان يختار ساعات الليل لصفائها[(١)].

إن المستشرقين كلما وضعوا أيديهم على رأي لم يطيقوا أن يثبتوا عليه طويلاً؛ لأنه لم يحقق لهم ما يريدون، فهم غير مطمئنين إلى رأي صالح يرضونه من بين آرائهم. لذلك يدلون بكل الفروض والتقارير التي يرون أنها تثير غباراً أو تزرع أشواكاً في طريق السائر إلى الهدى.

بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك عندما فسروا ظاهرة الوحي بأنها حالة صرع كانت تصيب محمداً، فيغيب عن الناس وعمَّا حوله، ويظل ملقى بين الجبال لمدة طويلة يسمع له غطيط كغطيط النائم، حتى قال نولدكه: (إن سبب الوحي النازل على محمد والدعوة التي قام بها هو ما كان ينتابه من داء الصرع)[(٢)].

ويقول جوستاف فيل في كتابه عن محمد النبي: (إن ما كان ينتاب الرسول مما يشبه الحمى، وما كان يسمعه من صوت كصلصلة الجرس ليس وحياً، وإنما هو نوبات صرع واضطرابات عصبية)[(٣)].

ويقول المستشرق سبرنجر عن حياة محمد وتعاليمه: (إن محمداً كان مصاباً بالصرع والهستيريا معاً)[(٤)].

إن الوقوف على حالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل البعثة وما كان يتمتع به من صدق وأمانة ليؤكد بطلان مزاعم المستشرقين في أنه جاء بالقرآن من وحي نفسه، وهذا ما أكده بعض المستشرقين أنفسهم، يقول المستشرق

---

(١) المرجع السابق: ٣٩١ .

(٢) حاضر العالم الإسلامي: ١ :٣٤ وأضواء على مواقف المستشرقين: ٦.

(٣) مدخل إلى القرآن: ريتشارد بل ومونتغمري واط: ١٧ .

(٤) رؤية إسلامية للاستشراق، أحمد غراب:٣٨ .

لوازون: (إن محمداً بلا التباس ولا نكران كان من النبيين والصديقين، وهو رسول الله القادر على كل شيء...)[١].

يقول المستشرق إدوارد مونتيه ، نافياً عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الوحي النفسي، والانفعالات، والتنويم، وحالات الصرع، ومثبتاً الوحي الصحيح والرؤيا السليمة والإلهام الصادق: (كان محمد نبياً صادقاً كما كان أنبياء بني إسرائيل في القديم، كان مثلهم يؤتى رؤيا ويوحى إليه، وكانت العقيدة الدينية وفكرة وجود الألوهية متمكنتين فيه كما كانتا متمكنتين في أولئك الأنبياء أسلافه...)[٢].

ويقول ماكس: (لقد أراد بعضهم أن يرى في محمد رجلاً مصاباً بمرض عصبي، ولكن تاريخ حياته من أوله إلى آخره ليس فيه شيء يدل على هذا، كما أن ما جاء به فيما بعد من أمور التشريع والإدارة يناقض هذا القول)[٣].

ويقول بلاتونوف: (وغاية ما نقدر أن نجزم به هو تبرئة محمد من الكذب والمرض)[٤].

فهذه أقوال وردود بعض من وصف ببعض الإنصاف من بني أولئك القوم، قالوا بها بعد أن ضاقوا ذرعاً بالأكاذيب والاتهامات التي وجهت إلى الحقائق الإسلامية الناصعة؛ لتزييفها وإسقاط منْزلتها بين الناس.

---

(١) الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة، الشيباني: ٤٠٠ – ٤٠١.
(٢) الوحي المحمدي:٩٤.
(٣)حاضر العالم الإسلامي: ١ :٤٠٣.
(٤) المرجع السابق: ١ :٤٠٣.

فلما عجزت عقول المستشرقين أن توصلهم إلى كنه ظاهرة الوحي[١] وحقائقه، أصبحوا يروّجون ـ باسم البحث العلمي ـ لما يعرف بالوحي النفسي، زاعمين أنهم جاؤوا برأي علمي جديد، وما هو بجديد بل هو الرأي الجاهلي القديم لا يختلف عنه، صوروا فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه ذو خيال واسع وإحساس عميق فهو إذاً شاعر، ثم قالوا: إنّ وجدانه يطغى كثيراً على حواسه حتى يخيل إليه أنه يرى ويسمع شخصاً يكلمه، وما ذاك الذي يراه ويسمعه إلا صورة أخيلته فهو إذاً الجنون أو أضغاث أحلام[٢].

إن دعوى المستشرقين هذه في الوحي النفسي تشاكل دعوى المشركين في اتهامهم الرسول بالجنون؛ لأن المشركين زعموا أن بعض الجن يتراءى له فيوهمه أنه رسول، والمستشرقون لم يبعدوا النجعة عن قولهم، والظاهر أنهم قد ولّدوا رأيهم من رأيهم ولم يختلفوا عنهم بشيء، فهؤلاء عبّروا حسب مفاهيمهم بـ(الوحي النفسي والرؤى والخيالات)، وأولئك عبروا وفق مفاهيمهم أيضاً بـ(الجن والشياطين) وكانوا يسمون التابع من الجن (رَئِيًّا).

ثانياً: المستشرقون وتفسير الوحي بالتفسيرات المادية

لم يفلح أصحاب الفكر المادي في استيعاب النبوة وفهمها حق الفهم؛ لأن الفهم يتطلب تجرداً من الميول المختلفة والقناعات السابقة، مع تطبيق منهج يستعد الباحث لقبول نتائجه أياً كانت، والماديون تصوروا أن الأنبياء (انبعثوا) ولم (يبعثوا) بتأثير وضغط الحاجة الفكرية والنفسية والاقتصادية التي عاناها أفراد مجتمعاتهم، وقد كان أولئك الأنبياء مرهفي الإحساس، شديدي الذكاء،

---

(١) ظ: آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره: ١ :٣٨١.

(٢) ظ: النبأ العظيم، محمد دراز: ٨٤.

قادرين على استغلال تلك الحاجة في النفوس بتحريك أصحابها وقيادتهم، ويرون أن دعوة الأنبياء جاءت نتيجة عاطفتهم الإنسانية أو ميلهم نحو الإصلاح.

يقول المستشرق الانكليزي توماس كارليل أثناء مدحه للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم : (القرآن لو تبصرون ما هو إلا جمرات ذاكيات قذفت بها نفس رجل كبير السن بعد أن أوقدتها الأفكار الطوال في الخلوات الصامتات، وكانت الخواطر تتراكم عليه بأسرع من لمح البصر وتتزاحم في صدره) إلى أن يقول: (وقد أتخيل روح محمد الحادة النارية، وهي تتململ طول الليل الساهر يطفو بها الوجد ويرسب، وتدور بها دوامات الفكر، حتى إذا أسفرت لها بارقة رأي حسبته نوراً هبط عليها من السماء وكل عزم مقدس يهم به يخاله جبريل ووحيه)(١).

لا شك أن هناك فروقاً واضحة بين الأنبياء والمصلحين: فالنبي: إنسان حر من بني آدم أوحى الله إليه بشرع وأمره بتبليغه، فهم جاؤوا بأفكار جديدة تخالف ما كان عليه ثقافة أقوامهم، وأتوا بقيم أخلاقية واجتماعية غير متأثرة بما كانت عليه أممهم، مما يدل على ربانية ما جاؤوا به من علم أو كتاب.

ولقد شهد آرنست رينان على تحامل أبناء قومه و ملته من المستشرقين على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ يقول : (لقد كتب المسيحيون تاريخاً غريباً عن محمد ... إنه تاريخ يمتلئ بالحقد و الكراهية له ، لقد ادعوا بأن محمداً كان يسجد لتمثال من الذهب كانت تخبئه الشياطين له ، و لقد

(١) الأبطال، توماس كارليل: ٨٥-٨٦.

وصمه دانتي بالإلحاد في رواية الجحيم ، و أصبح اسم محمد عنده ، و عند غيره مرادفاً لكلمة كافر أو زنديق ، و لقد كان محمد في نظر كتاب العصور الوسطى تارة ساحراً و تارة أخرى فاجراً شنيعاً و لصاً يسرق الإبل ، و كردينالاً لم يفلح في أن يصبح بابا فاخترع ديناً جديداً أسماه الإسلام لينتقم به من أعدائه ، و صارت سيرته رمزاً لكل الموبقات و موضوعاً لكل الحكايات الفظيعة)[1] .

لقد ظهر لكل منصف أن ما دعا إليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من الشعائر العبادية والقيم الأخلاقية، وقواعد السلوك لم يكن نابعاً من بيئته، بل كان غريباً عن ثقافتهم مبايناً لأعرافهم.

وإلى أحقية النبوة، ونبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يشير الإمام علي بن أبي طالب ٧ بقوله:((فاستودعهم - أي الأنبياء - في أفضل مستودع، وأقرهم في خير مستقر، تناسختهم كرائم الأصلاب إلى مطهرات الأرحام، كلما مضى منهم سلف قام منهم بدين الله خلف، حتى أفضت كرامة الله سبحانه وتعالى إلى محمد ٩ فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً، وأعزّ الأرومات مغرساً، من الشجرة التي صدع منها أنبياءه، وانتجب منها أمناءه، عترته خير العتر، وأسرته خير الأسر، وشجرته خير الشجر، نبتت في حرم، وبسقت في كرم، لها فروع طوال، وثمر لا ينال، فهو إمام من أتقى وبصيرة من اهتدى))[2].

---

(١) دراسات في التاريخ الديني ، آرنست رينان: ١٢٣.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: (٩٣).

كما قرره جعفر بن أبي طالب، أمام ملك الحبشة، مظهراً المفارقة بين مظاهر الواقع، ومعطيات الوحي، قال: (كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار... حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه... فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده...)[1].

فوصف الحالة التي كانوا يعيشونها، ثم بَيَّنَ صفات النبي الموحى إليه، ثم بين ما أمرهم به مما يخالف ما كانوا عليه، وما نهاهم عنه من الأوزار، ثم عدد أمور الإسلام الأخرى، ودل هذا على أن الوحي يأتي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من قِبَلِ الله؛ لإعادة الناس إلى فطرهم الأصلية التي انصرفوا عنها بفعل عوامل كثيرة اقترفوها مع عامل الزمن.

كما ويرى الماديون أنّ الوحي عبارة عن حدس، وتارة هو عبارة عن إشراق، ويرون مناقضته للوعي، ولا شك بأن الوحي يختلف عن هذه الأمور التي وصفوه بها.

لقد زعم برجسون أن الحس هو الوسيلة الوحيدة لإدراك الحقيقة، وادعى الماديون أن الحس أرقى أنواع المعرفة.

إن هذا الزعم تكذبه الآيات القرآنية التي ذكرت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوحى إليه، وكثير من الأحاديث بينت اتصال الرسول صلى الله

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، باب بيان أنّ فرض الزكاة كان قبل الهجرة: ٤/ ١٣-١٤ بالرقم ٢٢٦٠.

عليه وآله وسلم بالوحي كما قال عن نفسه صلوات الله عليه: ((وإنما الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي))[١].

أما الحسيون: فهم اصحاب الاتجاه يعد الخصم المألوف للاتجاه العقلي في مصدر المعرفة. والذي يصرح أتباعه بأن المصدر لكل معرفة هو (الحس). فإن النظرية الحسية هي النظرية القائلة: (إن الإحساس هو الممون الوحيد للذهن البشري بالتصورات والمعاني، والقوة الذهنية هي القوة العاكسة للإحساسات المختلفة في الذهن... وأما المعاني التي لا يمتد إليها الحس فلا يمكن للنفس ابتداعها و ابتكارها ذاتياً و بصورة مستقلة . و ليس للذهن بناءً على هذه النظرية إلا التصرف في صور المعاني المحسوسة، وذلك بالتركيب و التجزئة...)[٢].

في مقدمة فلاسفة هذا الاتجاه: (جون لوك)[٣]، و(ديفيد هيوم)[٤] فهم يعتبرون الحس، أو التجربة الحسية الطريق الوحيد للمعرفة، وحاولوا إرجاع جميع التصورات، والأفكار إلى الحس، منكرين أهمية المصادر الأخرى كـ(العقل) وبنوا وفق ذلك مذهبهم (التجريبي).

يقول (جون لوك): (لنفترض إذن أن الذهن على حد قولنا صفحة بيضاء خالية من جميع الحروف، و من دون أية أفكار ، فكيف يحدث أن يملأ ؟ و متى

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل: ١٠٨٤ بالرقم ٤٩٨١.

(٢) فلسفتنا ، السيد محمد باقر الصدر ، ص ٧٥ .

(٣) المشهور ان مؤسس المذهب الحسي هو (جون لوك) لكن الحقيقة انها نظرية قديمة و يعد أبيقور (٣٤٢ ـ ٢٧٠ ق م) من أوائل المعتقدين بها .

(٤) ديفيد هيوم : (١٧١١ ـ ١٧٦١ م) .

ينال بذلك المستودع الواسع الذي تطبعه فيه مخيلة الإنسان المشغولة التي لا حد لها بتنوع يكاد إلا تكون له نهاية ؟ على هذا أجيب بكلمة واحدة من - التجربة - من ذلك تتأسس جميع معارفنا، ومن ذلك تستمد ذاتها نهائياً)[١].

ويقول: (ولما كان العقل نفسه يتكون عن طريق الحس فإن الاحساسات هي المصدر النهائي للمعرفة)[٢].

و يقول الشيخ مرتضى المطهري منتقداً دعاة المذهب الحسي: (إن هؤلاء الذين ظهروا في القرن السابع عشر أنكروا قيمة البرهان القياسي العقلي ، و اعتبروا اسلوب التجربة الأسلوب الوحيد و السليم و المعتمد عليه في هذا المجال ، و تعتقد هذه المجموعة بعدم أصالة و تجذر الفلسفة النظرية العقلية المستقلة عن العلوم التجريبية ، و يعدون العلم ثمرة الحواس فقط ، و الحواس لا تتعلق إلا بظاهر و عوارض الطبيعة ، إذن لا اعتبار للمسائل الفلسفية الأولية ، و ذلك لأنها نظرية و عقلية بحتة و تتعلق بالأمور غير المحسوسة ، و لا يدرك الإنسان هذه المسائل نفياً أو إثباتاً)[٣].

كما يقول السيد الشهيد محمد باقر الصدر: (ويمكننا أن نوضح فشل النظرية الحسية في محاولة إرجاع جميع مفاهيم التصور البشري إلى الحس ، على ضوء دراسة عدة من مفاهيم الذهن البشري كالمفاهيم التالية : العلة و المعلول ، الجوهر و العرض ، الإمكان و الوجوب ، الوحدة و الكثرة ، الوجود و العدم ، و ما إلى ذلك من مفاهيم و تصورات)[٤].

---

(١) تاريخ الفلسفة الغربية ، برتراند رسلك ٣ ، ١٧٨ .

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرمك ٥٦ .

(٣) اصول الفلسفة و المنهج الواقعي ، الشيخ مرتضى المطهري: ١ ، ٦ .

(٤) فلسفتنا ، السيد محمد باقر الصدر: ٧٨ .

يؤكد على كل ذلك الإمام الصادق (عليه السلام) في كلامه مع أبي شاكر[١] إذ يقول: ((ذكرتَ الحواس الخمس و هي لا تنفع شيئاً بغير دليل ، كما لا يقطع الظلمةُ بغير مصباح))[٢] .

وبعد استعراض هذه الآراء ومناقشتها يتبين اتفاق غالب المستشرقين على هدف واحد، هو الوصول إلى ما يؤيد اعتقادهم بأن الإسلام دين بشرى من صنع عبقرية فردية أو ظروف اجتماعية أو اقتصادية، كل ذلك لرفض حدوث الوحي وبث الشبهات حوله.

---

(١) و هو أحد دعاة المادية في ذلك الزمان .

(٢) ميزان الحكمة ، الحديث ١١٨٨٦ ، توحيد الصدوق: ٢٩٣ .

الفصل السابع

دعاوى وشبهات استشراقية أثيرت على القرآن الكريم

المبحث الأول:
المستشرقون والقول بأن القرآن من وضع النبي محمد (ص)

منذ عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يزل النقاد من الكفار وغير المسلمين يكررون آراء مشركي مكة حيال القرآن الكريم، ومنذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي على الأخص، أخذ بعض علماء الغرب من المستشرقين يعيدون اعتراضات وافتراضات مماثلة حول القرآن، وذلك بحجج وادعاءات متنوعة، ورواد هؤلاء المستشرقين: سبرنجر، ووليم موير وثيودور نولدكه، واجانتس جولدتسيهر، وفلهاوزن، وليون كيتاني، مرجليوث.

وقد قام بتطوير آرائهم وتضخيم استنتاجاتهم آخرون تبعوهم في القرن العشرين الميلادي، وفي مقدمتهم ريتشارد بل وتلميذه وليم مونتغمري وات. وجميع هؤلاء المستشرقون يسعون بشتى الأساليب إلى الاستنتاج أن القرآن الكريم من تأليف محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ولكن في الربع الأخير من القرن العشرين الميلادي بدأ اتجاه جديد بين الجيل الجديد من المستشرقين الذين يقترحون أن القرآن ليس بتأليف محمد صلى الله عليه وآله وسلم فحسب، بل إنه اتخذ شكله الحالي تدريجيا عبر تطورات وتعديلات تمت في القرنين الأول والثاني من الهجرة ومن بين هؤلاء المحدثين ج. وانسبرو، و ج .أ. بيلامي، وأندرو ريبين.

وقد قام ببسط ادعاءاتهم وترويجها آخرون أمثال باتريشيا كرون ، ومايكل كوك ، وكينيث كراج ، وتوبي ليستر.

إن الذين يذهبون إلى أن القرآن الكريم من تأليف محمد صلى الله عليه وآله وسلم يركزون على الادعاءات التالية:

١ـ إن محمدا صلى الله عليه وسلم كان رجلا طموحا واتخذ خطوات مدروسة للدور الذي قام به فيما بعد(١)، وهو بالأخص كرس نفسه لفن الشعر ليستطيع نظم القرآن(٢).

٢ـ إنه لم يكن رجلا دون معرفة بالكتابة والقراءة كما يزعم المسلمون، وإن لفظ – الأمي- المنسوب إليه يعني شيئا آخر.(٣)

٣ـ إنه اقتبس الأفكار والقصص من اليهودية والنصرانية ثم ضمَّنها القرآن.(٤)

٤ـ إن كثيرا من الأخطاء العلمية المعاصرة، خصوصا تلك التي تتصل بالعالم والكون، معكوسة في القرآن، كما يوجد فيه العديد من العبارات

---

(١) W. Muir: Life of Mohamet, 3rd edition reprinted 1923, pp.25 - 26, D.S. Margoliouth: Mohammed and the Rise of Islam, London, 1905, pp.64-65, Montgomery Watt: Muhammad at Mecca, Oxford, 1960, p.39, and Muhammad's Mecca, Edinburgh, 1988, pp.50-51.

(٢) Margoliouth, op. cit, p.52-53, 60, Muir: op. cit. P.15

(٣) Watt: Muhammad's Mecca, p.52-53

(٤) Abraham Gelger: Judaism and Islam, Madras, 1898; Richard Bell: The Origin of Islam and its Christian Environment, London, 1926; C.C. Torrey: The Jewish Foundations of Islam, New York, 1933; A.I. Kash: Judaism in Islam, New York 1954

والمصطلحات الجارية والمفردات الأجنبية، وكل هذه تدل على أنه من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم.[١]

٥ـ إن كلمة –الوحي- لا تعني إلقاء النص من الله بل تعني اقتراحا أو إشارة (suggestion) أو - التكلم الذهني- (Intellectual Locution).[٢]

ويتضح مما سبق أن مزاعم المستشرقين لها جوانب متنوعة وأبعاد خطيرة، وأنهم لا يكفون عن محاولات النيل من القرآن، كما ويلاحظ ان المجموعة الأولى من ادعاءاتهم تتصل بسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كذلك، وعلى أية حال، فإنه لا يمكن استقصاء جميع أقوالهم في حدود بحث واحد فقط.

إن المستشرقين في ذلك على فريقين:

الفريق الأول: وهم المعتدلون في موقفهم من المصادر الإسلامية فيقبلون صحة عامتها، ولكنهم لا يهتمون بإسناد الروايات وغير ذلك من عوامل صحتها ويميلون إلى استخدام تلك الروايات التي تؤيد وجهات نظرهم بدون نقد أو اعتراض و ينتقدون تلك التي تتعارض مع آرائهم واتجاهاتهم.

---

(١) Watt: Muhammad's Mecca, pp. 45-46; C.C. Torrey: The Commercial Theological Terms of the Koran, Leiden, 1892; Arthur Jeffry: The Foreign Vocabulary of the Qur'an, Broda, 1938

(٢) Richard Bell: "Mohammed's Call", The Moslem World, January 1934, pp.13-19; Mohammed's Vision, ibid; Watt: Muhammad at Mecca, pp.52-58, and "The Islamic Revelation in the Modern World", Edinburgh, 1969.

والفريق الثاني: وهم المتطرفون في موقفهم من المصادر ويقولون إنها ليست معاصرة وقابلة للاعتماد عليها للتاريخ الإسلامي للقرنين الأول والثاني، وبالرغم من أن الكثيرين من الفريق الأول يقومون بدحض مزاعم الفريق الثاني في المصادر، وبالرغم من أن العلماء المسلمين أيضا يقومون بدحض هذه المزاعم، فإنهم أي الفريق الثاني، يصرون على موقفهم وذلك خصوصا من أجل النيل من القرآن.

أما بالنسبة للموقف من القرآن فإن الفريقين متساويان. فالفريق الأول يحاول بشتى الوسائل والحجج إثبات أن القرآن تأليف محمد٩ وأنه مقتبس من اليهودية والنصرانية والديانات القديمة الأخرى، والفريق الثاني يبني على هذه الاستنتاجات ومن ثم يذهب إلى أبعد الحدود ويقول إن المصادر التاريخية الإسلامية لا يمكن الاعتماد عليها للقرنين الأولين والقرآن ليس فقط من تأليف محمد صلى الله عليه وآله وسلم، بل إنه تطور عبر قرنين ثم اتخذ شكله الحالي في نهاية القرن الثاني أو بعده.

كما أن الفريقين يهدفان إلى جعل القرآن مساوياً لما يسمَّى بالكتاب المقدس من حيث التاريخ، أو كما يقولون : إن للقرآن تاريخاً كما للكتاب المقدس تاريخ.

إن جميع استنتاجات الفريقين فاسدة وباطلة، لكن المنتمين إليهما لا يشعرون بذلك، وفي الآونة الأخيرة كثفوا جهودهم في بسط آرائهم وترويجها

فيقومون بإعادة طبع كتابات المستشرقين القدماء في هذا الموضوع من ناحية[١] وفي إعداد منشورات جديدة أخرى من ناحية ثانية.

يخبرنا توبي ليستر أن المستشرقين الأوروبيين والأمريكيين قد تبنوا مشروعا لإعداد ما يسمونه بـ(الموسوعة القرآنية)، والتي ستتضمن جميع ما توصل إليه علماء الغرب في القرن المنصرم في الدراسات القرآنية[٢].

---

(١) Andrew Rippin (ed): The Qur'an, Formative Interpretation, Ashgate Publishing, Aldershot, 1999; and Ibn Warraq (ed): The Origin of the Koran, New York, 1998

(٢) The Atlantic Monthly, January 1999, p.30

المبحث الثاني:
المستشرقون وفرية أخذ القرآن من اللغات والثقافات الأخرى

توجّه عدد من المستشرقين نحو دراسة متخصصة عن القرآن الكريم، لا سيما ما يتعلّق منه بالتشريعات المختلفة، فوجدوها نظاماً كامل البنيان، ثابت الأركان، قوي الحجّة والبرهان. فحينئذٍ -من منطلق النظرة الدونية لشعوب الشرق عامةً، والمسلمين منهم خاصةً- قرّروا دون تردّدٍ أنّ هذا البنيان الفقهي المحكَم لا بد أن يكون ثمة مؤثرات خارجية، منها قد استُمدّ، وإليها يستند. حتّى شككوا في اسم (القرآن) نفسه؛ فزعموا أنّه ذو أصل عبراني، وأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كاد أن يكون يهودياً[1].

ثم وجدوا أنفسهم في حيرة من تحديد المصدر أو المصادر الخارجية المزعومة لهذه التشريعات القرآنية، فصاروا في ذلك فرقاً وأحزاباً، كل حزبٍ بما لديهم فرحون.

إلاّ أنّهم وإن اختلفوا في تحديد ما يزعمونه مصدراً للقرآن الكريم وما تضمّنه من التشريعات، فقد اتّفقوا جميعاً على إنكار المصدر الإلهي له. وكان المتطرفون منهم ينسبون ما جاء في القرآن الكريم إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم صراحةً، بنحو قولهم: (قال محمد في القرآن)[2]. وآخرون يؤْثرون اللجوء إلى أساليب المكر والخداع، وسرعان ما يكتشف أي متأمل للنصوص

(١) Katsh, Abraham, Judaism in Islam, pp. xviii, xxv.

(٢) وهذه العبارة موجودة في مواضع كثيرة من دائرة المعارف اليهودية (Encyclopedia Judaica) وغيرها.

وفحواها أنّ ما يرمي إليه هؤلاء لا يختلف في شيءٍ عما يقصده أولئك. ومن ذلك ما صرّح به وليام مونتغمري وات من أنّه يتعمّد استخدام عبارة (قال أوْ يقول القرآن) بهدف تجنّب البتّ في مسألة كون القرآن كلامَ الله أو أنَّه ليس كذلك، وذلك ما توحي به عبارتا: (قال الله)، أو (قال محمد)[١].

نعم، يمكننا أن نشير إلى بعض الأبحاث المهمة بهذا الصدد والتي ألفها المستشرقون لتأييد مدعياتهم، وهي:

١ـ المحاضرة التي ألقاها المستشرق الألماني (برجشتراسر)[٢] في الجامعة المصرية عام (١٩٢٩م) والتي تحدث فيها عن أن العربية أخذت من اللغات الأجنبية، وورد الكثير منها في القرآن الكريم، وتحدث عن قضايا تتعلق بنحو اللغات السامية، وخص باباً للمفردات، وقد جعله لمناقشة الدخيل في العربية من مجموع لغات (فارسية، وحبشية، وآرامية، وأكدية، ويونانية، ولاتينية). ويمكن مراجعة كتابه الذي يحمل عنوان (التطور النحوي)[٣] لمراجعة (الدخيل) كما يسميه[٤].

٢ـ ما أورده المستشرق الألماني (تيودور نولدكه) في كتابه (تاريخ القرآن)[٥] بتعديل (فريدريش شيفالي)[٦] فقد أورد أن عدداً من ألفاظ القرآن ليست عربية أصيلة، بل هي دخيلة من إحدى اللغات القديمة.

(١) Watt, W. Montgomery: Muhammad at Mecca, p. x

(٢) ج. برجشتراسر (١٨٨٦ - ١٩٣٢م).

(٣) التطور النحوي: ٢٢١ - ٢٢٨، ترجمة: رمضان عبد التواب.

(٤) هل في القرآن أعجمي، فهمي خشيم: ١٣.

(٥) تاريخ القرآن، تعريب: جورج تامر.

(٦) فريدريش شيفالي: تلميذ نولدكه.

٣ـ في بحث تحت عنوان (التأثير السرياني على أسلوب القرآن)، نشرة (رينالدز)، سنة (١٩٢٧م) يشير الكاتب المسيحي الكلداني (ألفونس منجانا)[١] الحائز على شهادة الدكتوراه في اللاهوت إلى تأثر القرآن الكريم باللغة السريانية في عدة جوانب أوردها في بحثه سالف الذكر.

ويذكر (منجانا) أمثلة على هذا التأثير كـ(أسماء الأعلام[٢]، والمصطلحات الدينية[٣]، والكلمات العامة[٤]، وقواعد الإملاء[٥]، وتركيب الجمل، وبعض القصص).

٤ـ ادعاءات (كريستوفر لوكسمبورغ)[٦] المختص باللغات السامية القديمة في كتابه (القراءة السريانية للقرآن) أو (قراءة سريانية آرامية للقرآن: مساهمة في تحليل لغة القرآن) إذ يرى: أن (للقرآن جذوراً سريانية، ويجب قراءة القرآن عبر اللغة التي ولد فيها)[٧].

---

(١) ألفونس منجانا، أو منغنا، لاهوتي كلداني، ولد باسم هرمز منغنا في شرانش قرب زاخو بالعراق سنة (١٨٧٨م)، درس في دير الاباء الدومينكان بالموصل، درس السريانية والعربية والتركية والفارسية والكردية والعبرية واللاتينية والفرنسية، هاجر إلى المملكة المتحدة سنة (١٩١٣م) وعاش فيها إلى حين وفاته سنة (١٩٣٧م).

(٢) مثل سليمان، وفرعون، وإسحق وغيرها.

(٣) مثل كاهن، ومسيح، وقسيس.

(٤) مثل قرآن، وحسبان، ومهيمن.

(٥) مثل حيوة من حياة، وصلوة من صلاة وهكذا.

(٦) وعلى الأكثر أنّ اسم (كريستوفر لوكسمبورغ) هو اسم مستعار، كما وأنّه ليس ألماني كما يدعي أو يشاع، بل هو لبناني الأصل، وهو صديق (جوزيف قزي) ولهما مشروع مشترك في الردّ على القرآن الكريم، كما وأنّه من أصدقاء وأساتذة (لويس صليبا). وظاهرة الأسماء المستعارة شاعت في السنوات الأخيرة لدى المتهجمين على القرآن الكريم، ومردّها إلى الخوف على (المؤلف الحقيقي) من ردّة الفعل ضدّهم لتطاولهم على الثوابت الإسلامية.

(٧) جريدة القاهرة، العدد ٢٦٣، الثلاثاء ٢٦ أبريل ٢٠٠٥م.

٥ـ ما كتبه (ريتشارد بيل)تحت عنوان: (أصل الإسلام في بيئته المسيحية)، طبعة لندن سنة (١٩٢٦م)، وأعيد طبعه سنة (١٩٦٨م).

٦ـ ما كتبه (تور أندريا)تحت عنوان: (أصل الإسلام والمسيحية)، طبعة أوبسلو سنة (١٩٢٦م).

٧ـ كتاب الحاخام اليهودي (إبرهام جيجر): في (ماذا أخذ محمد من النصوص اليهودية)، طبعة مدينة (بون)،سنة (١٨٣٣م)، والطبعة الثانية في ليبزج (١٩٠٢م)، وأعيد طبعه عام (١٩٦٩م).

٨ ـ مقالة(العناصر اليهودية في القرآن)، للمستشرق (هرشفيلد)، منشورات (برلين) سنة (١٨٧٨م)، وله مقالة أخرى (في شرح القرآن) ليبزج (١٨٨٦م)، وأبحاث جديدة في فهم وتفسير القرآن، لندن (١٩٠٢م).

٩ـ ما كتبه (سيدرسكي) تحت عنوان: (أصل الأساطير الإسلامية في القرآن)، باريس، سنة (١٩٣٢م).

١٠ـ ما كتبه (سبرنجر) تحت عنوان: (قصص الإنجيل في القرآن)، باريس، الطبعة الخامسة، برلين - ألمانيا، سنة (١٩٢٩م).

١١ـ بحث (هورفيتز) في: (الأسماء اليهودية ومشتقاتها في القرآن)، الذي نشر في حوليات الكلية العبرية، المجلد الحادي عشر، سنة (١٩٢٥م)، صفحة (١٤٥ - ٢٢٧)، والتي ذكر فيها العديد من الكلمات ليثبت أنها كلمات مشتقة من العبرية، وأن محمداً تعلمها من اليهود في مكة، وخاصة يهود المدينة[1]. كما وله (بحوث قرآنية)، برلين - ليبزج (١٩٢٦م).

---

(١) دفاع عن القرآن ضد منتقديه، عبد الرحمن بدوي: ٣٨.

١٢ـ ما كتبه (إسرائيل شابيرو)تحت عنوان: (الحكايات التوراتية في أجزاء القرآن)، برلين سنة (١٩٠٧م). وله (عناصر الهجادة في قصص القرآن) ليبزج (١٩٠٧م).

١٣ـ ما كتبه (آرثر جيفري)[(١)] تحت عنوان: (الكلمات الأجنبية في القرآن)، منشورات المعهد الشرقي، باردوا، سنة (١٩٣٨م).

١٤ـ ما كتبه (دفوراك)تحت عنوان: (حول الكلمات الأجنبية في القرآن)، منشورات فيينا، سنة (١٨٨٥م).

١٥ـ ما كتبه (س. فرنكل)تحت عنوان: (الكلمات الأجنبية الآرامية في اللغة العربية)، منشورات ليدن، سنة (١٨٨٦م).

١٦ـ المستشرق الألماني (اوغست فيشر)[(٢)] والذي طرد من عضوية المجمع اللغوي سنة (١٩٤٥م) لأنّه كتب رسالة بعنوان (آية مقحمة في القرآن)، كما ادعى أن الاسم (محمد) كان يستعمل بين البيزنطيين قبل الإسلام، وليس أقل غرابة ولا أبعد في المبالغة من زعمه أن سكان مكة، والمدينة، وأجزاء من الأماكن المحيطة بهما، قد تخلوا عن استعمال الإعراب في زمن النبي ﷺ وبعده.

١٧ـ المستشرق الفرنسي (بلاشير)[(٣)] والذي يزعم بأن فقرة (الغرانيق) المزعومة من صميم القرآن، وأن القرآن قد تعرضت أجزاء منه للضياع سواء

---

(١) آرثر جيفري (١٨٩٢ - ١٩٥٩م) من محرري مجلة العالم الإسلامي التبشيرية وأبرز كتّابها، وقد بعث للعمل في الجامعة الأمريكية في بيروت، ثمَّ للتبشير في أمريكا اللاتينية، ثمَّ إلى مدرسة اللغات الشرقية بالقاهرة. له عدة جدليات ضد القرآن نشر بعضها في مجلة العالم الإسلامي (١٩٣٥م)، ونشر بعضها في كتابه (مصادر تاريخ القرآن) وأودع بقيتها في مقدمة تحقيقه لكتاب المصاحف لأبي بكر بن أبي داود.

(٢) اوغست فيشر (١٨٦٥ - ١٩٤٨م).

(٣) بلاشير (١٩٠٠ - ١٩٧٠م).

المحفوظ منها في الذواكر، أم المسطور منها في الدفاتر. ويردد بلاشير دعوى المستشرق اليهودي (إبرهام جيجر) وغيره، بأن القرآن مأخوذ من مصادر يهودية ونصرانية.

١٨ـ المستشرق (ألفريد جيوم)(١) الحاصل على عضوية المجمع العلمي العربي بدمشق عام (١٩٤٨م)، والمجمع العلمي العراقي عام (١٩٤٩م) والذي قدم دراسات قامت على أساس (بشرية القرآن)، وانتحال النبي محمد ﷺ مادة القرآن من اليهودية والنصرانية، وأخطر ما كتب هذا المستشرق كتابيه (حياة محمد) أكسفورد (١٩٥٦م)، وكتاب (الإسلام) عام (١٩٥٤م).

١٩ـ كتاب (دراسات قرآنية: مصادر الكتب المقدسة وطرق تفسيرها)(٢) للمستشرق الأمريكي (جون وانسبرو)(٣) صاحب نظرية: (أنّ القرآن لم ينتج بمكة)(٤).

٢٠ـ كتاب (هل القرآن معصوم؟) المنسوب إلى رجل دين نصراني يدعى (عبد الله الفاني)، والظاهر أن هذا الاسم مستعار، وصدر الكتاب عن مؤسسة تنصيرية في النمسا، اسمها (ضوء الحياة)، وظهرت طبعته الأولى عام (١٩٩٤م)، تكفلت بتوزيعه هيئات ومراكز التبشير النصرانية.

---

(١) الفريد جيوم (١٨٨٨ - ١٩٦٦م).

(٢) طبعة اكسفورد (١٩٧٧م).

(٣) جون وانسبرو (١٩٢٨ - ٢٠٠٢م).

(٤) موسوعة بيان الإسلام: الردّ على الافتراءات والشبهات، القسم الأول، القرآن، مجلد ١، ١ : ٤٧.

٢١ــ كتاب (القرآن دعوة نصرانية) للقس المسيحي (يوسف درة الحداد)[١].

٢٢ـ كتاب (قس ونبي: بحث في نشأة الإسلام) لمؤلفٍ أسمه (أبو موسى الحريري)[٢]، ويبدو أن هذا الاسم مستعار أيضاً.

وللاطلاع على المزيد من هذه الادعاءات يمكن الرجوع إلى أقوال، ونظريات، وآراء كلُ من (ابن العبري)[٣]، و(فيليب حتى)[٤]، و(كارل إيرنست)، و(ميخائيل برائر)، و(ايتان كولبرج)[٥]، والمستشرق (ريتشارد بيل) في كتابه (أصل القرآن في بيئته المسيحية) الذي طبع في لندن عام (١٩٢٦م)، و(سانت كلير تسدال)[٦] الذي كان قسيس مبشر في إيران، والذي صنف كتاباً كتاباً خطيراً على القرآن هو (المصادر الأصلية للقرآن) كما وكتب في عام (١٩١٣م) مقالاً بعنوان: (إضافات الشيعة على القرآن)، واليهودي (إبرهام جيجر)، و(كريستي ويلسون)، و(ريكولدو ديمونتو كروس)[٧] صاحب كتاب

---

(١) قس مسيحي سوري (١٩١٣ - ١٩٧٩م).

(٢) وهو اسم مستعار للقس المسيحي (جوزيف قزي).

(٣) غريغوريوس أبو الفرج بن هارون الملطي والمعروف بـ(ابن العبري)، لاهوتي سرياني ولد سنة (١٢٢٦م) في مدينة ملاطية، لقب بابن العبري على قول أنّه من أصل عبري يهودي، مات سنة (١٢٨٦م) ودفن في دير متي للسريان الأرثوذكس بالموصل العراق.

(٤) فيليب حتى أو حتي: (١٨٨٦ - ١٩٧٨) مؤرخ أمريكي مسيحي من أصل لبناني، فهو يقول: إنّ مصادر القرآن هي بلا شك: المسيحية واليهودية والوثنية العربية.

(٥) ايتان كولبرج (١٩٤٣ -.... م) باحث يهودي إسرائيلي.

(٦) سانت كلير تسدال (١٨٥٩ - ١٩٢٨م).

(٧) ريكولدو ديمونتو كروس (١٢٤٣ - ١٣٢٠م) راهب دومنيكي ومبشر شديد الخصومة على على الإسلام. لقد استفاد ريكولدو دي مونت كروس من كتاب (نقض الفقهاء) لأحد النصارى الإسبان والذي كان له التأثير الكبير عليه، وقد أفاد كروس من هذا الكتاب في

(تفنيد آيات القرآن) ، والكاردينال (نيقولا دي كوزا)[١] والذي كتب بتوجيه من البابا (بيوس الثاني) كتابين هما: نقد وتفنيد الإسلام، وكتاب غربلة القرآن[٢]، وميشيل نان في كتابه (الكنيسة الرومانية اليونانية في الشكل والمضمون للدين المسيحي ضد القرآن والقرآنيين دفاعاً وبرهاناً) عام (١٦٨٠م)، و(لودو فيجو مرتشي) في كتابه (مقدمة في دحض القرآن) عام (١٦٩٨م)، ووليم موير[٣] في كتابيه (القرآن: تأليفه وتعاليمه١٨٧٧م) و(الجدال مع الإسلام ١٨٩٧م)[٤]، وغيرهم.

وكذلك نجدها في آراء (جوزف شاخت)[٥] الذي يقول: (إنّ محمداً قد ظهر في مكة كمصلح ديني، وإنه احتج بشدة على كفار مكة، وأهل مكة اعتبروه مجرد كاهن، أو عراف، وأنه بسبب قوة شخصيته قد دُعِي إلى المدينة في عام (٦٢٢م) كحكم في نزاع قبلي بين أهل المدينة، وأنه كالنبي قد أصبح قائداً ومشرعاً، يحكم مجتمعاً جديداً على أساس ديني، وإن محمداً قد اقتبس من اليهود في المدينة كثيراً من الأحكام، وإن روايات جمع القرآن ملفقة، لفَّقَهَا

تصنيف أشهر كتبه (تفنيد القرآن) الذي تُيم به مارتن لوثر وسارع إلى ترجمته للألمانية عام (١٥٤٢م). راجع: الاستشراق به الموضوعية والافتعالية، قاسم السامرائي: ٦١.

(١) نيقولا دي كوزا (١٤٠١ – ١٤٦٤م).

(٢) دفاع عن القرآن، بدوي: ٥.

(٣) وليم موير (١٨١٩ – ١٩٠٥م).

(٤) موسوعة المستشرقين، بدوي: ٤٠٤ – ٤٠٥.

(٥) جوزف شاخت (١٩٠٢ – ١٩٦٩م) باحث ألماني في الدراسات العربية، أثار شاخت حفيظة المسلمين لأنّه يشكك في صحة الأحاديث النبوية، ويرى أنّها وضعت أو لفقت خلال الفترة الممتدة بين نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث الهجري، وقد تابع في ذلك أستاذه (جولدتسيهر) في ادعاء تلفيق الأحاديث النبوية، وصرح شاخت بأن ذلك استفاده من كتاب (دراسات محمدية) لأستاذه.

الفقهاء، وأصول الفقه وكذلك التشريعات الإسلامية منتحلة من القانون الروماني، والقانون البيزنطي، وقوانين الكنائس الشرقية، ومن التعاليم التلمودية، وأقوال الأحبار، ومن القانون الساساني. كل هذه القوانين والتعاليم والقواعد تَشَكَّلَ منها القانون الديني للإسلام)[١].

هذه الأقوال - المتقدمة. وما شاكلها بنيت على ادعاءات واهية، وروايات ضعيفة[٢]، ومدخولات دخلت إلى الدين الإسلامي من الإسرائيليات وغيرها[٣].

فـ(منهج الأثر والتأثر) على سبيل المثال من المناهج التي نادى بها المستشرقون ومن سبقهم من أعداء الإسلام، ومن جاء بعدهم، ومن اصطبغ بصبغتهم[٤]، فهم قد نادوا بهذه النظرية ليقولوا بأن القرآن مستمد من عوامل خارجية، منطلقين بهذه الفكرة مما تعرضت له كتبهم، فمن المعلوم بأن المؤثرات الخارجية كالبابلية، والآشورية، والغنوصية، والهندوسية، والبوذية، وغيرها كان لها الأثر الكبير في تكوين ما يسمى بالنص الديني في كتب العهدين، فجاءوا بهذه الإسقاطات ليسقطوها على القرآن الكريم تعمداً وجهلاً وعداوة.

---

(١) مقدمة للشريعة الإسلامية: ٢٠ - ٢١، نقلاً عن كتاب: القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي. حاشية: ١٠٣.

(٢) فالقول بأن القرآن الكريم يشتمل على كلمات غير عربية منسوب إلى: عبد الله بن عباس (ت٦٨ هـ)، وعكرمة (ت١٠٥هـ)، وأبي موسى الأشعري (ت٤٢هـ)، وإلى ذلك ذهب الزركشي (ت٧٩٤هـ) في كتابه البرهان الجزء الأول: ٢٨٨ - ٢٨٩)، والسيوطي (ت٩١١هـ) في الإتقان الجزء الأول: ١٤٠ - ١٤١.

(٣) كعمليات الوضع التي قام بها السلاطين ووعاظهم لغايات خاصة.

(٤) أمثال: عبد الله الغروي، وعبد الكريم سروش.

وهنا نجد أنّ الكاتب (بيري) يشير إلى حقيقة الديانة المسيحية بقوله: (فالذي يدرس...المسيحية يجدها اقتباسات من الوثنية، واليهودية، والحياة الشرقية، والرومانية، ويجد بها عناصر أجنبية كثيرة بارزة بها كاملة أو محرفة)[١].

إن دعوى تشابه الحروف المقطعة مع الرموز اليهودية والنصرانية دعوى ليست بالجديدة، فقد أثار هذه الدعوة أعداء الإسلام، وركز عليها المستشرقون، هدفهم من وراء ذلك التشكيك بالقرآن الكريم.

يقول محمد عبد العظيم الزرقاني[٢] : (وستجد أنّه لا نسبة بين الرموز التي في أوائل السور وبين الجمل عند اليهود ورموز النصارى إلا كالنسبة بين علم الرجل العاقل والصبي، أو بين علم العلماء وعلم العامة... إنّ اليهود والنصارى كان لهم رموز، وكانت رموز اليهود هي حروف الجمل)[٣].

فعن صيغة (البسملة) في أوائل السور - مثلاً - يورد (نولدكه) في كتابه (تاريخ القرآن)[٤]: (أن الصيغة التي تبدأ بها كل سورة في القرآن فيما عدا سورة براءة (التوبة) جاءت مقتبسة من اللغة المستعملة في الإنجيل)[٥].

---

(١) مقارنة الأديان: ٩١.

(٢) محمد عبد العظيم الزرقاني (ت١٩٤٨م) من أهالي الجعفرية في المحافظة الغربية من مصر، ونسبته إلى زرقان وهي بلدة تابعة لمحافظة المنوفية، تخرّج من كلية أصول الدين، وعمل فيها مدرساً للقرآن والحديث.

(٣) مناهل العرفان، محمد عبد العظيم الزرقاني ١ : ٢٣٠ - ٢٣١.

(٤) تاريخ القرآن: ١١٦.

(٥) دفاع عن القرآن ضد منتقديه، عبد الرحمن بدوي: ١٠٧.

ونقل قول المستشرق (شيفالي) القائل: (فالعلماء في الغرب طوروا بواسطة الصدفة أو الاستعارة كثيراً من الآراء التي هي نفسها آراء التراث الإسلامي أو تشبهها).

ثمَّ ذكر بعض التفسيرات الإسلامية نذكر منها:

(الر) أنا الله أرى، الرحمن[١].

(الم) أنا الله أعلم، الرحمن[٢].

(المر) أنا الله أعلم وأرى[٣].

و هكذا لمن أراد تتبع جميع الحروف المقطعة وتفسيراتها التي وردت في الكتب المذكورة وغيرها. قال بهذه الدعوى المستشرق (نولدكه) في الطبعة الأولى لكتابه (تاريخ القرآن) إلا أنّه وبعد انتقاد المستشرق (لوت) له تراجع عنها في الطبعات اللاحقة.

لقد أشار المستشرق الألماني (هاينز شبييار) في كتابه الصادر عام ١٩٣١م تحت عنوان (القصص التوراتي في القرآن)، أشار في مقدمة هذا الكتاب إلى ما سمّاه أعمالاً أصولية ومرتكزات علمية على مدار السنوات المائة الأخيرة ـ وهي مؤلفات المستشرقين: سبرنجر، موير، جريم، نولدكه، بوهل، شيفالي، وعلل شبييار حكمه هذا بأن أصحاب هذه الأعمال خصصوا النصيب الأوفر من تلك الدراسات للحديث عن شخصية الرسول، كما قال: (إن هذه الدراسات دلت صراحة على التصورات غير العربية التي (اقتبسها) الرسول

---

(١) الإتقان: ٤٨٦.

(٢) م. ن: ٤٨٦.

(٣) البيضاوي، تفسير سورة الرعد الآية: ١.

من غيره، سواء في مواجهاته التشريعية أو السياسية، وذلك في ضوء الدراسات النقدية التي وضع أسسها المستشرق المعروف أجناس جولدتسيهر من خلال دراسته للسيرة)[(١)].

يذكر الأستاذ إدوارد سعيد أنه تحت المدخل المتعلق باسم محمد سرد (دير بيلو) أولا جميع أسماء الأنبياء، ثم انتقل إلى تأكيد قيمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم العقدية والمذهبية كما يلي: (هذا هو المنتحل المشهور ماهوميت، المؤلف والمؤسس لهرطقة اتخذت لها اسم الدين، نسميها نحن الماهومتية. راجع المدخل (إسلام) وقد نسب مفسرو القرآن وفقهاء الشريعة الإسلامية أو الماهومتية، إلى هذا النبي كل المدائح التي نسبها الآريون والبولسيون أو البوالسة والهراطقة الآخرون إلى يسوع المسيح، مجردين إياه في الوقت نفسه من ألوهيته..)[(٢)].

والمحمدية والمحمديون هي التسمية الأوربية للإسلام وللمسلمين وهي تسمية تحمل عند ذكرها صورة مهينة وناقصة ومشوهة عن نبي الإسلام الذي وضع القرآن من عنديته، وشوَّش على العالم المتحضر بدعوته الهمجية بزعمهم. وهكذا كان الإسلام بالنسبة لكثير من المستشرقين (عملا شيطانيا) وكان القرآن نسيجا من السخافات، وكان محمد (دعيا) (كذابا) فيما جاء به من القرآن الكريم.

وكتب محمد عبد الله دراز يقول: (إن في القرآن جانبا كبيرا من المعاني النقلية البحتة، التي لا مجال فيها للذكاء والاستنباط، ولا سبيل إلى علمها لمن

---

(١) المستشرقون والقرآن، عمر لطفي العالم: ١١٨.

(٢) الاستشراق، إدوارد سعيد: ٩٤.

غاب عنها إلا بالدراسة والتلقي والتعليم. ماذا يقولون فيما قصه علينا القرآن من أنباء ما قد سبق وما فصله من تلك الأنباء على وجهه الصحيح كما وقع؟ أيقولون إن التاريخ يمكن وضعه بإعمال فكر ودقة فراسة؟ أم يخرجون إلى المكابرة العظمى، فيقولون إن محمدا قد عاصر تلك الأمم الخالية - لا نقول إن العلم بأسماء بعض الأنبياء والأمم الماضية وبمجمل ما جرى من حوادث التدمير في ديار عاد وثمود وطوفان نوح وأشباه ذلك لم يصل قط إلى الأميين. لأنها مما توارثته الأجيال وسارت به الأمثال، وإنما الشأن في تلك التفاصيل الدقيقة والكنوز المدفونة في بطون الكتب، فذلك هو العلم النفيس الذي لم تنله يد الأميين، وإنك لتجد الصحيح المفيد من هذه الأخبار محررا في القرآن)[1].

(١) النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز: ٣٦-٣٧.

أولاً: المستشرقون ومصدر القرآن الكريم

لقد ركز المستشرقون في هجومهم على القرآن الكريم؛ وذلك لأنه معجزة هذا الدين، ومنهجه في العقيدة والتشريع فهم إن نجحوا في النيل من القرآن فقد نالوا من الإسلام.

لقد اختص هؤلاء المستشرقين في الهجوم على مصدر القرآن الكريم بغرض التعرض لقدسية كونه وحياً معصوماً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، حتى يصبح في الخطوة الأولى نصا قابلاً للنقد في محتواه، وفي الخطوة الأخرى ليتبين قصور هذا المحتوى، وعدم ملاءمته لمقتضيات الحياة وتطورها ومصادمته لها، حتى يتم لهم ما أرادوا من الطعن في هذا الدين القيم الذي ختمت به رسالات السماء.

إن باعث المستشرقين وهدفهم هو تظاهرهم بالتجرد في البحث العلمي عندما يشككون في القرآن، وينطلقون من هذه القاعدة، وهدفهم إنكار أن يكون القرآن وحياً إلهيا، وإثبات أنه كلام بشري، أنشأه محمد ﷺ أو انتحله عن غيره.

لقد جعل المستشرقون هذا الأمر محور بحثهم، ولقد بلغ من تنكرهم لقواعد البحث العلمي في هذا المجال أنهم لم يجعلوا ما يهدفون إلى تقريره فرضية علمية يعملون على إثباتها، ولكنهم جعلوه أمراً واقعاً يلتمسون له التعليل والتفسير، وما نسوقه هنا ليس كلاماً مرسلاً، ولكن يؤكده أن واحداً من أهم أعمال المستشرقين في دراستهم للإسلام وعلومه، وهو دائرة المعارف الإسلامية عند مادة القرآن الكريم انطلق في نفي الصبغة الإلهية عن القرآن من تلك الحقيقة.

إن المستشرقين يهدفون من وراء ذلك إلى التشكيك في كون القرآن الكـريم وحياً إلهيا، ليس للنبي٩ فيه إلا كلامه، في سبيل اثبات ان القرآن اما هـو مـن كلام النبي٩ ، أو من تعليم غيره.

يقول محرر مادة (القرآن) في دائرة المعارف، وتحت عنوان: (محمد والقرآن) ما نصه: ارتبط القرآن الكريم بنبوة محمد بحيث لا يمكننا فهـم أي منهمـا دون فهم الآخر، ونظرة المسلمين السنة لا تعـدو أن يكـون الله هـو المتحـدث، وأن محمـداً هـو المتلقـي، وأن جبريـل هـو الوسـيط الموكـل بـه توصيل كـلام الله (الوحي) إلى محمد بصرف النظر عن المـتكلم (جبريـل) المتلقـي، أو المخاطـب (محمد) لكن تحليل النص القرآني يظهر لنا أن المسألة أكثر تعقيداً من ذلك.

إذ لا توجـد إشـارة قـط إلى مصـدر الـوحي أو صـيغة المـتكلم في السـور والآيات التي يظهر أنها أقدم ما نزل من القـرآن الكـريم، ففـي بعـض الآيـات ليست هناك أدنى إشارة إلى أن هناك رسالة مـن الله، انظـر علـى سـبيل المثـال الآيـات مـن ١ إلى ١٠ مـن سـورة الضـحى[١]، وكـذلك القارعـة والتكـاثر والعصر[٢].

إن المتتبع لموقـف جمـوع المستشـرقين مـن القـرآن الكـريم يجـد أن محصـلة العقيدة الاستشراقية في نهاية الأمر تجزم بأن القرآن الكريم مـن كـلام محمـد٩ وأنه يمثل ثمرة معاناة محمد٩ النفسية، ويعكس الصراع والتطور النفسي له[٣].

(١) كذا، والصواب: (الشمس).

(٢) ظ: القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، محمد ابو ليلة: ٩٣ .

(٣) ظ: القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، محمد ابو ليلة: ٩٣ .

قال المستشرق الإنجليزي (سنكلير تسدل) في كتابه: ميزان الحق ص٣٧٢: (إذا اتفق المسلمون على أن القرآن من تأليف محمد، وكتب بالوحي وليس كما يقولون: إنه أملاه عليه جبرائيل لكانت حجتهم أقوى).

وقال المستشرق الإنجليزي (جورج سيل) في كتابه: مقالة في الإسلام ص ١١٦ : (ومما لا شك فيه، ولا ينبغي أن يختلف فيه اثنان أن محمداً هو في الحقيقة مصنف القرآن وأول واضعيه، وإن كان لا يبعد أن غيره أعانه عليه كما اتهمته العرب، لكنهم لشدة اختلافهم في تعيين الأشخاص الذين زعموا أنهم كانوا يعينونه، وَهَتْ حجتهم، وعجزوا عن إثبات دعواهم، ولعل ذلك لأن محمداً كان أشد احتياطاً من أن يترك سبيلاً لكشف الأمر).

وقال صاحب ذيل (مقالة في الإسلام في تعليقه على قول (جورج سيل) في الصفحة المذكورة نفسها: (قال بعض العرب كما ذكره الزمخشري والبيضاوي في سورة ١٦: ١٠٥، ٢٥: ٥، ٦ أعانه عليه جبر الرومي مولى عامر بن الحضرمي وكان قارئاً كاتباً، وقال الآخرون منهم: بل أعانه اثنان من الموالي يعملان السيوف بمكة، وكان لهما حظ من القراءة فكان محمد إذا مر بهما وقف، واستمع ما يقرآن ووعاه[١].

وقال فلهاوزن: (ويبرز في القرآن شأن القدرة الإلهية تارة، وشأن العدل الإلهي تارة أخرى، وذلك بحسب ما كان يحس به النبي-صلى الله عليه وسلم- دون مراعاة للتوازن بين الطرفين، ولا يشعر محمد -صلى الله عليه وسلم- بما

---

(١) ظ: المستشرقون والقرآن الكريم، يوسف لقمان: ٣٣٣.

في ذلك مـن تنـاقض؛ لأنـه لم يكـن فيلسـوفاً، ولا واضـعاً لمـذهب نظـري في العقائد)[١].

ويعلـق الأسـتاذ محمـد قطـب علـى مـا قالـه فلـهاوزن بعـد نقلـه بقولـه: (وبصرف النظر عن كون المؤلِّف يَنسبُ القرآنَ إلى النبي وهو أمـر يشـترك فيـه المستشرقون جميعاً بطبيعة الحال، فإن المؤلف يضيف إلى ذلك أن هنـاك تناقضـاً وعدم توازن في القرآن؛ لأنه يبرز شأن القدرة الإلهية تارة، وشأن العدل الإلهـي تارة أخرى، ثم يردّ ذلك إلى الحالة النفسية الخاصة التي يكـون عليهـا الرسـول وقت (التأليف) ثم يقـول إن الرسـول لا يشـعر بـذلك التنـاقض؛ لأنـه لـيس فيلسوفاً ولا مفكراً عقائديا)[٢].

هنا يتبين مدى استهانة مدعي ذلك بالبحث العلمي ومنهجه خاصـة فيمـا يتعلق بما قاله صاحب: (ذيل مقالة في الإسلام) ممـا نقلـه عـن الزمخشـري مـن قوله: (قال بعض العرب..) إلى آخره، فقد تعمد الكاتب بتر كـلام الزمخشـري للإيهام بموافقته على ما قاله المُدَّعون بأن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تعلم القرآن من غيره.

---

(١) تاريخ الدولة العربية: ٢، والمستشرقون والإسلام، محمد قطب: ١٥٦.

(٢) المستشرقون والإسلام، محمد قطب: ١٥٦.

ثانياً: مباحث مهمة حول لغة القرآن الكريم

سنتطرق في هذا المبحث إلى ما يختص بلغة القرآن الكريم وما يتعلـق بهـا، وذلك ضمن خمس فقرات مهمة لسير البحث، وذلـك لنرسـم صـورة اجماليـة واضحة حول لغة القرآن والآراء فيها، وكل ما يتعلق بذلك، والفقرات هي:

اولاً: الأعجمي و المُقترَض في القرآن الكريم:

ظهرت دعوات كثيرة إلى وجود كلمات غير عربيـة في القـرآن الكـريم، أو اقتراض ألفاظ غير عربية من قبل القرآن الكريم. إن هذا الاقتراض المزعـوم و الذي يدور حوله الكلام يقال له (المعرّب): أي الألفاظ الأعجمية التي دخلـت على القرآن الكريم من لغاتٍ شتى.

١ـ لقد ذهب بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤ هــ) و تبعـه جـلال الـدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) إلى أن وجود بعـض الكلمـات مـن غـير العربيـة لا يخرجه عن عربيته ، و قد تبعهم جمع غفير مـن العلمـاء فيمـا ذهبـوا اليـه مـن رأي.

٢ـ أما و على الجانب الآخر و كون القرآن الكريم عربياً خالصاً فهو قـول الإمامية الاثني عشرية بعامة ، و ذهب إلى ذلك معهم كل من أبي عبيدة معمّـر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ) و ابن جرير الطبري (ت ٣١٠ هــ) و ابـن فـارس (ت ٣٩٥ هـ) ، و من علماء الشيعة يمكن ان نذكر الشـيخ المفيـد (ت ٤١٣ هـ) و السيد المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) و الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) .

فنجد ان ابن أوس يقول : (لو كان فيه ـ يعني القرآن ـ من لغة غير العرب شيء لتوهم متوهمٌ أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله لأنه أتى بلغات لا يعرفونها)(١) .

ثانياً: القرآن الكريم عربي خالص:

إن هذا القول يذهب إلى عدم وقوع أي لفظ غير عربي في القرآن الكريم ، و يتبنى هذا القول كلٌ من : الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) و الطبري (ت ٣١٠ هـ) و الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) و السيد المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) و الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) و ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) .

و ادلتهم قائمة على نص آيات القرآن الكريم الدالة على عربيته و التي منها :

قوله تعالى:((إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ))سورة يوسف، الآية(٢) .

كان الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) من أوائل الذين انكروا وقوع ألفاظ أعجمية في القرآن الكريم ، و شدد النكير على القائل به ، و رد زعم من قال : (ان في القرآن عربياً و عجمياً ، و القرآن يدل على أنه ليس في كتاب الله شيء إلا بلسان العرب)(٢) .

و قال أبو عبيدة (ت ٢١٠ هـ) : (إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، فمن زعم أن فيه غير العربية ، فقد أعظم القول)(٣) .

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي: ج ١ ، ص ٢٨٨ .
(٢) الرسالة ، الشافعي ، تحقيق : أحمد شاكر: ٤١ .
(٣) البرهان ، الزركشي: ج١ ، ص ٢٨٧ .

و كذلك ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) القائل : (ان القرآن ـ كما زعم اهل العربية ـ لي فيه من كلام العجم ، و انه كله بلسان عربي ... و ذلك ان القرآن لو كان فيه من غير لغة العرب شيء لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله لأنه أتى بلغات لا يعرفونها ، و في ذلك ما فيه)[١] .

ثالثاً: في القرآن أعجمي فرضته ظروف التداخل و الحاجة البشرية:

و هذه الدعوى الثانية قد ذهب القائلون بها إلى وجود الأعجمي في القرآن الكريم ، و لكن على نحوين هما :

الأول : توافق اللغتين أو اللغات في توارد بعض الألفاظ في دلالتها على معيّن في لغات شتى ، و هو أمر يرجحه الطبري : (ما ورد عن ابن عباس و غيره من تفسير ألفاظ من القرآن أنها بالفارسية أو الحبشية أو النبطية أو نحو ذلك ، إنما اتفق فيها توارد اللغات ، فتكلمت بها العرب و الفرس و الحبشة بلفظ واحد)[٢] .

الثاني : ما حاوله ابن عطية من ربط الجانب الاجتماعي و الاقتصادي في رحلات العرب و مخالطتهم بغيرهم من الشعوب بنقل ألفاظ أعجمية إلى العربية ، و قَرَبها العرب حتى جرت عندهم مجرى العربي الفصيح ، و وقع بها البيان ، و على هذا الحد نزل بها القرآن)[٣] .

و هذا الاقتراض قد يصح معه البحث عن الدلالة الاقتراضية بحدود . و قد أيدت الدكتورة بنت الشاطئ هذا الاتجاه و اعتذرت عن العرب

---

(١) فقه اللغة ، الصاحبي : ٥٩ .

(٢) ينظر : الإتقان ، السيوطي: ج٢ ، ص ١٠٥ .

(٣) ينظر : المقدمة ، ابن عطية: ١ .

باستعمالهم هذه الألفاظ المعرّبة فقالت : (و لا يعنون بذلك أن هذه الألفاظ لم تكن في أصولها من لغات رومية أو سريانية أو حبشية أو فارسية ، و لكنهم يعنون أن العرب عرَّبتها بألسنتها و حولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية ، ثم نزل القرآن الكريم و قد دخلت هذه الحروف في كلام العرب)(١) .

رابعاً: القول بوقوع المعرّب في القرآن الكريم:

ذهب القائلون بهذا الرأي إلى وقوع المعرّب في القرآن الكريم ، و رأوا أن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربياً ، و هو رأي يميل إليه السيوطي ، و يستند فيه إلى ما أخرجه الطبري عن أبي ميسرة التابعي القائل : (في القرآن من كل لسان) ، فلا بد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات و الألسن ليتم إحاطته بكل شيء ، فاختير له من كل لغة أعذبها و أخفها و اكثرها استعمالاً(٢) .

و قد اعتمد السيوطي في رأيه هذا على جملة من آراء القدماء ، و من جملتهم (ابن النقيب) القائل : (و من خصائص القرآن على سائر كتب الله تعالى المنزلة أنها نزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم ، و لم ينزل فيها شيء بلغة غيرهم ، و القرآن احتوى على جميع لغات العرب ، و أنزل فيه بلغات غيرهم من الروم و الفرس و الحبشة شيء كثير)(٣) .

و قول ابن النقيب ـ المتقدم ـ مردود و قبل للنقاش من وجهين :

---

(١) لغتنا و الحياة ، بنت الشاطئ: ٤٥ .

(٢) الاتقان ، السيوطي: ج٢ ، ص ١٠٦ .

(٣) الاتقان ، السيوطي: ج٢ ، ص ١٠٦ .

الأول : الادعاء بأن القرآن الكريم احتوى على جميع لغات العرب باطل ، لأنه نزل بلغة قريش وحدها، و هي لغة القوم الأدبية .

الثاني : الادعاء بأن فيه من لغات غير العرب الشيء الكثير لا أصل له ، فالألفاظ المدعاة قليلة ، و هو معارض بقوله تعالى : **((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ))** سورة إبراهيم ، الآية٤ .

خامساً: في رد دعوى وجود الالفاظ الأعجمية في القرآن الكريم:

لو سلمنا بذلك نقول :

أولاً: إن أسماء الأشخاص، وبالخصوص أسماء الأنبياء : وكذلك أسماء الأماكن، وأسماء بعض الأشياء وما يشاكلها قد ذكرها القرآن الكريم - عند تعرضه لها - بمسمياتها الأصلية، وهذا هو الصواب، ومسلك العقلاء، بل مسلك البشرية جمعاء، فهل يصح مثلاً أن ننادي شخصاً ما اسمه (س) بـ(ما يدل عليه معنى الاسم عند المنادي)، أكيد لن يسمعنا، بل لن يفهم، ولن يعرف بأنّه هو المنادى، فإذا كان مسلك العقلاء هو إبقاء الأشياء على مسمياتها الأصلية ليتحصل منها الفهم، والتواصل، فكيف بالقرآن الكريم.

ثانياً: إنّ الأسماء المذكورة في القرآن الكريم بالأصل مأخوذة من ألفاظ عربية أصيلة فـ(آدم) أسم عربي مشتق من (الأدَمَة) وهي السمرة؛ لأنّه خُلق من أديم الأرض، وكذلك باقي الأسماء، أما أسماء الملائكة المختومة بلفظ (إيل) فإن هذا اللفظ، أو هذا المقطع عربي أيضاً، لكنه مما قل استعماله عند عرب الحجاز، وإن كان باقياً عند غيرهم ولم يندثر.

قال ابن دريد[١]: (قال ابن الكلبي: كلّ اسم في العرب آخره إل أو إيل فهو مضاف إلى الله عز وجل نحو: شرحبيل، وعبد ياليل، وشراحيل، وشهميل، وما أشبه هذا...وقد كانت العرب ربما تجيء بالآل في معنى اسم الله جل وعز)[٢].

فـ(الأصل السامي للغات هو الأصل العربي، وأن اللغة العربية هي الأولى في اللغات السامية قدماً على فرض وجود السامية في اللغات)[٣].

ثالثاً: الآيات القرآنية التي صرحت بعربية كل ما في القرآن الكريم.

قال تعالى: ((وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)) سورة الشعراء، الآيات ١٩٢ ـ ١٩٥ .

وقال تعالى: ((قُرْآناً عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)) سورة الزمر، الآية٢٨

وقال تعالى: ((إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)) سورة يوسف، الآية٢

---

(١) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ).

(٢) جمهرة اللغة: ج ١ ، ص ٥٩.

(٣) دعوى اقتراض الألفاظ من غير العربية في القرآن الكريم، محمد حسين الصغير، مجلة المصباح، العدد ١٣، ص١٩.

هناك طائفة كبيرة من علماء المسلمين تذهب إلى عدم وقوع أي لفظ غير عربي في القرآن الكريم ـ كما اسلفنا ـ منهم: الشافعي[١]، والطبري[٢]، وابن فارس[٣]، والباقلاني[٤]، وأبو عبيدة[٥]، وكذلك الشيخ المفيد[٦]، والسيد المرتضى.

---

(١) أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي الشافعي الحجازي المكي المصري (١٥٠ - ٢٠٤هـ) (٧٦٧ - ٨٢٠م) إمام ومؤسس المذهب الشافعي أحد المذاهب السنية الرئيسية، ولد في غزة ونشأ في مكة ولازم مالك بن أنس في المدينة ودرس عليه، توفي في مصر وقبره معروف في القاهرة بسفح جبل المقطم له تصانيف كثيرة أشهرها: (الأم، المسند، السنن، الرسالة).

(٢) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ) ولد بآمل طبرستان، ذُكر أنّه حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، فقد كان شديد الحفظ، سريع الفهم، رحل إلى الري وما جاورها من البلاد وهو ابن اثني عشر عاماً في طلب العلم والمعرفة، ثمَّ سافر إلى بغداد والبصرة والكوفة، ثمَّ رجع إلى بغداد وأخذ عن أئمة الشافعية واتخذ الشافعية مذهباً وأفتى به عشر سنين، ثمَّ رحل نحو الشام وبيروت ثمَّ مصر فبلغها سنة (٢٥٣هـ)، ثمَّ رجع إلى بغداد حتى توفي فيها سنة (٣١٠هـ)، له من المؤلفات:(آداب المناسك، آداب النفوس، اختلاف علماء الأمصار، تاريخ الرسل والملوك، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الجامع في القراءات، كتاب الوقف).

(٣) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت٣٩٥هـ) لغوي وأديب.

(٤) الباقلاني (ت٤٠٢هـ).

(٥) معمر بن المثنى البصري (١١٠ - ٢٠٩هـ).

(٦) أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبري البغدادي (٣٣٦ - ٤١٣هـ)، شيخ المشايخ، ورئيس رؤساء الملة، فخر الشيعة ومحيي الشريعة، المعروف بابن المعلم، كان والده من أهل واسط، وكان يعمل بها معلماً، ثم انتقل إلى عكبرا وأقام فيها بمكان يدعى سويقة ابن البصري، وهناك ولد الشيخ أبو عبد الله المفيد في الحادي عشر من ذي القعدة عام (٣٣٦هـ)، وتوفي رحمه الله ليلة الثالث من شهر رمضان ببغداد سنة (٤١٣هـ) وصلى عليه الشريف المرتضى بميدان الأشنان ودفن في داره سنين ونقل إلى مقابر قريش بالقرب من مرقد الإمامين الجوادين ٨ في الكاظمية، من مؤلفاته: (المقنعة في الفقه، أحكام أهل الجمل، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، أمالي المفيد، أوائل المقالات، الاختصاص،....).

وشاهد هؤلاء العلماء على عربية القرآن الخالصة **قوله تعالى: ((قُرْآناً عَرَبِيّاً))** سورة يوسف ، الآية٢.

وغيرها من الآيات القرآنية المباركة. كما ويشير فريق منهم بأنّ ألفاظ القرآن الكريم عربية صرفة ولكن ربّما غابت بعض معانيها أو بعض أصولها عن بعض العلماء.

قال أبو عبيدة[(١)]: (إنّما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فمن زعم أنّ فيه غير العربية فقد أعظم القول)[(٢)].

يقول الدكتور محمد حسين الصغير: (إنّ ما ادَّعوا وروده في القرآن من ألفاظ غير عربية اقترضتها اللغة العربية، ثمَّ استعملها القرآن العظيم تبقى بها حاجة ماسة إلى التفسير والتعليل والتاريخية الصادقة في الأقل)[(٣)].

---

(١) أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي (١١٠ - ٢٠٩هـ) لغوي وأديب من أهل البصرة.

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ١ : ٢٨٧.

(٣) دعوى اقتراض الألفاظ من غير العربية في القرآن الكريم، محمد حسين الصغير، مجلة المصباح، العدد: ١٣، ص١٩.

ثالثاً: القرآن الكريم واللغة السريانية

إن هناك قول يقول: فهناك العديد من المفردات، والألفاظ السريانية مبثوثة في سور القرآن، وآياته[١].

فعن هذا الكلام نقول:

أولاً: لو سلّمنا بوجود الألفاظ الدخيلة فإن كان المراد بذلك (الأسماء) فإن أسماء الأشخاص، وبالخصوص أسماء الأنبياء : وكذلك أسماء الأماكن، وأسماء بعض الأشياء وما يشاكلها قد ذكرها القرآن الكريم - عند تعرضه لها - بمسمياتها الأصلية، وهذا هو الصواب، ومسلك العقلاء، بل مسلك البشرية جمعاء، فهل يصح مثلاً أن نادي شخصاً ما اسمه (س) بـ(ما يدل عليه معنى الاسم عند المنادي)، أكيد لن يسمعنا، بل لن يفهم، ولن يعرف بأنّه هو المنادى، فإذا كان مسلك العقلاء هو إبقاء الأشياء على مسمياتها الأصلية ليتحصل منها الفهم، والتواصل، فكيف بالقرآن الكريم.

ثانياً: إنّ الأسماء المذكورة في القرآن الكريم بالأصل مأخوذة من ألفاظ عربية أصيلة فـ(آدم) أسم عربي مشتق من (الأدَمَة) وهي السمرة؛ لأنّه خُلق من أديم الأرض، وكذلك باقي الأسماء، أما أسماء الملائكة المختومة بلفظ (إيل) فإن هذا اللفظ، أو هذا المقطع عربي أيضاً، لكنه مما قل استعماله عند عرب الحجاز، وإن كان باقياً عند غيرهم ولم يندثر.

قال ابن دريد[٢]: (قال ابن الكلبي: كلّ اسم في العرب آخره إل أو إيل فهو مضاف إلى الله عز وجل نحو: شرحبيل، وعبد ياليل، وشراحيل،

---

(١) القرآن بحث ودراسة: ٢٥٧.

(٢) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ).

وشهميل، وما أشبه هذا... وقد كانت العرب ربما تجيء بالآل في معنى اسم الله جل وعز)[١].

فـ(الأصل السامي للغات هو الأصل العربي، وأن اللغة العربية هي الأولى في اللغات السامية قدماً على فرض وجود السامية في اللغات)[٢].

ثالثاً: الآيات القرآنية التي صرحت بعربية كل ما في القرآن الكريم.

قال تعالى: (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)[٣].

وقال تعالى: (قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)[٤].

وقال تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[٥].

---

(١) جمهرة اللغة ١ : ٥٩.

(٢) دعوى اقتراض الألفاظ من غير العربية في القرآن الكريم، محمد حسين الصغير، مجلة المصباح، العدد: ١٣، ص١٩.

(٣) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٢ - ١٩٥.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٢٨.

(٥) سورة يوسف، الآية: ٢.

فهناك طائفة كبيرة من علماء المسلمين تذهب إلى عدم وقوع أي لفظ غير عربي في القرآن الكريم منهم: الشافعي[(١)]، والطبري[(٢)]، وابن فارس[(٣)]، والباقلاني[(٤)]، وأبو عبيدة[(٥)]، وكذلك الشيخ المفيد[(٦)]، والسيد المرتضى.

---

(١) أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي الشافعي الحجازي المكي المصري (١٥٠ - ٢٠٤هـ) (٧٦٧ - ٨٢٠م) إمام ومؤسس المذهب الشافعي أحد المذاهب السنية الرئيسية، ولد في غزة ونشأ في مكة ولازم مالك بن أنس في المدينة ودرس عليه، توفي في مصر وقبره معروف في القاهرة بسفح جبل المقطم له تصانيف كثيرة أشهرها: (الأم، المسند، السنن، الرسالة).

(٢) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ) ولد بآمل طبرستان، ذُكر أنّه حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، فقد كان شديد الحفظ، سريع الفهم، رحل إلى الري وما جاورها من البلاد وهو ابن اثني عشر عاماً في طلب العلم والمعرفة، ثمَّ سافر إلى بغداد والبصرة والكوفة، ثمَّ رجع إلى بغداد وأخذ عن أئمة الشافعية واتخذ الشافعية مذهباً وأفتى به عشر سنين، ثمَّ رحل نحو الشام وبيروت ثمَّ مصر فبلغها سنة (٢٥٣هـ)، ثمَّ رجع إلى بغداد حتى توفي فيها سنة (٣١٠هـ)، له من المؤلفات:(آداب المناسك، آداب النفوس، اختلاف علماء الأمصار، تاريخ الرسل والملوك، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الجامع في القراءات، كتاب الوقف).

(٣) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت٣٩٥هـ) لغوي وأديب.

(٤) الباقلاني (ت٤٠٢هـ).

(٥) معمر بن المثنى البصري (١١٠ - ٢٠٩هـ).

(٦) أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبري البغدادي (٣٣٦ - ٤١٣هـ)، شيخ المشايخ، ورئيس رؤساء الملة، فخر الشيعة ومحيي الشريعة، المعروف بابن المعلم، كان والده من أهل واسط، وكان يعمل بها معلماً، ثم انتقل إلى عكبرا وأقام فيها بمكان يدعى سويقة ابن البصري، وهناك ولد الشيخ أبو عبد الله المفيد في الحادي عشر من ذي القعدة عام (٣٣٦هـ)، وتوفي رحمه الله ليلة الثالث من شهر رمضان ببغداد سنة (٤١٣هـ) وصلى عليه الشريف المرتضى بميدان الأشنان ودفن في داره سنين ونقل إلى مقابر قريش بالقرب من مرقد الإمامين الجوادين ٨ في الكاظمية، من مؤلفاته: (المقنعة في الفقه، أحكام أهل الجمل، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، أمالي المفيد، أوائل المقالات، الاختصاص،....).

وشاهد هؤلاء العلماء على عربية القرآن الخالصة قوله تعالى: (قُرْآناً عَرَبِيّاً)[١].

وغيرها من الآيات القرآنية المباركة. كما ويشير فريق منهم بأنّ ألفاظ القرآن الكريم عربية صرفة ولكن ربّما غابت بعض معانيها أو بعض أصولها عن بعض العلماء.

قال أبو عبيدة[٢]: (إنّما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فمن زعم أنّ فيه غير العربية فقد أعظم القول)[٣].

يقول الدكتور محمد حسين الصغير: (إنّ ما ادَّعوا وروده في القرآن من ألفاظ غير عربية اقترضتها اللغة العربية، ثمَّ استعملها القرآن العظيم تبقى بها حاجة ماسة إلى التفسير والتعليل والتاريخية الصادقة في الأقل)[٤].

ثم هناك قول آخر يقول: (إلى السريان يعود الفضل على جميع الأمم الراقية باستنباطهم صناعة الكتابة التي عنهم أخذها سائر الأمم حتى اليونان)[٥].

نقول: ليست السريانية لغة عالمية، بل هي لغة خاصة، وقوله المتقدم مجرد مدعى، أو لنقل نظرية حالها حال كثير من النظريات في أصل نشوء الكتابة، وقضية تحديد أقدم اللغات والخطوط، وما هي أقدم اللغات الإنسانية، لكن لو

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٢.

(٢) أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي (١١٠ - ٢٠٩هـ) لغوي وأديب من أهل البصرة.

(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي ١ : ٢٨٧.

(٤) دعوى اقتراض الألفاظ من غير العربية في القرآن الكريم، محمد حسين الصغير، مجلة المصباح، العدد: ١٣، ص١٩.

(٥) القرآن بحث ودراسة، سهيل قاشا: ٢١٥.

طالعناها - أي النظريات - بمجملها لم نجد لما ذكره أي وجود وسط تلك النظريات الكثيرة والمتعددة، وإنّ ما ذكره ما هو إلا قول شاذ لا وجود له إلا في سراديب الأديرة القديمة.

وهذه النظرية هي نظرية سريانية، هدفها إضفاء شرعية على اللغة السريانية، وإليها توجه إشكالات وأسئلة كثيرة، منها:

١ـ ما الدليل على أن الإنجيل الأول هو باللغة السريانية؟

٢ـ هل هذه اللغة أخذت شرفيتها من كونها لغة الإنجيل - لو سلمنا بذلك -، أو أنّ شرفيتها ذاتية؟

٣ـ هل كانت اللغة السريانية في ذلك الوقت - قبل وإبان ظهور الدين المسيحي - لغة عالمية؟ وهل إنها لغة الرقي والمعرفة؟ أم أن اليونانية هي لغة الرقي في ذلك الوقت؟

٤ـ هل السريان موغلون بالقدم بحيث أنّهم أقدم من الحضارة السومرية، والبابلية، واليونانية؟ وهل هم أصحاب حضارة شاخصة وظاهرة للعيان؟ وهل لهم أمم وشعوب ودول؟ وبماذا كانوا يدينون قبل قدوم السيّد المسيح وقبل دين اليهودية؟ وهل كانت هذه هي لغتهم منذ الخلق الأول أم تغيرت وتبدلت؟

في الحقيقة: هذه تساؤلات نتمنى ممن يؤمنون بمثل هكذا تقولات أن يجيبونا عنها بكل صراحة وعقلانية.

وكذلك القول: (وننبه القارئ الأريب إلى أنّ السريان باستنباطهم الكتابة، والنقاط، والحركات قد ضبطوا لغتهم وأتقنوها، وأحكموها بخلاف العرب الذين بقيت لغتهم إلى القرن السابع مضعضعة مشتتة في قبائل، حتى

أن القبيلة الواحدة لم تكن تفهم لهجة القبيلة الأخرى. ولما جاء القرآن نهضوا نهضتهم واستعانوا بالسريان جيرانهم، - وإذا شئت فقل أساتذتهم - ليضبطوا لغتهم، ويتقنونها كما ضبطها السريان من قبلهم)[١].

نقول: ما الأدلة على ذلك، ومن أين جئت بهذه المفتريات، والتخرصات، وعلى أي المصادر اعتمدت؟!

تارة نرى القائل يقول: نهضوا لما جاء القرآن[٢]، وتارة يقول: علمهم السريان ذلك بطلب من أمير العرب[٣]، فالتهافت واضح جداً في كلماته، وعباراته غير المتناسقة، وغير المضبوطة تاريخياً.

فإذا كان العرب قد نهضوا نهضتهم، فلماذا يستعينون بغيرهم من سريان وما شاكل ذلك، فالنهضة مغايرة لأخذ العون من الغير، بل أن الغير هو الذي يأخذ ممن حصل على النهضة!!

وإذا كانت النهضة قد جاءت بسبب القرآن، فذلك يكفي، فالقرآن يكفيهم، ولن يحتاجون إلى ما دونه، فلماذا يتنزلون للأخذ من ثقافات ولغات مغايرة للغة القرآن، ومغايرة لما به من نهضة ورُقيّ؟!

وهذه دعوى ادعاها كذلك (يوسف درة الحداد)[٤] و(أبو موسى الحريري)[٥] فقد ادعوا وقالوا: (بأنّ هجرة النصارى إلى الحجاز أدت إلى النهضة هناك. وهذا كلام مختلق! فهم دخلوا الحجاز بعد تشتتهم من فلسطين

---

(١) القرآن بحث ودراسة: ٢١٦.
(٢) م. ن: ٢١٦.
(٣) القرآن بحث ودراسة: ٢٤٠ - ٢٤١.
(٤) في كتابه (القرآن دعوة نصرانية).
(٥) في كتابه (قس ونبي).

الذي تم قبل عصر بني هاشم المتحضر بخمسة قرون. فهل بلغ بطء نشرهم لأسس الحضارة أن مضت قرون خمسة قبل ظهور آثار التحضر؟ أليس الأرجح أنّ تحضرهم لم يكن له ذلك الوزن الذي يجعلهم قادرين على تحضير أحد؟ ألم يكن اليهود بدواً رحلاً يسطون على البلاد حيث اللبن والعسل ويبيدون السكان على بكرة أبيهم، ويقلعون الزرع، ويطمرون الآبار كما هو موثق في صلب توراتهم؟ إن الأمر الثابت هو أن قصياً أسس البناء الإداري والأمني في مكة، وتابع ابنه التنظيم، ثمَّ تبعه حفيده، ثم ابن حفيده. هؤلاء هم الذين اتصلوا بالقوى العالمية في بلاد الروم، والفرس، والحبشة، واليمن وعقدوا معها أحلاف الأمن (الإيلافات). هم الذين نظموا حلف الفضول الذي أَمن به كل مواطن من الظلم والأذى سواء أكان مقيماً أم حاجاً أم ماراً مرور الكرام. وهم الذين أطعموا الجائع، والفقراء من الحجيج، وفي عهودهم نهضت حضارة اللغة العربية إلى أعلى المستويات، وتنظمت الرحلات التجارية الآمنة والأسواق الفكرية مثل عكاظ وغيرها)[(١)].

ثم يأتي القول ايضاً في زعمٍ إلى طرح أدلة على دعوى تقدم اللغة السريانية: (وتأييداً لكلامنا عن تأثير اللسان السرياني على كتابة اللغة العربية وضبطها رأينا أن نثبت ذلك بأربع حجج تاريخية صادقة لا تحتمل الاعتراض وهي:

١ـ انتشار السريان في بلاد العرب قبل الإسلام وبعده.

٢ـ نوابغ السريان في اللغة اليونانية وتضلعهم منها.

---

(١) القرآن ليس دعوة نصرانية، سامي عصاصة: ١٤٦ - ١٤٧.

٣ـ ترجمة تصانيف اليونان إلى العربية بقلم أئمة السريان.

٤ـ تأليف السريان في اللغة العربية)[1].

كلها أدلة- إن صح إطلاق كلمة أدلة عليها - مردودة لا تؤيد أي مدعى من المدعيات سالفة الذكر:

فالقول الأول مردود لأنّ هناك أمم وشعوب كثيرة غيرهم، فلماذا انحصر التأثير والتأثر بالسريان فقط دون غيرهم؟

والقول الثاني مردود؛ لأنّه خاص بنبوغهم باللغة اليونانية ولا دخل لنا بها، وليس لها أي ارتباط بموضوعنا الخاص باللغة العربية لغة القرآن الكريم.

والقول الثالث مردود؛ لأنّ هذه الترجمات حصلت في زمن المأمون العباسي[2]، واختصت بالفلسفة، والطب بشكل عام.

نعم، لقد جاء نقل الكتب الفلسفية عن السريانية واليونانية إلى العربية في مستهل القرن الثالث الهجري، إبان خلافة المأمون العباسي، وعن الأسباب والدوافع لذلك يقول السيد محمد الخامنئي: (حول أسباب ومحفزات ما يسمى بنهضة الترجمة في زمن العباسيين طرحت بعض الآراء والتصورات، لكننا لو أردنا التبصر بالمحفزات الداخلية والعميقة لها لوجدنا أن أحد عواملها ودوافعها المهمة هو مواجهة الخلفاء العباسيين لأهل البيت :... المحفز الآخر الذي ساعد ذلك العامل السياسي الأوّل هو الأهداف التي كان يرمي إليها المترجمون المسيحيون الذين وجدوا هذا المشروع مفيداً لمواجهة الإسلام والنيل

---

(١) القرآن بحث ودراسة، سهيل قاشا: ٢٢٠.

(٢) المأمون العباسي، عبد الله بن هارون العباسي (١٧٠ - ٢١٨هـ).

من محورية القرآن والكلام الشيعي، وليس من قبيل الصدفة أن أغلب هؤلاء المترجمين رجال دين نصارى)[١].

أما القول الرابع فمردود؛ لأنّ ذلك من شأنهم، ولأنهم سكنوا بلاد العرب، بل هم مجبرون على ذلك؛ لأنّ لغتهم تمثل لغة أقلية داخل بلاد العرب.

إننا ـ وبحق ـ نجد آراء العلماء، والمختصين، من المسلمين، وغيرهم تقول: إن الكثير من الكلمات والعبارات والمصطلحات المستخدمة اليوم في بلاد الغرب وأوربا أصلها عربي، وللمزيد من الاطلاع وللتأكد يمكن مراجعة كتاب (شمس العرب تسطع على الغرب)[٢] لـ(زيغريد هونكه)[٣]، وكتاب (فضل الإسلام على الحضارة الغربية)[٤] لـ(مونتغمري واط)[٥]، وغيرها من الكتب الأُخر التي أشارت إلى ذلك الأمر المهم.

كما ويقول أبراهام كاتش في كتابه (اليهودية في الإسلام): (لقد اتّبعت القبائلُ العربية المتهوّدة في الجاهلية الممارسات اليهوديةَ إلى حدٍّ بعيد. كانت العادات والتقاليد اليهودية معروفة لدى الكثيرين من العرب، وقد مارسوها فعلاً. ومحمّدٌ الذي كان يعرف كثيراً من هذه القوانين والعادات أدرج عدداً كبيراً منها في تعليماته الدينية)[٦].

---

(١) مسار الفلسفة في إيران والعالم، محمد الخامنئي: ٢٢٢.

(٢) شمس العرب تسطع على الغرب: ١٧ - ٣٠.

(٣) زيغريد أو زيغريد هونكه (١٩١٣ - ١٩٩٩م) مستشرقة ألمانية.

(٤) فضل الإسلام على الحضارة الغربية: ١١٥ - ١٢٥.

(٥) وليام مونتغمري واط (١٩٠٩ - ٢٠٠٦م) مستشرق بريطاني من أُصول اسكتلندية.

(٦) Katsh, Abraham, op.cit., p. xviii .

أما وليام مونتغمري واط فقد عقد فصلاً في كتابه (محمد: نبي ورجل دولة) بعنوان: (آثار اليهودية والنصرانية)، قال فيه: (من المحتمل أنّه [يعني النبي صلى الله عليه وسلم] قد التقى يهوداً أو نصارى، وتحدّث معهم حول مسائل دينية)(١). وأقاويلهم في هذا المعنى كثيرة.

إن المتتبع لكتاباتهم في هذا الشأن يجد أنها تتمحور حول نقاطٍ(٢)، أهمها:

الأولى: أنّ كلّ ما في القرآن الكريم من شرائع وغيرها قد تعلّمها النبي صلى الله عليه وآله وسلم من اليهود الموجودين في جزيرة العرب آنذاك.

والثانية: أو أنّه قد تلقّى شيئاً من ذلك عن ورقة بن نوفل، الذي كان قد تنصّر في الجاهلية.

والثالثة: أنّه قد تعلّمه من الراهب بحيرى الذي تروي لنا كتب السيرة أنه التقى به في رحلة له صلى الله عليه وآله وسلم إلى الشام.

والرابعة: أنّه ربّما استفاد شيئاً من ذلك من بعض أصحابه الذين كانوا قبل إسلامهم نصارى أو على صلة بالثقافة النصرانية، أمثال عديّ بن حاتم، وصهيب الرومي.

إن هذه هي محاور فرية تأثر القرآن الكريم بما زعموا أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد تلقاه عن أفراد من اليهود والنصارى.

---

(١) Watt, W. Montgomery: Muhammad, Prophet and Statesman, p. 40

(٢) Bodley, R.V.C., The Messenger: The Life of Mohammed, pp. 33-35,50,86، و Watt, W. Montgomery: Muhammad at Mecca, p. 51، Blachere, R., Le Probleme du Mahomet, p. 60

إنّ منشأ الإشكال لدى المستشرقين في المسألة أنّهم بنوا دراساتهم عن أصل القرآن على أساس الحقيقة المرّة التي لم تعد تخفى اليوم على المتخصصين، ألا وهي أنّ ما يسمّى اليوم بالكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد، لا ينطبق عليه في الصورة التي هو عليها الآن كونه وحياً إلهياً. وهذا ما اعترف به أحد أعلام اللاهوت النصراني[١] حيث يقول تحت عنوان: (الكتاب بشري ومع ذلك فهو سماوي)، قال: (نعم، إن الكتاب المقدس تصنيف بشر، وإن كان البعض بسبب الغيرة التي لا تتفق مع العلم قد أنكروا هذا، تلك الكتب [كتب أو أسفار كتاب النصارى المقدس] قد مرت من خلال أذهان البشر، وكتبت بلغة البشر، وبأقلام البشر، وتحمل صفات تتميز بأنها من أسلوب البشر)[٢].

وإذا كان الغالب على الكتب المقدسة لدى المستشرقين هو الأسلوب البشري، من قبيل حكاية قاصٍ يحكي ما شهد بنفسه أو أُخبر به -وهذا أمر يعرفه كلُّ من له اطّلاع على هذه الكتب- دعُونا إذاً نقف على شيء من الأساليب القرآنية التي تبرهن على اختلافها كلَّ الاختلاف عن قراطيس[٣] القوم التي هم بأنفسهم قد اعترفوا قبل غيرهم ببشريتها. ففي نصوص القرآن الكريم نفسه ما يكفي للدلالة على أنّه وحي من الله تعالى أنزله على رسوله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، الذي بلّغه بدوره كما أوحي إليه من غير زيادة أو نقصان. ومن هذه الأمور ما يلي:

---

(١) هو الدكتور غراهام سكروجي: الأستاذ بمعهد مودي للكتاب المقدس في شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية، وأحد مشاهير المنصرين الأنجليكان في العالم.

(٢) Deedat, Ahmed: Is the Bible God's Word? P1.

(٣) سورة الأنعام: ٩١ .

١- العبارات القرآنية الدالة صراحةً على أنّ ما فيه ليس كلام النبي(ص)[1].

فالآيات بمثل هذا السياق في القرآن الكريم ليست بالعشرات بل بالمئات. فالمعهود في لغات العالم قاطبةً، أنّ الرسول(ص) حين يبلّغ عن مرسلِه أمراً أو نهياً فإنّما يعبّر عن مضمون الرسالة بأسلوبه وتعبيراته الخاصة. وحتى في حالة احتفاظه بنص الرسالة حرفاً حرفاً، فسيضطر لحذف ما صدر من المرسِل من صيغ الأمر أو الطلب المقصود بها الرسول نفسه دون المرسَل إليهم. وحين تأتي في القرآن الكريم عبارات كالتي تقدمت (قُل كذا وكذا) علمنا أنّ دور الرسول المبلّغ إياه قد اقتصر على نقله تاماً؛ لفظاً ومعنىً، دونما تصرّف أو إعادة صياغة. ومن جانب آخر، كان ذلك برهاناً على مباينة الأسلوب القرآني لأساليب البشر في أحاديثهم وتعبيراتهم.

٢- أضف إلى ذلك أنّ القرآن الكريم قد اشتمل على عبارات فيها عتاب صريح من الله الخالق، إلى عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم، في أمورٍ لا تمس أصل الدّين فاجتهد فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومع ذلك لم يُقَر على اجتهاده لحكمةٍ يعلمها الله تعالى. وليس بمعقولٍ أن نتصور بقاء هذه العبارات العِتابية في أكثر من موضع من القرآن الكريم لو كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعلاً هو واضعه كما يزعم هؤلاء المستشرقون. ومن هذه الآيات الكثير[2].

---

(١) سورة البقرة، الآية (١١١)، وسورة آل عمران، الآية (١٢)، وسورة الجن، الآية (٢٥)، وسورة الإخلاص، الآية (١).

(٢) ظ: آيات في السياق نفسه في: عبس: ١ ـ ٦ ، والأنفال: ٦٧-٦٨، و التوبة: ٤٣، و٨٤، والتحريم: ١.

٣- ولئن ثبت عدم كتمانه صلى الله عليه وآله وسلم أو حذفه شيئاً من القرآن الكريم، فقد ثبت بيقين أنّه لم يزد فيه شيئاً كذلك. فعلى الرغم من حاجته الشديدة إلى نزول الوحي في قصة الإفك في أسرع وقت ممكن، فإنّه قد انتظر قرابة شهرٍ قبل أن ينْزل الوحي. ولو كان القرآن الكريم من صنعه -كما يزعم المستشرقون- لما لزم هذا الانتظار.

٤- تعبيرات خطابية تشير من جهةٍ إلى أنّ الله تعالى يمنّ على رسوله٩ بما أوحى إليه من أخبار الأمم السابقة، ومن جهةٍ أخرى هي إفحام لمنكري رسالته وإلزام لهم بأنّه إنّما يتلقّى الوحي من لدن حكيم عليمٍ[(١)-(٢)].

أما بالنسبة لما تمسك به المستشرقون من الشبهات فإليكم الأجوبة عنها فيما يلي:

أولاً: شبهة التعلّم من اليهود الموجودين في جزيرة العرب آنذاك لا ننكر تواجد بعض القبائل اليهودية في الجزيرة العربية حين بُعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا أمرٌ قد ذكرته كتب المسلمين قبل غيرها. أما كون النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد نقل عنهم شيئاً مما في القرآن الكريم أو غيره من تعاليم الإسلام فهذا أمرٌ لا يمكن إثباته بطريقة علمية. وعلى العكس من ذلك، فإن جميع الحقائق التاريخية والعلمية تؤكّد عدم صحة مثل هذا الاختلاق.

---

(١) كالآية ٤٤ من سورة آل عمران، والآية ٤٥ من سورة القصص، والآية ٤٨ من سورة العنكبوت.

(٢) ظ: مفتريات على الإسلام، أحمد محمد جمال: ١٥-١٩.

فاليهود الموجودون في الجزيرة آنذاك لم يكونوا على ثقافة واسعة في الدّين، ولا على جانب من المعرفة بالدنيا تؤهِّلهم لمثل هذا الدور المزعوم، وإنما كان مستواهم الثقافي والاجتماعي متدنييْن إلى حدٍّ بعيد. وهذا ما ذهب إليه جماهير المؤرخين الغربيين أنفسهم.

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في حال العرب قبل الإسلام: ((إلى أن بعث الله سبحانه محمداً رسول الله٩ لإنجاز عِدته ، و تمام نبوته ، مأخوذاً على النبيين ميثاقه ، مشهورةً سِماته ، كريماً ميلاده . و أهل الأرض يومئذٍ مللٌ متفرقة ، و أهواءٌ منتشرة ، و طرائق مشتتة ، بين مشبهٍ لله بخلقهِ ، أو مُلحدٍ في اسمه ، أو مشيرٍ إلى غيره . فهداهم به من الضلالة ، و أنقذهم بمكانه من الجهالة))[١] .

و يقول (ع) : ((...فهم فيها تائهون حائرون ، جاهلون مفتونون . في خير دار و شر جيران. نومهم سهود، وكحلهم دموع. بأرضٍ عالمها مُلجم، وجاهلها مُكرم))[٢] .

و يقول (ع) : ((إن الله بعث محمداً٩ نذيراً للعالمين ، و أميناً على التنزيل ، و أنتم معشر العرب على شر دين ، منيخون بين حجارة خُشنٍ ، و حياتٍ صُم . تشربون الكدر ، و تأكلون الجشب ، و تسفكون دماءكم ، و تقطعون أرحامكم . الأصنام فيكم منصوبة ، و الآثام بكم معصوبة))[٣] .

---

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ، ١ .
(٢) نهج البلاغة ، الخطبة ، ٢ .
(٣) نهج البلاغة ، الخطبة ، ٢٦ .

و يقول (ع) : ((إن الله بعث محمداً۹ و ليس أحدٌ من العرب يقرأ كتاباً ، و لا يدعي نبوة ، فساق الناس حتى بوأهم محلتهم ، و بلغهم منجاتهم . فاستقامت قناتهم ، و اطمأنت صفاتهم))[١] .

و يقول (ع): ((أرسله على حين فترة من الرسل ، و طول هجعة من الأمم ... والدنيا كاسفة النور ، ظاهرة الغرور، ...))[٢] .

و يقول (ع) : ((فبعث محمداً۹ بالحق ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته، ومن طاعة الشيطان إلى طاعته، ...))[٣] .

وقد اعترف بهذا المستشرق اليهودي كاتش وإن أبدى –كما هو متوقّع– اعتراضه على موقفهم هذا[٤]. فـ(أهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب، ومعظمهم من حِمير الذين أخذوا بدين اليهودية، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلّق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها، مثل أخبار بدء الخليقة وما يرجع إلى الحدثان والملاحم وأمثال ذلك)[٥].

فقومٌ حالُهم ما وُصف، مِنْ سطحية المعلومات، وتدنّي المستوى الفكري والثقافي، كيف يمكنهم أن يؤثّروا في القرآن الكريم الحافل بالشرائع والمعارف والعلوم، بعضها لم تهتد إليه البشرية بكل ما أوتوا من تطور علمي

---

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ، ٣٣ .

(٢) نهج البلاغة ، الخطبة ، ٨٧ .

(٣) نهج البلاغة ، الخطبة ، ١٤٥ .

(٤) Katsh, Abraham, op.cit., p. xxv

(٥) تاريخ ابن خلدون: ١/ ٥٥١ (المقدّمة).

وتكنولوجي إلاّ بعد جهد جهيدٍ. ولعلنا نستشهد هنا بشيءٍ مما شهد به المنصفون من الباحثين الغربيين أيضاً.

وقد قالت المستشرقة بوجينا غايانة ستشيجفسكا، وهي باحثة بولونية معاصرة متخصصة في الدراسات القانونية: (إنَّ القرآن الكريم مع أنَّه أُنزل على رجلٍ عربيٍّ أُمِّي نشأ في أمّة أميّةٍ، فقد جاء بقوانين لا يمكن أن يتعلمها الإنسان إلاّ في أرقى الجامعات)[١].

وتقول ديورا بوتير: (كيف استطاع محمّد الرجل الأمّي الذي نشأ في بيئةٍ جاهلية أن يعرف معجزات الكون التي وصفها القرآن الكريم، والتي لا يزال العلم الحديث حتى يومنا هذا يسعى لاكتشافها؟ لا بد إذاً أن يكون هذا الكلام هو كلام الله عز وجل)[٢].

ومن جهةٍ أخرى، فإنَّ مؤرّخي اليهود أنفسهم يرون أنّ يهود الجزيرة العربية كانوا في معزلٍ عن بقية أبناء دينهم، وأنّ اليهود الآخرين لم يكونوا يرون أنّهم مثلهم في العقيدة، لأنّهم لم يحافظوا على الشرائع الموسوية ولم يخضعوا لأحكام التلمود[٣].

وذهب المستشرق الألماني (كاسكيل) إلى حدٍّ أبعد؛ حيث أنكر يهودية هؤلاء اليهود الموجودين في الجزيرة العربية استناداً إلى دراسة أسماء يهود

---

(١) الدولة الإسلامية وتشريعها ليوجينا ستشيجفسكا: ١٧، و قالوا عن الإسلام للدكتور عماد الدين خليل:٦٨.

(٢) رجال ونساء أسلموا، لعرفات كامل العشّي: ٨/ ١٠٩، و: قالوا عن الإسلام:٥٥.

(٣) تاريخ اليهود في بلاد العرب، ولفنسون إسرائيل:١٣، و: نقد الخطاب الاستشراقي لساسي الحاج: ١/ ٢٨٦-٢٨٧. وأشار أبرهام كاتش إلى هذا أيضا في اليهودية في الإسلام صفحة٢٥ من المقدمة.

الحجاز عند ظهور الإسلام، مقررًا أنّهم في أرجح الاحتمالات عربٌ متهوّدون[١]. ويتفق هذا إلى حدٍّ ما مع ما قرره ابن خلدون، حسبما جاء في النقل السابق عنه.

ثم إنّ القرآن الكريم فيه كثير من الآيات التي تؤنّب اليهود وتذكّرهم بأفعالهم الشنيعة، والتي منها: وصفهم الله عز وجل بصفات النقص، وتحريفهم للكلم عن مواضعه، وتركهم الحكم بموجب ما أنزل عليهم من الشرائع، وأكلهم أموال الناس بالباطل. فكيف يُعقل أن يكونوا هم مَن علَّم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم القرآن ثم يسكتون وهم يرونه ويسمعونه يكشف خبثهم ويفضح أمرهم، ولا يحتجّون عليه على الأقل ولو مرّةً واحدةً بأنّك لم تأخذ دينك وشرائعك إلا منّا.

هب أنّهم لم يفعلوا، فكيف يُظن بكفار قريش وغيرهم ممن رفضوا الدخول في دين الإسلام من عرب الجزيرة، وحاربوه بكل ما أوتوا من قوة ومال وولد. كيف يُظن بهم أنّهم يغفلون عن إقامة الحجة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإفحامه بذلك إن كان فعلاً قد اقتبس شيئاً من اليهود الموجودين آنذاك. ولا ننسى في هذا السياق أنّ هؤلاء الكفار قد تحالفوا وتآمروا مع اليهود عسكرياً وفكرياً ضد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أكثر من موقف. حتى إنّ قريشاً كانت تبعث رسلاً ليأتوا من اليهود بأسئلة تعجيزية يطرحونها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في مكّة[٢].

---

(١) نقد الخطاب الاستشراقي: ١/ ٢٨٧.

(٢) ظ: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، مهدي رزق الله أحمد: ١/ ١٩٩ (الطبعة الثانية).

فلو كان بأيديهم هذه الحجّة لم يكونوا ليفوتوا الفرصة على أنفسهم، ثم بدلاً من ذلك يرمونه بأنّه إنما يتعلّم قرآناً عربيّاً في غاية من الفصاحة والبيان من رجل أعجمي لا يكاد يُبين! كما حكى لنا ذلك القرآن الكريم، مفنّداً زعمهم هذا، ومبيّنا أنّه لا يتفق مع المنطق السليم.

المبحث الثالث:

المستشرقون وفرية أخذ القرآن من مصادر أخرى

أولاً: فرية أخذ القرآن من كتب اليهود والنصارى

البايبل (Bible) أو (الكتاب المقدس) ينقسم إلى جزئين رئيسين: الأول هو العهد القديم، ويقدّسه كل من اليهود والنصارى، والثاني: العهد الجديد، وهو خاص بالنصارى وحدهم.

يتضمن هذا الكتاب قصصاً ومواعظَ وشرائعَ وأحكاماً بعضها في الأصل مما أوحى الله تعالى به إلى أنبياء بني إسرائيل، لكن دخلت فيه أيدي التحريف والتبديل. والبعض الآخر لا يعدو كونه مذكّرات وحكايات لوقائع دوّنها أناسٌ من رجال الدين النصراني خاصةً، وهم إما شهود عيان أو قد رووا عن شهود عيان[(١)].

فعن هذا الكتاب يزعم بعض المستشرقين أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد استقى جلَّ ما في القرآن الكريم[(٢)]، ولمناقشة هذه الدعوى العارية عن أي دليل، نقول:

أولاً: إنّ دعوى الاقتباس من البايبل لا تستقيم إلا بعد اعتقاد كون النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ ويكتب[(٣)] . فإذا جئنا لنناقش هذا الأساس

---

(١) ظ: مصادر النصرانية؛ دراسةً ونقداً، لعبد الرزاق عبد المجيد ألاروص:٥٣-٢٩٧، و٣٧١-٤١٦.

(٢) The Encyclopaedia of Islam (New Edition), vol. v, p. 403.

(٣) المرجع نفسه، والصفحة كذلك.

الذي تنبني عليه فرية الاقتباس، نجد أمامنا حقيقة تاريخية راسخة رسوخ الجبال، ألا وهي أنّ حكمة الله البالغة قد اقتضت أن يكون نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم أميًّا لم يرَ يقرأ أو يكتب.

قال تعالى: ((الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ))[الأعراف: ١٥٧]

وقال تعالى: ((قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)) [الأعراف: ١٥٨]

إن هؤلاء المستشرقين كعادتهم يخرجون علينا بما ليس في جميع الكتب التي هي مَعِينهم ومصادر معلوماتهم، ولهذا فإنّهم يقعون في أخطاء لم يقع في مثلها من عاش في الجاهلية الجهلاء. فأعداء القرآن والنبي صلى الله عليه وآله وسلم في الجاهلية وإن كانوا أقل من المستشرقين ثقافةً، إلاّ أنّهم أكثر منهم دقّةً. فهم لما وجهوا اتّهامهم صوب القرآن الكريم قالوا (اكتتبه) محمّد، ولم يقولوا (كتبه)، اعترافاً منهم وإقراراً بأنّه لا يقرأ و لا يكتب، وهم يعرفون عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أكثر مما يعرفه أيّ مستشرق[1].

(١) ظ: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، للدكتور فضل حسن عبّاس :١٩٥.

هذا، وهناك رهطٌ قليل من المستشرقين وجدوا أنَّ هذه الحقيقة التاريخية أوضح من أن تُنكر، فاعترفوا مذعنين أو مضطرين أنَّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يقرأ ولا كان يكتب، بل كان كما وصفه القرآن[(١)]. ومن هؤلاء: هنري دي كاستري الذي قال في كتابه (الإسلام: سوانح وخواطر): (إنّ محمّداً ما كان يقرأ ولا يكتب، بل كان كما وصف نفسه مراراً نبيًّا أميًّا. وهو وصف لم يعارضه فيه أحدٌ من معاصريه، ولا شكّ أنّه يستحيل على رجلٍ في الشرق أن يتلقّى العلم بحيث لا تعلمه الناس، لأنّ حياة الشرقيين كلها ظاهرة للعيان)[(٢)].

ثانياً: ولَوْ سلّمنا جدلاً أنّه قد طالع أو قرأ شيئاً من البايبل كما يزعم هؤلاء، فمن المعلوم أن لا شيءَ من أسفار البايبل قد كُتب في الأصل باللغة العربية، فلا بد إذاً أن يعتمد على ترجمة عربية للكتاب. فهنا يصطدم المستشرقون بحقيقة تاريخية أخرى، ألا وهي أنّ أقدم ترجمة عربية للبايبل إنّما صدرت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنحو قرن من الزمن[(٣)]، عامَ ٧٢٤م أو ٧٥٠م، على يد يوحنا، أسقف إشبيلية بإسبانيا آنذاك[(٤)].

وقد شهد شاهدٌ آخر من البيت الاستشراقي، حيث قال المستشرق ر. في. س. بودلي: (إنَّ الشكوى الشائعة بأنّ محمداً قد انتحل البايبل (الكتاب

---

(١) Ali, M.M. Op.cit , p15.

(٢) نقلاً عن: الإسلام بين الإنصاف والجحود، لمحمد عبد الغني حسن :١٠٤.

(٣) والمقصود ترجمة البايبل كاملاً.

(٤) ظ: قاموس الكتاب المقدس لمجموعة من الأساتذة اللاهوتيين صفحة٧٧١ (ط١٤)، و البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل، أحمد حجازي السقا ١/ ٧٤-٧٥، و دراسات في الكتاب المقدس، لمحمود علي حماية صفحة١٨-٢٠.

المقدس) لا صحة لها، فلم يكن قد رآه قط. وباستثناء ما يمكن استثناؤه من قصاصات لترجمة ورقة [بن نوفل] غير المكتملة، لم يكن هناك أي بايبل يمكنه الاطّلاع عليه. وحتى هذه القصاصات أيضًا فإنَّ احتمالَ كونه قد رآها بعيدٌ).

The common complaint that Mohammed plagiarized the Bible is untrue. He had never seen it. With the possible exception of fragments of Waraka's incompleted version, there was no Bible for him to see. It is, moreover, most unlikely that he saw these(١).

وقال وليام مونتغمري واط: (ومن جانب آخر، فإن ثمة أسبابا عديدة لاعتقاد أنه لم يكن قد قرأ قط، لا البايبل ولا أيَّ كتاب آخر).

There are on the other hand, many reasons for thinking that he had never read the Bible or any other book(٢).

ثالثاً: أنَّ ما دعا هؤلاء المستشرقين إلى الاعتقاد بأنّ القرآن الكريم قد اقتُبس من البايبل، ما لمسوه من التوافق في مواضع بين نصوص الكتابين، وكأنَّ الأصل عندهم في الرسالات السماوية أن تتعارض وتتناقض.

بعض أسفار البايبل هي في الأصل مما أوحى الله تعالى به إلى بعض أنبيائه عليهم السلام، قبل أن يدخله ما دخله من التحريف والتبديل. ووجود توافق أو تشابه في بعض الأحكام والقصص بين رسالات الأنبياء والرسل أمر طبيعي؛ وهذا أمرٌ قد أكّده القرآن الكريم في مواضع.

---

(١) Bodley, R.V.C., op.cit., p. 86

(٢) Watt, W. Montgomery, Muhammad's Mecca p52.

قال تعالى: ((نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ))[آل عمران: ٣-٤]

وقال تعالى: ((وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ))[المائدة: ٤٨]

وقال تعالى: ((إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى)) [الأعلى: ١٨ – ١٩]

رابعاً: على أنّ ثمة اختلافات جوهرية بين بعض ما في القرآن الكريم وما في أيدي اليهود والنصارى اليومَ من كتبٍ هم يقدّسونها. ويعجب المرء من طريقة تعامل المستشرقين مع هذه النقطة أيضاً. حيث راحوا يقيسون ما في القرآن على ما في البايبل، فإذا وجدوا أدنى اختلاف بينهما قالوا إنَّ (محمَّداً) قد أخطأ هنا، أو إنّه نَقَل المعلومة عن مصادر غير موثوقة[1]. أوَليس الأجدر بهم وبالطريقة العلمية التي يدّعون سلوكَها أن يوازنوا بين النصّين موازنة علمية محايدة ليتوصّلوا إلى الصواب والخطأ.

---

(١) Watt, W.M, Muhammad at Mecca, pp27-28 و Watt, W.M. Muhammad, pp40,41 و Ali, M.M. op.cit, pp 27-33، ومادة ((القرآن)) ضمن مادة ((الإسلام)) في دائرة المعارف البريطانية ٢٢/٨-٩ The New Encyclopaedia Britannica.

وهذا ما فعله القلة منهم وقادهم إلى إعلان إسلامهم فور اكتشافهم موافقة ما في القرآن الكريم للحقائق كلها، المحسوسة منها والمعنوية، وتعارض البايبل كلَّ التعارض مع (أكثر معطيات العِلْم رسوخاً)، على حدّ تعبير المستشرق الفرنسي موريس بوكاي[١] . أما أنْ يكون للباحث موقف عداء ومعارضة من النص قبل النظر فيه، ثم يحشر الشُبَه والتعليلات التعسفية لتأييد هذا الموقف المتّخذ سلفاً فلا نعلم لذلك أيَّ صلة بالعلم، بل نجزم بأنّه منافٍ له.

فيزعم المستشرقون أن مصدر القرآن الكريم هو اليهودية والنصرانية، وأنه في هذا الاستمداد قد جمع بين كتب اليهود والنصارى (التوراة والإنجيل) وبين التراث الذي خلفه علماؤهم، وقد ورد التصريح بذلك فيما كتبوه.

فالمستشرق جولدزيهر يقول في سياق تشكيكه في مصدر القرآن الكريم من خلال تعدد القراءات، وأن القرآن ليس له نص واحد مع كثرة المحاولات التي لم يحالفها التوفيق، يقول ما نصه: (في آية ٥٤ من سورة البقرة يدور الحديث حول غضب موسى حين علم بصنع بني إسرائيل عجلاً من ذهب وعبادتهم إياه. أي فليقتل بعضكم بعضاً، أو بالمعنى الحرفي للنص: فاقتلوا أنفسكم بأنفسكم، وهذا ينطبق في الواقع على ما جاء في سفر الخروج فصل ٣٢ فصلة ٢٧ الذي هو مصدر الكلمات القرآنية)[٢].

---

(١) Bucaille, Maurice, The Bible, the Qur'an and Science p.viii (Introduction).

(٢) مذاهب التفسير الإسلامي: ١٠ .

ويقول في موضع آخر في تعميم يشمل الإسلام: (وكما تقدم تعاليم الإسلام، حتى في مرحلته البدائية صورة من مذهبي الانتخاب والمزج (من اليهودية والنصرانية وديانة الفرس وغيرها) كذلك عملت آثار أجنبية من التجارب العلمية النافذة من المحيط الخارجي في تنمية ما جد بعد ذلك من المسائل)[(١)].

كما زعم نفس الزعم المستشرقون: (تسدال)، (ماسيه)، (أندريه)، (لامنس) [(٢)].

ويقول المستشرق الألماني (شاخت) - موسعاً دائرة الاتهام في انتحال القرآن من غيره- تحت عنوان: (محمد والقرآن) ما نصه: (إن محمداً قد ظهر في مكة كمصلح ديني، وأنه احتج بشدة على كفار مكة من أهل مكة واعتبروه كمجرد كاهن، أو عراف آخر، وأنه بسبب قوة شخصيته قد دُعِي إلى المدينة في عام ٦٢٢م كحكم في نزاع قبلي بين أهل المدينة، وأنه كالنبي قد أصبح قائداً ومشرعاً، يحكم مجتمعاً جديداً على أساس ديني، وأن محمداً قد اقتبس من اليهود في المدينة كثيراً من الأحكام، إن روايات جمع القرآن ملفقة، لفَّقَهَا الفقهاء؛ وأصول الفقه وكذلك التشريعات الإسلامية منتحلة من القانون الروماني، والقانون البيزنطي، وقوانين الكنائس الشرقية، ومن التعاليم التلمودية، وأقوال الأحبار، ومن القانون الساساني. كل هذه القوانين والتعاليم والقواعد تَشَكَّلَ منها القانون الديني للإسلام)[(٣)].

---

(١) المصدر نفسه: ص ١٧١.

(٢) ظ: آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره: ١ / ٢٨٩، ٣٣٥.

(٣) مقدمة للشريعة الإسلامية: ٢٠، ٢١، نقلاً عن كتاب: القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي. حاشية: ١٠٣.

هذه هي الدعوى التي يدعيها المستشرقون ومن لف لفهم، وهي دعوى كاذبة في أصلها، مغرضة في هدفها، زائفة في شواهدها، منقوضة في كل جوانبها.

وقبل أن نخوض في الرد عليها يجب أن نحدد وجهة البحث في المسألة من أصلها ببيان علاقة القرآن الكريم بالكتب السابقة (التوراة والإنجيل).

تتمثل علاقة القرآن بما سبقه من الكتب، وفي مقدمتها (التوراة والإنجيل) في ثلاثة جوانب:

الجانب الأول: التصديق لما جاء فيها من أصول الإيمان، وأصول الشرائع التي لم تمتد إليها يد التحريف؛ لأن أصل الدين واحد، فلا يعتبر التشابه هنا دليلاً على أخذ القرآن مما قبله، بل هي أصول واحدة تواترت عليها الكتب.

الجانب الثاني: الهيمنة، وهي بمعنى: الشهادة والحفظ والرقابة(١) وهي هنا تعني الحكم على ما في هذه الكتب من حيث النسخ أو الإحكام، ونحو ذلك.

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور في شرح الآية مبيناً كنه العلاقة في الجانبين: (وقد أشارت الآية إلى حالتي القرآن بالنسبة لما قبله من الكتب، فهو مؤيد لبعض ما في الشرائع مقرر له، من كل حكم كانت مصلحته كلية لم تختلف مصلحته باختلاف الأمم والأزمان، وهو بهذا الوصف مصدِّق، أي محقق ومقرر، وهو أيضاً مبطل لبعض ما في الشرائع السالفة، وناسخ لأحكام كثيرة من كل ما كانت مصالحه جزئية مؤقتة مراعى فيها أحوال أقوام خاصة)(٢).

---

(١) لسان العرب، مادة: (همن).

(٢) التحرير والتنوير: ٦ / ٢٢١.

ولا يفوتنا هنا أن نذكر بأن هذا كله فيما لم تتناوله يد التحريف في هذه الكتب من أتباع النبيين الذين استحفظوا عليها فلم يحفظوها، وما أكثر ما بدلوا وغيروا فيها. كما أنه ليس من قبيل استباق الأمور، أو المصادرة على النتائج أن نؤكد حقيقة كون القرآن كله معجزاً محكماً متقناً لا يعتريه أدنى خلل، وتلك قضية قامت عليها أدلة الإعجاز، ولا تحتاج إلى دليل وراءه، والغرض من هذا التأكيد بيان أن ميزان الحكم القرآني على تلك العلاقة بينه وبين الكتب السابقة ميزان عدلٍ واحدٍ لا يتغير.

الجانب الثالث: من علاقة القرآن بما سبقه من الكتب: كشف ما فعله أهل الكتاب في شأن رسلهم، وما أجرموه في حقهم وحق كتبهم، وهذا الجانب هو موضوع الحديث، وهو الفيصل في نقض دعوى المستشرقين انتحال القرآن من اليهودية والنصرانية.

فهذا (ويل ديورانت) في كتاب قصة الحضارة يقول: (وكان في بلاد العرب كثيرون من المسيحيين، وكان منهم عدد قليل في مكة، وكان محمد على صلة وثيقة بواحد منهم على الأقل هو ورقة بن نوفل ابن عم خديجة، الذي كان مطلعاً على كتب اليهود، والمسيحيين المقدسة)[١].

تشاكل هذه القصة المختلقة قصة أخرى، هي قصة تعلم النبي ๑ من (الراهب بحيرى) من قرآن وتشريعات، مشيرين (هنا) إلى حقيقة مهمة جداً هي: أنّ كتب المسلمين التي تناولت السيرة النبوية هي التي جعلت لـ(بحيرى) مكانة في التاريخ.

---

(١) قصة الحضارة، ويل ديورانت ١٣ : ٢٣.

إن تواريخ النصارى - عموماً - فلا ذكر فيها له، فكل ما عرفه المستشرقون عن (بحيرى)[(١)] كان مصدرهم في ذلك كتب ومؤلفات المسلمين[(٢)].

أما ما زعمه بعض المستشرقين من أنّ النبي ٩ قد لازم ورقة بن نوفل فترة طويلة من الزمن[(٣)] أوصلها بعضهم إلى خمسة عشر عاماً قبل البعثة[(٤)] في تلفيقات ما أنزل الله بها من سلطان، صدقها البعض معتمدين على أقوال (الوضاعين) ممن يعتبرهم البعض أئمة في الفقه والحديث والتفسير. أمثال ابن القيم[(٥)]، وابن حجر العسقلاني[(٦)].

---

(١) بُحيرى أو بَحيرى أو بحيرا، اسم لراهب مسيحي أول من أورد قصته ابن هشام في (تهذيب السيرة) وأخذ من أتى من بعده منه، وهذا الراهب في واقع وجوده هو أقرب للأسطورة منه للواقع.

(٢) ظ: سيرة ابن هشام١ : ٣١٩ - ٣٢٢ ، وتاريخ الطبري١ : ٥١٩ - ٥٢٠، والبداية والنهاية لابن كثير٢ : ٢٨٣ - ٢٨٦.

(٣) ومن أبرز من حمل هذا الرأي: المستشرق البريطاني (مونتغمري وات) في كتابه: (محمد في مكة): ٥١.

(٤) ظ: نقد الخطاب الاستشراقي١ : ٢٧٩ - ٢٨٠.

(٥) في كتابه: زاد المعاد في هدي خير العباد٣ : ١٨. رغم تضعيف الترمذي للحديث الوارد. انظر: ضعيف الترمذي للألباني: ٢٥٦، ح٣٩٧.

(٦) ظ: الإصابة في تمييز الصحابة ٦ : ٦٠٧.

فنجد مثلاً بأن (الخوري الحداد)[١] المبشر اللبناني في (سلسلة إصداراته) ضد أصالة القرآن[٢] يستدل على صحة مزاعم أسلافه من المنصّرين بقوله: (فوجود العالِم المسيحي ورقة بن نوفل في جوار محمد خمسة عشر عاماً قبل البعثة، وأعواماً بعدها في أوائل الدعوة ووجود هذه الحاشية الكريمة في المدينة مع النبي في كل مكان حجة قاطعة على أنّ بيئة النبي والقرآن كانت كتابية من كل نواحيها، وأن ثقافة محمد والقرآن كتابية في كل مظاهرها، وذلك بمعزل عن الوحي والتنزيل)[٣].

أمّا ما زعمه المستشرق (مونتغمري وات) من أنّ النبي محمد ﷺ قد لازم ورقة فترة من الزمن[٤]، فهذا المدعى ليس بالشيء الصحيح، ولا يوجد أي دليل تاريخي موثق عليه، بل نجد أنّ بعض المستشرقين قد وصل بهم السفه إلى القول بأنّ الملازمة هذه دامت خمسة عشر عاماً قبل البعثة[٥].

---

(١) يوسف إلياس الحداد، مبشر مسيحي لبناني، كرس جهوده للهجوم على القرآن والإسلام، تصدى له ورد عليه الأستاذ (محمد عزة دروزة) في كتابه (القرآن والمبشرون) الذي طبعه المكتب الإسلامي في بيروت سنة (١٩٧٢م).

(٢) صدرت هذه السلسلة منتصف القرن العشرين في أربع مجلدات طبعتها مطبعة حريصا البولسية في لبنان بعنوان (دروس قرآنية) مع عنوان خاص لكل كتاب، وجاءت على النحو التالي: (١ـ الإنجيل والقرآن.٢ـ القرآن والكتاب.٣ـ القرآن والكتاب وهو تكملة للجزء الثاني.٤ـ نظم القرآن والكتاب).

(٣) القرآن والكتاب، الحداد٢ : ١٠٦٠.

(٤) محمد في مكة، مونتغمري وات: ٥١.

(٥) نقد الخطاب الاستشراقي ١ : ٢٧٩ - ٢٨٠.

كما ونجد أن (لويس شيخو)[1] - مثلاً - قد ذهب إلى أنّ وفاة ورقة بن نوفل كانت في عام (٥٩٢م) من دون أن يحدد الأدلة والبراهين التي دفعته إلى تبني مثل هذا المدعى[2].

ونجد المستشرق (جولدتسيهر) يقول وبحسب رأيه عن تعارض الأحاديث مع نص القرآن: (فلا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافاً عقدياً على أنّه نصّ منزل أو موحى به يقدم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات كما نجد في نصّ القرآن)[3].

---

(١) لويس شيخو اليسوعي (١٨٥٩ - ١٩٢٧م) راهب كلداني، وأديب ومؤلف، أنشأ مجلة (المشرق) في بيروت سنة (١٨٩٨م)، همه في كل ما يكتب خدمة طائفته فقط.

(٢) شعراء النصرانية١ : ٦١٦.

(٣) مذاهب التفسير الإسلامي، جولدتسيهر: ٤.

ثانياً: المستشرقون وفرية تأثير الأعراف والتقاليد الجاهلية على القرآن

إن هذه ـ عموماً تعد حالياً ـ آخر عقدة من سلسلة اتّهامات المستشرقين المجحفة في حق القرآن الكريم والنبي محمد صلى الله عليه وسلم. حيث زعموا أنَّ جزءًا من القرآن المجيد إنّما تولّد من تأثير البيئة التي عاش فيها محمد صلى الله عليه وسلم، وأنّه قد ضمّنه بعض أعراف الجاهليين وتقاليدهم(١).

في هذا يقول المستشرق الإنجليزي هاملتون جب: (إنَّ محمدًا ككل شخصية مبدعة قد تأثّر بضرورات الظروف الخارجية المحيطة به من جهة، ثم من جهةٍ أخرى قد شقَّ طريقاً جديداً بين الأفكار والعقائد السائدة في زمانه، والدائرة في المكان الذي نشأ فيه... وانطباع هذا الدّور المتاز لمكّة يمكن أن نقف على أثره واضحاً في كل أدوار حياة محمّدٍ. وبتعبير إنساني: إنَّ محمدًا نجح لأنّه كان واحداً من المكّيين)(٢).

وقال المستشرق برنارد لويس: (تروي السنّة بعض الأخبار عن الحنفاء الذين لم يرتضوا دين قومهم الوثني، ولم يقتنعوا لا بالنصرانية ولا باليهودية، فيجب أن نبحث عن أصول محمّد عند هؤلاء)(٣).

إن الرد على هذه الدعوى يأتي في نقاط:

أولاً: أننا لا ندّعي أنَّ القرآن الكريم حين نزل على النبي محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، كان الناس بلا أعراف ولا تقاليد، كلاّ. فالجاهليون كغيرهم قد نشؤا على عادات بل ومعتقدات وعبادات منها الصالح، والآخر طالح.

---

(١) Schacht, Joseph. An Introduction to Islamic Law, pp11-12 ; Hussain, Asaf et al. (editors), op. cit., p. 15

(٢) Gibb, H. Mohammedanism, p.27.

(٣) Lewis, Bernard. The Arabs in History, p.39

وقد استوعب الإسلامُ الصالحَ من أعراف الجاهليين وأبقى عليها، وألغى في الوقت نفسه الأعراف الفاسدة وأبطلها؛ فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم إنّما بُعث ليُتمم مكارم الأخلاق.

ومما يؤكّد لنا أنّ القرآن الكريم لم يأت لتبني ما لدى الجاهليين كما يدندن المستشرقون حوله، ما أمر الله به رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، من إعلانٍ صريحٍ وواضحٍ لهؤلاء الجاهليين بأنّه قد أوحي إليه بدينٍ مناقضٍ لما هم عليه من الشرك والإلحاد.

قال تعالى: ((قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ)) [الكافرون: ١ – ٢].

ثانياً: أنّه لو كان الأمر كما يدّعيه هؤلاء المستشرقون لأبقى الإسلام على جميع أعراف الجاهليين و تقاليدهم، ولما حرّم بعضها وأباح البعض الآخر[(١)]. ونحن نعلم يقيناً أنّ ما ألغاه الإسلامُ قرآناً أو سنّةً من عادات الجاهليين وتقاليدهم أضعاف ما أبقاهم عليه. فلو أخذنا باب البيوع مثلاً، نجد عدداً كبيراً من بيوع الجاهليين التي كانت تُبنى على الظلم، واستغلال حاجات الناس، وأكل أموالهم بالباطل، فمنعها الإسلام ووضع حدًّا لها. كبيع النَّجش[(٢)]، وبيع السلعة قبل تملّكها وقبضها، وبيع الثمار قبل بدو صلاحها، وبيع المسلم على بيع أخيه، وبيوع الغرر، والبيعتين في بيعة، وبيع الدَّيْن بالدَّيْن، وبيع المعدوم، وبيع حبل الحبلة[(٣)]، وبيع العِينة[(٤)]، وبيع الحاضر للبادي،

---

(١) نقد الخطاب الاستشراقي: ١/ ٢٧٥

(٢) أن يزيد في ثمن السلعة ولا يريد شراءها، وإنما ليغرر بغيره فيزيد في السعر.

(٣) بيع ما ستلده الأجنة التي ما زالت في بطون أمهاتها.

(٤) بيع الشيء نسيئة ثم شراؤه ممن بيع له نقداً بثمن أقل.

وتلقّي الركبان، وبيوع المصرّاة[١]، والمزابنة[٢]، والملامسة[٣]، والمنابذة[٤]، وغير ذلك.

وهكذا الأمر في أنكحة الجاهليين التي لا تتوافق مع كرامة الإنسان[٥]، وتدنو به من مصاف الحيوان. كأنكحة الشغار، والمُحلِّل، والمتعة، والنكاح بلا ولي، والنكاح في العِدّة، ونكاح المحرّمات بالنسب أو بالرضاعة أو بالمصاهرة، وغير ذلك مما ألغاه الإسلام وأبطله[٦]، رحمةً بالعباد، وتكريماً لهم وتشريفاً. أما أما ما كان موافقاً للفطرة السليمة التي فطر اللهُ الناس عليها، فقد أبقاه الإسلام، بل ورغّبهم فيه، لأنّه دين الفطرة[٧]، أتى لتحقيق مصالح العباد ودرء المفاسد عنهم.

ثالثاً: أنّ تصوّر كون الشعب الجاهلي الأمّيّ هو مصدر ما في القرآن الكريم من التشريعات البالغة في الدّقة والإتقان حدّاً لا يُمكن تعلّم أمثالها إلاَّ

---

(١) المصرّاة: الشاة ونحوها إذا حبس لبنها في ضرعها فلم يحلب ليظن من يشتريها أنها كثيرة اللبن.

(٢) المزابنة: بيع معلوم القدر بمجهول القدر من جنسه، أو بيع مجهول القدر بمجهول القدر من جنسه.

(٣) بيع الملامسة: أن يتفق المتعاقدان على تسليم ما تلمسه يد المشتري بمبلغ كذا.

(٤) بيع المنابذة: أن يشتري الثوب دون تعيين على أن يأخذ الثوب الذي ينبذه إليه البائع.

وراجع في التعريفات السابقة كلها: التعريفات للجرجاني، ومعجم لغة الفقهاء للأستاذ الدكتور محمد رواس قلعه جي، وكلاهما مرتب على حروف الهجاء.

(٥) قال الله تعالى: ((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)) [الإسراء: ٧٠].

(٦) كوأد البنات، وظُلم اليتامى، وإرث النساء كرهاً ... الخ.

(٧) وفي الحديث الصحيح: (كل مولود يُولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه) . صحيح البخاري: ١/ ٤٦٥، و صحيح مسلم: ٤/ ٢٠٤٧.

في أرقى الجامعات، يُعدُّ هذا التصوّر أمراً غريباً لا يستقيم مع ما يدّعيه المستشرقون من التزام النَهج العلمي في تفكيرهم وأبحاثهم[١].

رابعاً: إنّ إقدام المستشرقين على مثل هذه الفرية الواهية اعتراف مبطَّن بكساد أهم بضاعتهم وسلاحهم في محاربة القرآن الكريم، ألا وهو دعوى الاقتباس من الديانتين اليهودية والنصرانية، وقد تقدّمت مناقشة ذلك أيضاً بالتفصيل.

هكذا نجد أنَّ المستشرقين قد تخبطوا في هذه المسألة تخبطاً عجيباً، وتناقضوا فيها تناقضات كبيرة، حتى صار كل طرفٍ يدّعي شيئاً ثم ينفيه الطرف الآخر[٢]. وتظلُّ الحقيقة التي لا يجادل فيها إلا مكابر أنَّ القرآن الكريم لا يمكن أن يكون نتاجاً بسيطاً للمؤثرات الخارجية، كما قد رأينا ذلك من خلال المناقشات السابقة. فالمصدر الوحيد للقرآن الكريم هو الله تعالى وحده لا شريك له، الذي تحدّى البشرية بالإتيان بسورة مثله، ولم يأتوا ولن يأتوا بها إلى الأبد.

إن الأساس الذي بنى عليه المستشرقون موقفهم في هذه الدعوى وما قبلها هو: اعتقادهم أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يطلب زعامة سياسية، وسيادة دنيوية وجد في نفسه مقوماتها، وأن ظروف النشأة في مكة كانت مواتية لذلك.

يرى المستشرق هاملتون جب: (أن مكة كانت فيها حياة زاخرة بالتجارة والسياسة والدين، وأنه وجدت فيها زعامة وزعماء، وأنه وجد ظلم اجتماعي

---

(١) ظ: مدخل إلى القرآن الكريم، لدراز :١٤٦.

(٢) Hussain, Asaf et al. (editors), op. cit., pp15-16.

بين سكانها، وأن الرسول انطبعت في نفسه كل هذه الجوانب، وكان على وعي تام بها، وترى آثارها في حياته: في قرآنه وفي كفاحه إلى أن مات)[(١)].

ويرى (جب) كذلك (أن ثورة الرسول النفسية لم تبرز في صورة إصلاح اجتماعي، ولم يقم بها على أنه مصلح للحياة المكية الاجتماعية، وإنما برزت في صورة دينية، وفي صورة أنه رسول؛ وذلك لأنه أراد أن يستغل قيم المقدسات الدينية بمكة في الزعامة، والرواج الاقتصادي! ومعارضة المكيين إياه لذلك كانت معارضة في الزعامة السياسية، وخشية على ازدهارهم الاقتصادي من أن يضعف لو قبلوا دعوته، ولم تكن معارضتهم إياه بسبب العقيدة والإيمان! وإلا فالقرآن نفسه يدل على أن فكرة الوحدانية وهي الفكرة الأساسية في الإسلام كانت معروفة في غربي الجزيرة العربية)[(٢)].

بعد ذلك يمكن أن يكون البحث في دعوى (أن البيئة الجاهلية مصدر القرآن) مبنيا على جملة من المقدمات وضعها المستشرقون ليستنتجو منها نتائج لا تفضي إليها تلك المقدمات.

لقد حاول المستشرقون أن يجعلوا من رسالة الإسلام امتداداً للحركة الدينية التي كانت سائدة في الجزيرة العربية، ذلك أن مجتمع العرب قبل الإسلام كانت تتوافر فيه كل مقومات الحياة الدينية التي جاءت بها رسالة الإسلام من اعتقاد وتشريع وأخلاق.

ففي مجال الاعتقاد زعم هؤلاء أن العرب عرفوا التوحيد، ودانوا به، ولم يشركوا في عبادة الله، وفي مجال العبادات زعموا أن العرب كانوا يصلُّون،

---

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، محمد البهي: ٢٢٨، ٢٢٩.

(٢) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، محمد البهي: ٢٢٨، ٢٢٩.

ويحجُّون ويعتمرون، وفي مجال الأخلاق زعموا أنهم اتصفوا بالعفة والشجاعة، والكرم وإغاثة الملهوف، وذلك هو ما جاء به الإسلام، فالأمر لا يعدو إذاً أن يكون القرآن نتاج هذه الحياة الراقية، وأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لا يعدو أن يكون زعيماً استلهم حياة الجاهلية في عصره، وقدمها في كتابه الذي قال فيه إنه وحي، وإنه رسول.

يقول الدكتور محمد عبد الله دراز: ففي مقال له أي (رينان) عن (محمد ومصادر الإسلام): (عرض لنا صورة رائعة للجزيرة العربية في القرن السادس بعد الميلاد، وبدلاً من هذا الشعب المشرك الذي تعرفه الدنيا، وضع لنا شعباً آخر لم يعرف في حياته عن الله تعدداً ولا تنوعاً، وإنما عرفه كإله واحد لم يلد ولم يولد، كما نجح هذا المستشرق في إبراز الذوق الأدبي الرفيع لهذا الشعب، ونظرته الواقعية القوية، وفي إغفال سائر الصفات الأخرى التي لا تشرفه، فبدلاً من هذه النزعة المادية الطاغية الفاسدة التي لا تلتفت إلى أي تفكير ينتمي إلى الحقائق السامية، رسم لنا مجتمعاً في أوج حماسه الديني التقت فيه جميع الديانات، وجميع الحضارات، بالإضافة إلى أن الدين كان شغله الشاغل، وعلى هذا المنوال لا تعدو أن تكون رسالة محمد امتداداً للحركة الدينية التي سارت في عصره دون أن يسبقها محمد في أي جديد)[١].

نعم، إن دعوات التشكيك بالقرآن، وكونه مكتسب من مصادر أُخر، وادعاءات بشرية النص القرآني[٢] ما هي إلا (ثقافة إلغاء كل مقدس، وإشاعة

---

(١) المدخل إلى دراسة القرآن الكريم: ١٢٩ ـ ١٣٠.

(٢) فلقد زعم المشركون أن الرسول(ص) **((إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ))**سورة النحل، الآية: ١٠٣، فجعل بعض الرهبان والمستشرقون من هذا البشر هو (بحيرى الراهب).

الفوضى النصية في فضاء ملوث، يتسنى فيه لكل قاصر ومقصر دعوى النبوة لنفسه، والاستغناء عن الإسلام الخالد)[١].

ثالثاً: المستشرقون وفرية أخذ القرآن من الحنفاء

إن مادة الكلمة (ح ن ف) تدل على الميل، وعليه فالحنيف مطلقاً هو: المائل من شرٍ إلى خير، أو من خيرٍ إلى شر، ومنه أُخِذ الحَنَفُ، وحَنَفَ: مال، والحنيف: المسلم الذي يتحنف عن الأديان، أي يميل إلى الحق، وقيل: هو من أسلم في أمر الله فلم يَلْتوِ في شيء، قال أبو عبيدة في قول الله عز وجل: (**ملة ابراهيم حنيفا**) قال: من كان على دين إبراهيم فهو حنيف عند العرب، وكان عبدة الأوثان في الجاهلية يقولون: نحن حنفاء على دين إبراهيم، فلما جاء الإسلام سموا المسلم: حنيفاً[٢].

هذا هو معنى الكلمة في الإسلام، وإذا كان كل مسلم حنيفاً فإن التخصيص في التسمية لم تعد له ضرورة، بل هي صفة تذكر عند تعداد ما عليه المسلم من استقامة في منهجه.

أما الحنفاء إذا ذكروا في مضمار البحث التاريخي فهم أعداد متفرقون من الناس مالوا عن الوثنية وعبادة الأصنام إلى التوحيد، ولم تنتظمهم بعد ذلك شريعة واحدة، بل كان ظهورهم في أماكن مختلفة، وفي أزمان متباعدة، (فظهروا في اليمن متأثرين بمبادئ التوحيد التي حملتها إليهم اليهودية والنصرانية... وظهروا في الجزيرة العربية امتداداً لدعوة أنبياء الله إبراهيم وابنه إسماعيل فبقوا محافظين على شيء من تراث إبراهيم من دعوة إلى الوحدانية

---

(١) دعوى بشرية القرآن، محمد الربيعي: ٢١، مقدمة الشيخ طلال الحسن.

(٢) لسان العرب: لابن منظور، مادة: (حنف).

ونبذ لعبادة الأصنام، والإقرار بالبعث والنشور، والحشر وتبشير المؤمنين بالجنة، وتخويف الكافرين من النار، والابتعاد عن الخمر ووأد البنات وسيِّئ الأخلاق)[١].

إن هذه الدعوة التي دعا إليها هؤلاء الذين أرقهم ضلال الناس وجهلهم، فأرادوا أن ينأوا بأنفسهم عنها إلى ما كان من دين إبراهيم عليه السلام هي التي جعلت المستشرقين يعتقدون أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أخذ منهم الوحي وكانوا مصدره فيما جاء به من القرآن.

وقد ذهب إلى هذه الدعوى جملة من المستشرقين منهم (تسدال) و(كانون رسل)[٢] وهم في ذلك يُغفلون من الحقائق التاريخية والملابسات ما يفقدهم أي أساس أو سند في دعواهم، ويجعلها مجرد اتهام لا يستند إلى دليل، ويمكن أن نقرر ذلك فيما يلي:

أولاً: لم يثبت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جلس إلى هؤلاء أو تَعَلَّم منهم.

ثانياً: إن هؤلاء الحنفاء أنفسهم كانوا يتطلعون إلى نبي يبعث فيجدد دين إبراهيم عليه السلام ليتبعوه، ويسيروا معه على هذا الدين الحق.

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره: ١ / ٢٦٥.

(٢) ظ: آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره: ١ / ٢٦٣.

المبحث الرابع:
المستشرقون ومعاملة القرآن الكريم كعمل أدبي

إن شبهة اعتبار القرآن الكريم أدبا يخضع لخصائص وطبائع الأدب الأرضي البشري، وهكذا تعاملت الدراسات الاستشراقية معه بعيدا عن القدسية الدينية التي يعامل بها المسلمون المؤمنون كلام الله تعالى، وهذا في الواقع انعكاس لطبيعة تعامل المستشرقين مع كتبهم الدينية حيث يدرسونها كما يدرسون الآثار الأدبية القديمة والأساطير والملاحم الخرافية(١).

إن هذه الظاهرة تكاد تكون عامة في كتب (تاريخ الأدب) حيث تعرضوا للقرآن باعتباره يمثل مرحلة من مراحل الأدب العربي، وقوموه بالمقاييس الأدبية الأوربية تارة وبالعربية تارة أخرى، وفي هذا الصدد نشير إلى مثال واحد من أمثلة لا تكاد تحصى كثرة، نشير إلى مقارنة المستشرق الألماني كارل بروكلمان بين القرآن وسجع الكهان حيث يقول: (ولكن محمدا التاجر المكي هو الذي ساقته ضرورة دينية أعز وأقوى إلى أن يعلن صلته بالله...واستخدم محمد في دعوته أساليب الكاهن...كان محمد في أقدم مراحل دعوته الدينية يطلق ما يدور بخلده، وهو صادق الاستغراق والغيبوبة، في جمل مؤثرة يغلب عليها التقطع والإيجاز وتأخذ طابع سجع الكهان)(٢).

---

(١) ظ: الاستشراق الأدبي، شلتاغ عبود، ضمن رسالة الجهاد، ع٨٩، س ١٩٩٠م، ص٨١.

(٢) تاريخ الأدب العربي، بروكلمان: ١/ ١٣٤-١٣٧.

والحق أنها تكرار لدعوة الوثنيين في مقاومة فكرة أن القرآن وحي من عند الله تعالى.

فزعموا بقولهم الذي نقله القرآن الكريم لنا: ((**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَـذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا**))[الفرقان: ٤]

وقالوا أنه: ((**وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**))[الفرقان: ٥] .

وقالوا أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم: ((**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**))[النحل: ١٠٣] .

إن من توابع هذا حديثهم عن (النص المقدس) والإسلام كما هو معروف لا يستعمل هذا الوصف لا على صعيد التصور العقلي ولا على صعيد الممارسة العملية، ولكن ثمة بدائل لهذا المصطلح مثل (القرآن الكريم). غير أن هذه البدائل لا تعني في المجال التداولي الإسلامي ما تعنيه في فضائه الغربي. وإن استعماله عربيا ليعد استعارة مسيحية تسللت كأمور كثيرة إلى الفضاء الدلالي في الإسلام المعاصر. وإن معناه ليتحدد بإطلاقه على العهد القديم والعهد الجديد. كما يطلق على الناتج الثقافي المسيحي في الفن والرسم وبعض الآداب والتفاسير التي أضفيت إليها هالة القداسة عندهم. وهذا الالتباس للأسف الشديد جعل أمثال محمد أركون وجلال العظم ونصر حامد أبو زيد وغيرهم...يستعملونه اقتباسا من أساتذتهم المستشرقين ويوظفونه لإسقاط أي قداسة من على القرآن الكريم، وليبيحوا لأنفسهم أن يقولوا ما يشاءون؛ لأن الأمر لا يعدو أن يتعلق بنص شأنه كشأن باقي النصوص التي

يخضعونها للتشريح والنقد الخالي من الإيمان... ويسمون قصصه (أساطير) (myths)، مما يذكّرنا بالقرشيين، الذين كانوا كلما اعياهم أمر هذا الكتاب، ولم يستطيعوا أن يقفوا في طريقه، أو يردّوا على حُجَجه، أو يأتوا بمثله حسبما تحداهم أكثر من مرة صاحوا قائلين بأنه (**أساطير الأولين**)[(١)]. يقصدون بذلك أن القرآن الذي نزّله الله على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ليس إلا قصصا نقلها النبي عما خلّفه السابقون وراءهم من قَصَص مسطور. إذ يريدون القول بأن القرآن ليس وحيا إلهيا، بل إنتاج بشري شأنه شأن قصص العنقاء وأساطير اليونان الخرافية التي تحكى عن زيوس وبروميثيوس.

---

(١) ظ: الآيات: (الأنعام: ٢٥، الأنفال: ٣١، والنحل: ٢٤، والمؤمنون: ٨٣، والفرقان: ٥، والنمل: ٦٨، والأحقاف: ١٧، والقلم:١٥، والمطففين: ١٣).

المبحث الخامس:

المستشرقون وإشكالية عدم صلاحية القرآن للزمان والمكان (تاريخانية النص القرآني)

إن هذا ليس بالمدعى الجديد، ولا بالمنتهي، فهو يتكرر في كل زمان، ومكان، وأساسه مبني على (عدم صلاحية القرآن لكل زمان).

فإن القول بـ(تاريخانية القرآن)، ووقتية أحكام القرآن، وعدم صلاحيته لكل زمان من الدعوات التي تتكرر كل يوم، حتى جاء أدعياء الفكر المادي بلباس جديد لهذه الشبهة هو (التاريخانية)[1].

إنّ هذه الدعوى الموجهة للقرآن الكريم ليست جديدة كما ذكرنا، فلقد سبق وأن تبناها فلاسفة ما يسمى بعصر التنوير الغربي، وقادة الفكر العلماني في نقدهم للتوراة، والإنجيل، فاستوردها بعض من المستشرقين، ومن اللاهثين وراءهم ليطبقوها على القرآن الكريم، وذلك لإثارة الشبهات حوله، والهدف من وراء ذلك هو عدم الأخذ به بحجة انتهاء صلاحيته.

يتعامل الخطاب العلماني مع النص القرآني بوصفه (نصاً تاريخياً)، وبالتالي يعني: إخضاع (النص القرآني) للقراءة النقدية عن طريق النقد

---

(١) المنهج (التاريخاني): هو المنهج الذي يرى أنّ تفسير النص يجب أن يكون مرهوناً بتاريخه، ويجب أن يكون ساكناً هناك ملاصقاً للحظة ميلاده، إذ لا يمكن فصل أي نصّ عن تاريخه، وهو مبتن على نزعة مادية وضعية لا تؤمن بأنّ الأديان من عند الله تعالى، ولقد حاول البعض إلصاق النص بالتاريخ لتسويغ التخلي عنه، ولقد حمل التاريخانيون لواء التشكيك في تجديدية وتجددية القرآن الكريم، وعدم صلاحيته لكل زمان ومكان.

التاريخي المقارن ، و التحليل الألسني التفكيكي ، و نحوها من مناهج العلوم الإنسانية و الاجتماعية .

وفي سبيل تحقيق الغايات المنشودة، يدعو الخطاب العلماني إلى التوسل بالدراسة التفكيكية للنصوص المقدسة ، و إلى قراءتها على انها نصوص تاريخية منفصلة عن مصدرها ، أو ما يسمى في البنيوية بـ(موت المؤلف). كما يتبنى هذا الخطاب في دراسته للقرآن الكريم (الهرمينوطيقا) التي تقوم في الدراسات الأدبية على التفرقة بين (المعنى) و(المغزى)، حيث ان المغزى قد يختلف لكن معناه ثابت ، و المغزى يقوم على العلاقة بين النص و الواقع، والواقع متجدد و متغير .

ان التفريق بين (معنى) و (مغزى) النصوص : أي المعنى الذي يمثل الدلالة التاريخية للنصوص في سياق تكونها ، و المغزى الذي هو محصلة قراءة عصر غير عصر النزول .هذا التفريق (المزعوم) يقتضي الحكم على كتاب الله تعالى باعتباره (نصوصاً) تاريخية . و يوضح ذلك ، ان مصطلح (تاريخية النصوص المقدسة) متأثر إلى حد كبير بإسقاط (النظرية النسبية) في الدراسات الأدبية و التاريخية المعاصرة على النص القرآني .

فالتاريخية أو (التاريخانية) هنا ؛ إخضاع النص القرآني للقراءة كنص بشري ، أو كنص إلهي محكوم بسقف التاريخ و الثقافة . إذ تدعو التاريخية إلى تفريغ جعبة النص الديني من مفاهيم العالمية و الاطلاقية و نزع صفة الخلود و الصلاحية لكل زمان و مكان عنه ، و ذلك بغية الالتفاف على حقيقة كونية القرآن من خلال احالته إلى التاريخ و النظر اليه باعتباره نصا تاريخيا محكوم بشروط تاريخية و ظرفية يزول بزوالها ، و تعمل على ربط القرآن بسياقات

تنزله ، و تفسير معانيه تفسيراً تـداولياً قاصـراً مـن خـلال الخـوض في مسـألة أسباب النزول و الناسخ و المنسوخ و المكي و المدني و غيرهـا مـن القضـايا ، فالغاية من (أرخنة) الخطاب القرآني بحسـب تعـبير (أركـون) هـي العـودة بالقرآن بشكل علمي إلى قاعدته البيئوية و العرقيـة ـ اللغويـة و الاجتماعيـة و السياسـية ـ الخاصـة بحيـاة القبائـل في مكـة و المدينـة في بدايـة القـرن السـابع الميلادي ، و هذا الجهد يجد مشروعيته في بأن القـرآن الكـريم خطـاب تـاريخي يتغير فهمه و معناه مع تغير الزمان و المكان ، و بناء على ذلـك فمـا جـاء فيـه من عقائد و شرائع تتغير و تتبدل مع تبدل الزمان و المكان ، و هـذا التبـدل لا يقصد منه المرونة في الاجتهاد الفقهي المواكب لمتغيرات الواقـع عـبر الزمـان و المكان بمقدار ما يعني به عدم صلاحية الحكم الشـرعي لكـل زمـان و مكـان ، فهو وقتي ، بمعنى أنه جاء لوقت قد مضى ، و لم يعد يتلائم مع الوضع الحـالي ، و بالتالي يجب أن تتغير تفسيراته بما يناسب الوضع المستجد . و هذه القـراءة سوف تساهم في تعرية النص القرآنـي مـن القداسـة تمامـاً كمـا حصـل بشـأن التوراة و الإنجيل .

إن تصفح مفهـوم (تاريخيـة الـنص) في الفكـر الغربـي ، و الـذي يرجـع تحديداً إلى ظهور الماركسية الجدلية من جهـة ، و ظهـور مفـاهيم علـم اجتمـاع المعرفة من جهة ثانية ، يقود إلى ان الوجود الاجتماعي للناس هو الـذي يحـدد وعيهم أو علاقة الفكر بالواقع .

إن الفكر (التأويلي) (الهرمينـوطيقي) مـأخوذ مـن هيرمـونطيقيين كــ(شلايرماخر) و (هايدجر) و (بول ريكور) و (غادامير) . حتى سرى هذا

التأثير إلى كتاب ايرانيين معاصرين أمثال (عبد الكريم سروش) . فكانت جميع هذه الاطاريح الشرقية نقل مبستر لأفكار (شلايرماخر) و (غادامير).

نحن نقف إلى جانب (التأويل) النابع من آليات القرآن الكريم أو من آليات النص الصحيح الشارح له النابع من فكر مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) . و لن نقف إلى جانب (تأويلات) الهرمينوطيقا الغربية المبنية على أساس الانقلاب الناقد لكل النصوص الدينية إثر صدمة الكنيسة .

لقد ظهرت محاولات (نصر حامد أبو زيد) في القراءة التاريخية للنص القرآني في كتابه (مفهوم النص) ، و هو المتأثر بمدرسة استاذه (أمين الخولي) ، و أفكار (طه حسين) .

يُدخل (أبو زيد) مجال التاريخية و جدل (النص و الواقع) أساسيين لتشكيل وعي علمي ، فيبني قراءة النص طبقاً لآليات العقل التاريخي و ليس وفق العقل الغيبي الأسطوري بحسب تعبير (علي حرب) في كتابه (نقد النص)[1] .

لقد أخضَعَ كل من (نصر حامد أبو زيد ، و أدونيس ، و محمد أركون) النص القرآني لسلطة و نصوصية المنهج اللغوي ، و السيميائي ، و الاركيولوجي ، و السيسيولوجي ، و الهرمينوطيقي ، و النقد التاريخي .

فلماذا يخضع نص القرآن الكريم لسلطة و نصوصية هذه المناهج دون ان تكون هذه المناهج خاضعة له ؟

---

(١) نقد النص، علي حرب: ٢٠٥ .

المعروف ان العلماء ـ على سبيل المثال ـ يستشهدون على صحة قاعدة نحوية أو بلاغية بشاهد قرآني لإثبات صحة القاعدة (المفترضة) ، و ليس العكس ، فالنص القرآني لا يمكن ان يخضع لسلطة المخلوق ، بل العكس هو الصحيح .

ان التيار العلماني يريد تجنب النص و النأي بالذات عنه تحقيقاً لمرجعية بديلة كائنة ما كانت خارج الاطار الديني . كما و ان اعتبارهم بأن القرآن الكريم (منتج ثقافي) من أكبر التجنيات عليه .

ان عملية التفكيك المضنية التي مارسها المستشرقون ومن ساوقهم لمفهوم الوحي ما هي إلا محاولة لن تجدي نفعاً لأنها قد ابتعدت كثيراً عن فكر المدرسة القرآنية الحقيقية ، الا و هي مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) فهم (الراسخون بالعلم) ، و هم (تراجمة الوحي) ، و (عِدل القرآن) و هم الثقل الثاني التالي للقرآن الكريم .

فصار البعض يُثير مسألة (تطور اللغة) قبال (تخلق لغة القرآن) ذلك ان لغة القرآن ـ بحسب المدعى ـ قد استفادت من لغة عصر النزول و من ثقافة ذلك العصر المليء بالخرافات و الأساطير من قبيل الملائكة و الجن و الشيطان و ما شابه ذلك مما يعني تضمن القرآن للخرافات و الاساطير ، و ان هذه المسميات قد استعرضها القرآن نتيجة ظروف خاصة تحكي عصرها و ثقافته و لذلك لا يمكن بأي حالٍ من الأحوال تسريتها للعصور اللاحقة أو الأخذ بها[1] .

---

(١) ظ : مفهوم النص (دراسة في علوم القرآن) ، نصر حامد أبو زيد : ص ٢٤ و ص ٢٠١ ، و ص ٢١٥ ، و ص ٢٢٠ .

نعم ، (إن مطلوبية التأويل لم تُمثل حاجة أولية في فهم القرآن بقدر ما تمثل بُعداً معرفياً عميقاً للقرآن نحتاج فيه إلى المُحكم القرآني و بيانات المعصوم (ع) فليست هنالك نتائج متعارضة و متناقضة على صعيد نصوصه الأولية التي تمثل الظاهر القرآني بخلاف ما عليه النص الديني في التوراة و الإنجيل)[1].

ان قابلية (الجري و الانطباق) القرآنية لهي من أروع ما تميز به القرآن الكريم ، فهي تبين مدى حياة النص القرآني ، و التي يصورها لنا الإمام الصادق (ع) بقوله : ((إن القرآن حي لم يمت و إنه يجري ما يجري الليل و النهار و كما تجري الشمس و القمر و يجري على آخرنا كما يجري على أولنا))[2] .

بذلك يتوضح وجود اتجاه ناقدي قائم على نظرية (تاريخية النص القرآني)[3] وبأدوات (هرمينوطيقية)[4]. ومن دعاة هذا التيار أمثال (محمد شحرور) و(أدونيس) و(محمد أركون) و(الطيب تيزيني) و(علي حرب) و(صادق جلال العظم) و(عبد الكريم سروش) و(نصر حامد أبو زيد) وهذا الأخير الذي اعتبر تفسيرات الحروف المقطعة عند الشيعة (تعميقاً للاتجاهات

---

(١) إشكالية قراءة النص الديني (القرآن أنموذجاً) ، طلال الحسن ، مجلة المصباح ، العتبة الحسينية المقدسة ، العدد (٣) ، ص ١٧٣ .

(٢) تفسير العياشي: ٢ : ٢٠٤.

(٣) التاريخانية القائلة ببشرية النص القرآني.

(٤) أي الاتجاه التأويلي القائم على نسبية المعرفة.

الغنوصية في تفسير النص وتأويله)[١]، وقال عنها بأنها (ظواهر غمـوض تـبرز اختلاف النص داخلياً)[٢].

---

(١) مفهوم النص، نصر حامد أبو زيد: ١٩١.

(٢) م. ن: ١٩٤.

المصادر والمراجع

١ـ المدخل لدراسة القرآن الكريم، د. محمد بن محمد أبو شهبة، الأمانة العامة للأوقاف ـ مصر، ط٢، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٢ـ المستشرقون والقرآن، محمد أمين حسن، دار الأمل، الأردن، ط١، ١٤31هـ/ ٢٠١٠م.

٣ـ حياة محمد، محمد حسين هيكل، تعليق وتحقيق: المجمع العالمي لأهل البيت، ط١، ١٤٢٨هـ، إيران.

٤ـ تاريخ القرآن، أبو عبد الله الزنجاني، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.

٥ـ البرهان في علوم القرآن، الزركشي، بدرالدين محمد بن عبدالله (ت٧٩٤هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل، ط١، ١٣٧٦هـ.

٦ـ النثر الفني في القرن الرابع، د. زكي مبارك، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٥م.

٧ـ تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي، وجلال الدين المحلي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

٨ـ مجمع البيان، أمين الإسلام الطبرسي، أبي علي الفضل بن الحسن، من أعلام القرن السادس الهجري، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤١٠هـ

٩ـ تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائي، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١٠ـ مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير، الرازي، فخر الدين بن ضياء الدين محمد (٥٤٤ - ٦٠٤هـ) دار الفكر - بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ.

١١ـ تفسير السمرقندي، أبي الليث نصير بن محمد الحنفي السمرقندي (ت٣٧٥هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.

١٢ـ الحروف المقطعة في القرآن الكريم دراسة ورأي، عبد الجبار شرارة، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٨٠م.

١٣ـ فتح القدير، الشوكاني، محمد بن علي (ت١٢٥٠هـ)، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، بلا تاريخ.

١٤ـ تفسير القرآن الكريم، محمود شلتوت، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ١٤٢١هـ.

١٥ـ تفسير المنار، محمد رشيد رضا، مطبعة المنار، مصر، ١٣٤٦هـ.

١٦ـ الدر المنثور، السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن أبي بكر (ت٩١١هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ.

١٧ـ الكتاب، سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٨ـ متشابه القرآن، عبد الجبار المعتزلي الهمداني (ت٤١٥هـ) مكتبة دار التراث، ط٢، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١٩ـ الكشاف، الزمخشري، أبي القاسم جارالله محمد بن محمد (ت٥٣٨هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.

٢٠ـ تفسير التبيان، الشيخ الطوسي، شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ) مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، ط١، ١٤١٣هـ.

٢١ـ جامع البيان، الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠) دار المعرفة، بيروت، ط٤، ١٤٠٠هـ.

٢٢ـ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت٦٧١هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤هـ.

٢٣ـ إعجاز القرآن، القاضي الباقلاني، أبي بكر محمد (ت٤٠٢هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٣م

٢٤ـ محاضرات في تفسير القرآن الكريم، إسماعيل الصدر، دار الكتب الإسلامية، بلا تاريخ.

٢٥ـ في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط٩، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٢٦ـ الإعجاز البياني في القرآن، بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

٢٧ـ الصحيح من سيرة النبي الأعظم، جعفر مرتضى العاملي، المركز الإسلامي للدراسات، بيروت، ط٥، ١٤٢٧هـ.

٢٨ـ معاني القرآن، الأخفش، أبو الحسن المجاشعي البلخي (ت٢١٥هـ) مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ.

٢٩ـ الفوائد في مشكل القرآن، العز بن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز بن عبدالسلام (ت٦٦٠هـ)، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة.

٣٠ـ مناهل العرفان في علوم القرآن، عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر، بيروت، ط٤، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٣١ـ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء الدمشقي (ت٧٧٤هـ) دار الخير، ط٢، ١٤١٤هـ.

٣٢ـ معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، ط١، ١٤٠٨هـ، عالم الكتب، بيروت - لبنان.

٣٣ـ سعد السعود للنفوس، ابن طاووس، رضي الدين أبي القاسم علي بن موسى العلوي القاضي (ت٦٦٤هـ) انتشارات دليل ماه، ط١، ١٤٢١.

٣٤ـ كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ)، مؤسسة الأعلمي، ط١، ١٤١٢هـ.

٣٥ـ آلاء الرحمن، الشيخ البلاغي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا طبعة، بلا تاريخ.

٣٦ـ التفسير الأثري الجامع، محمد هادي معرفة، مؤسسة التمهيد، إيران، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٣٧ـ التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفة، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، ط٣، ١٤١٦هـ.

٣٨ـ تفسير الجواهر، الشيخ طنطاوي جوهري (ت١٣٥٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

٣٩ـ الهيروغليفية تفسير القرآن الكريم، سعد عبد المطلب العدل، مكتبة مدبولي، مصر، ط١، ٢٠٠٢م.

٤٠ـ الإسلام وشبهات المستشرقين، فؤاد كاظم المقدادي، المجمع العالمي لأهل البيت، إيران، ط١، ١٤١٦هـ.

٤١ـ اكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسنة، رسول جعفريان، مطبعة سلمان الفارسي، ١٤١٣هـ.

٤٢ـ محمد والقرآن: تاريخ النبي العربي ودعوته، رودي بارت، ترجمة: رضوان السيد، ط١، ٢٠٠٩، دار شرق وغرب للنشر - أما طبعته الألمانية فكانت: نشر دار كول هامر ضمن سلسلة أربان الألمانية عام (١٩٥٧م) - وأعيد طبعه عام (١٩٦٦م).

٤٣ـ تاريخ القرآن، تيودور نولدكه، ترجمة: جورج تامر، منشورات دار الجمل، ٢٠٠٨م.

٤٤ـ مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢٧، ٢٠٠٧م.

٤٥ـ موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٣م.

٤٦ـ آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم، أحمد نصري، ط١، ٢٠٠٩م، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط - المغرب.

٤٧ـ القرآن بحث ودراسة، سهيل قاشا، دار العارف للمطبوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٤٨ـ مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، دار العلم، دمشق، ط٣، ١٤٢٤هـ.

٤٩ـ المناهج التفسيرية، جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق (ع)، ط٢، ١٤٢٢هـ، إيران.

٥٠ـ الكافي، الشيخ الكليني (ت٣٢٨هـ) دار الكتب الإسلامية، ط٣، ١٣٨٨هـ.

٥١ـ على نهج محمد، كارل إيرنست، ترجمة: حمزة الحلايقة، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٨م.

٥٢ـ مذاهب التفسير الإسلامي، جولدتسيهر، مطبعة السنة المحمدية، ١٩٥٥م.

٥٣ـ دفاع واعتذار لمحمد والقرآن، جون ديفنبورت، ترجمة: صالح جابر زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٤ـ هل القرآن معصوم؟ عبد الله الفادي، بلا معلومات.

٥٥ـ التحرير والتنوير، محمد بن الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، مؤسسة التاريخ، بيروت، ط١، بلا تاريخ.

٥٦ـ هل في القرآن أعجمي، د. علي فهمي خشيم، دار الشرق الأوسط، ط١، ١٩٧٧م.

٥٧ـ دفاع عن القرآن ضد منتقديه، عبد الرحمن بدوي، الدار العالمية للكتب والنشر، بلا تاريخ.

٥٨ـ شبهات وردود حول القرآن الكريم، محمد هادي معرفة، مؤسسة التمهيد، ط٢، ١٤٢٤هـ.

٥٩ـ آراء المستشرقين حول القرآن الكريم، عمر إبراهيم رضوان، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.

٦٠ـ مقارنة الأديان، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١٢، ١٩٩٧م.

٦١ـ جمهرة اللغة، ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

٦٢ـ القرآن دعوة نصرانية، يوسف درة الحداد، بلا معلومات.

٦٣ـ قس ونبي بعث في نشأة الإسلام، أبو موسى الحريري، ط١، ١٩٧٩، دار لأجل المعرفة، بيروت - لبنان.

٦٤ـ مسار الفلسفة في إيران والعالم، محمد الخامنئي، مؤسسة صدرا للحكمة الإسلامية، إيران، ط١، ٢٠٠٦م.

٦٥ـ شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكه، منشورات المكتب التجاري، ط١، ١٩٦٤م.

٦٦ـ فضل الإسلام على الحضارة الغربية، مونتغمري واط، مكتبة مدبولي، ط١، ١٤٠٣هـ.

٦٧ـ دعوى بشرية القرآن: عرض ونقد وتحليل (مناقشة موضوعية لدعوى بسط التجربة النبوية)، محمد الربيعي، مركز الهدف للدراسات، ط١، ٢٠١١ م، منشورات المحبين.

٦٨ـ الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، مونتغمري واط، ترجمة عبد الرحمن الشيخ، ١٩٩٨م.

٦٩ـ تفسير العياشي، أبي النضر السمرقندي العياشي (ت٣٢٠هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

٧٠ـ تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي (ت٣٢٩هـ) مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٧١ـ تفسير البيان، السيد الخوئي (قدس سره)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٣٩٤هـ.

٧٢ـ كنز العمال، المتقي الهندي (ت٩٧٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٤م.

٧٣ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيتمي ابن حجر المكي (ت٨٠٧هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ.

٧٤ـ المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٢هـ.

٧٥ـ الجامع الصحيح، الترمذي (ت٢٩٧هـ) دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ.

٧٦ـ مسند أحمد، أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٩هـ.

٧٧ـ دروس في تاريخ الأديان، حسين توفيقي، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٢٣.

٧٨ـ نظام التعليم في علم اللاهوت القويم، جيمس أنس، بلا معلومات.

٧٩ـ القرآن والتوراة والإنجيل، موريس بوكاي، ترجمة عادل يوسف، ط١، ٢٠٠٩م، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان - الأردن.

٨٠ـ الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني (ت٣٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ١٤٢٢هـ.

٨١ـ قصة الحضارة، ويل ديورانت، دار الجيل، بيروت، بلا تاريخ.

٨٢ـ موسوعة التاريخ الإسلامي، محمد هادي اليوسفي الغروي، مجمع الفكر الإسلامي، ط١، ١٤١٧هـ.

٨٣ـ السيرة النبوية، ابن هشام (ت٢١٨هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان.

٨٤ـ صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت٢٥٦هـ)، دار القلم، بيروت - لبنان.

٨٥ـ صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ)، مطبوعات مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، مصر، ١٣٨٠هـ.

٨٦ـ تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٠٩هـ، ط٥.

٨٧ـ محمد في مكة، مونتغمري واط، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.

٨٨ـ المصاحف، السجستاني (ت٣١٦هـ)، دار التكوين، دمشق، ط١، ٢٠٠٤م.

٨٩ـ نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ)، دار الثقلين، قم، ط١، ١٤١٩هـ.

٩٠ـ حياة وعقيدة محمد، أليو سبرنجر، برلين - ألمانيا، طبعة سنة (١٨٦١م).

٩١ـ التوراة البابلية، سهيل قاشا، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٣ م.

٩٢ـ الزواج في القرآن والسنة، السيد عز الدين بحر العلوم، دار الزهراء، بيروت - لبنان، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م.

٩٣ـ جمع القرآن، بحث استدلالي في معنى الجمع وعلى يد من جمع أولاً، الشيخ عبد الرسول الغفاري.

٩٤ـ تدوين القرآن، علي الكوراني العاملي، الناشر: دار القرآن الكريم، ط١، مطبعة باقري، إيران، ١٤١٨ هـ.

٩٥ـ جمع القرآن، علي الشهرستاني، مركز الدراسات الاستراتيجية التابع للعتبة العباسية المقدسة، ط١، دار الكفيل، العراق - كربلاء، ٢٠١٥ م.

٩٦ـ تفسير مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار، عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ)، تحقيق: محمد علي آذرشب، مركز البحوث والدراسات للتراث المخطوط، طهران-إيران، ط١، ٢٠٠٨ م.

٩٧ـ بصائر الدرجات، محمد بن الحسن بن فروخ الصفار (ت٢٩٠هـ) من أصحاب الإمام العسكري ٧، مطبعة الأعلمي.

٩٨ـ تهذيب الأحكام: في شرح مقنعة الشيخ المفيد، الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، ط١، ١٣٩٠هـ، تحقيق: حسن الموسوي الخرسان.

٩٩ـ رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، غانم قدوري الحمد (رسالة ماجستير)، جمهورية العراق، ١٩٨٢م.

١٠٠ـ كيف جمع القرآن: مراحل التدوين وتطور الخط، محمد قبيسي، دار الفكر اللبناني، ٢٠٠٧م.

١٠١ـ أضواء على السنة المحمدية أو دفاع عن الحديث، محمود أبو رية (ت١٩٧٠م)، دار المعارف، ط٦.

١٠٢ـ تاريخ المدينة المنورة، عمر بن شبة النميري البصري (ت٢٦٢هـ)، تحقيق: فهيم محمد شلتوت.

١٠٣ـ الإيضاح، الفضل بن شاذان الأزدي النيسابوري (ت٢٦٠هـ).

١٠٤ـ الدرجات الرفيعة في طبقات الإمامية من الشيعة، علي خان المدني (ت١١٢٠هـ).

١٠٥ـ المصنف، عبد الرزاق الصنعاني (ت٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي - الهند، ط٢، ١٤٠٣هـ.

١٠٦ـ فضائل القرآن، ابن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٤١٦هـ.

١٠٧ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ)، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م.

١٠٨ـ تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة: عبد الحليم النجار، طبعة دار المعارف، مصر - القاهرة، ١٩٦٨م.

١٠٩ـ مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، بيروت ـ الدار البيضاء، ط٦، ٢٠٠٥م.

فهرست الموضوعات

الطبعة الأولى ١٤٣٩ هـ /٢٠١٨ م / النجف الأشرف

التصميم والإخراج الفني



القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية

إنّ معظم المطاعن التي وجهت للقرآن الكريم كان سببها، العداء المباشر للدين الإسلامي، كل ذلك اعتماداً على ما لا يصح من الأخبار الواهية، والمختلقة الكاذبة، فجاء المستشرقون ليضيفوا إليها ما شاءت لهم أنفسهم أن يضيفوه، ممن هو من بنات أخيلتهم وصناعة أوهامهم، جمعتهم على ذلك راية واحدة ألا وهي: (العداء للإسلام).

إن أهمية هذا الموضوع تتأتى من كونه يرتبط بمواضيع مهمة متوزعة على علوم القرآن، والعقائد، والتشريع، والأخلاق، لما لها من أهمية في مجالي الفهم والاعتقاد لذا كان من اللازم التعرض لها، وتوضيحها، وتوضيح رأي الآخر تجاهها، بما يساعد على الفهم، والرد على الشبهات والاشكالات المطروحة.

المؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ ٢٠١٨ م / النجف الأشرف